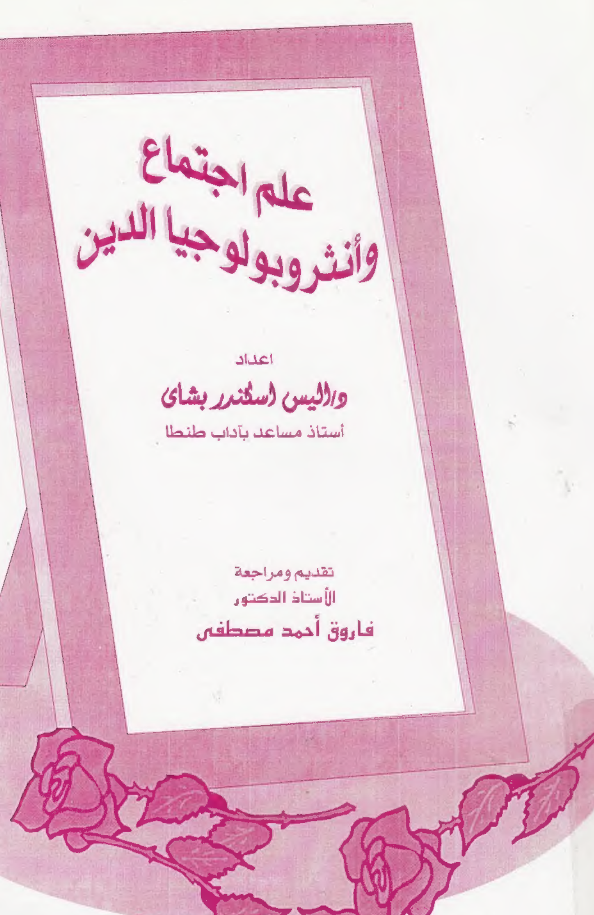


علم اجتماع وأنثروبولوجيا الدين

اعداد

د/اليس اسكندر بشاى

أستاذ مساعد بآداب طنطا

تقديم ومراجعة

الأستاذ الدكتور

فاروق أحمد مصطفى

علم اجتماع

وأنثروبولوجيا الدين

اعداد

د/اليس اسكندر بشاى

استاذ مساعد بآداب طنطا

تقديم و مراجعة

أ. د. فاروق أحمد مصطفى
أستاذ الانثروبولوجيا
بآداب الاسكندرية

يعد الدين من أهم الانساق الاجتماعية، فلا يوجد مجتمع من المجتمعات سواء البسيط أو المعقد منها لا يؤثر فيه الدين ونظمه الاجتماعية بطريقة أو أخرى، وهذا ما يؤكده السلوك الانسانى على تنوعه وكذا التفاعل الاجتماعى وتكيف الانسان مع بيئته ومع أعضاء جماعته أو مجتمعه وفقا لمجموعة المعايير والقيم المستمدة فى كثير من الأحيان من الدين السائد فى المجتمع سواء أكان دينا رسمياً أم دينا شعبياً.

ويمكن أن نميز بين ثلاثة اتجاهات عامة فى دراسة الدين، تتأثر هذه الاتجاهات بعاملين لا يمكن انكارهما، وهما (أ) الخلفية الشخصيه للدراس. (ب) ميادين الاهتمام. فكلاهما له تأثيره فى تحديد الاتجاهات لأن الدين يرسم دائماً فى الذهن مجموعة من التصورات تختلف بالنسبة للأشخاص حتى أن وصف الدين نفسه كمفهوم لا نجد فيه اتفاق بين جميع الافراد وقد يرجع ذلك إلى تنوع خبراتهم الشخصية.

والاتجاهات الثلاثة فى دراسة الدين هى :-

الاتجاه الأول : اتجاه متشيع للدين نفسه، يرى أصحابه أن معتقداتهم الدينية وسلوكهم تمثل الدين نفسه وليس هناك مجالا لمعتقدات وسلوك الآخرين الدينية. وهذه نظرة ضيقة لا تؤدى إلى فهم الخبرة الدينية الكلية لكل النوع الانسانى رغم ما تتيحه من رضاء نفسى وسيكولوجى لهؤلاء المعتقدين أو المشيعين لدين معين.

الاتجاه الثانى : اتجاه ينبذ ويرفض المعتقدات الدينية ويقلل من تأثيرها وأهميتها على السلوك الانسانى. ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه أن الدين ضرب من التأمل الفلسفى، وهم لا يكترثون بحقيقة الدين وتأثير المعتقدات الدينية فى الوجود الانسانى.

الاتجاه الثالث : هو اتجاه الدراسين، اتجاه المحايدين وأصحاب هذا الاتجاه يتناولون الدين (معتقدات وممارسات) دون انكار أو تأييد انما يهتمون بالبحث والكشف عن الحقيقة مع استخدام اساليبهم ووسائلهم العلمية فى تحليل الخبرة الدينية باعتبارها خبرة انسانية وقد يختلف هؤلاء الدارسون حسب ميادين تخصصهم فنجد أن التاريخى منهم يهتم بتطور وتغير المعتقدات والممارسات الدينية فى الفترات والحقبات التاريخية المختلفة. بينما يتعامل السيكولوجى مع الدين على أساس تأثيره فى الأفراد وفى عمليات التعلم واشباعه للحاجات السيكولوجية الأساسية، والتجربة الدينية وأثرها فى مجال الشعور واللاشعور للأفراد.

أما السوسيولوجى والانثروبولوجى فانهما يتعاملان مع الدين من خلال مجموعة الاتجاهات العلمية التى تعتمد على المادة الاثنوجرافية التى يجمعونها عن الدين والنظر اليه كنسق اجتماعى أو نظام اجتماعى كبير له أنماط من التنظيمات الدينية المختلفة وأن هناك تكاملاً بين الاعتقاد والسلوك الاجتماعى وفقا للكل الثقافى الذى يعيشه المجتمع.

وقد يهتم الانثروبولوجى فضلاً عن الموضوعات الخاصة بالسوسيولوجى بالاتجاه المقارن لكل السلوك الدينى الانسانى وفحصه فى كل المجتمعات فى محاولة للكشف عن أوجه التشابه أو التباين وفى محاولة للوصول إلى التعميمات والنتيجة فى النهاية معالجة مقارنة للسلوك الانسانى ومحاولة صادقة للتحليل وهذا ما حاول هذا الكتاب الذى نحن بصدد التقديم له أن يوضحه للقارىء. فقد تناول

فى بابه الأول الاجتماع الدينى وهذا الباب يحتوى على سبتة فصول ومقدمة والتى اشارت إلى أن الدين تفكير الانسان وحياته وهو يلعب دوراً هاماً فى حياة البشر عامة ولذلك اهتم بدراسته كثير من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا وجاء الفصل الاول وعنوانه علم الاجتماع الدينى يوضح موضوع اهتمام علم الاجتماع الدينى ومجال البحث والدراسة فيه وأهم المفهومات الدينية. وقد تناول الفصل الثانى وعنوانه الدين وحاولت المؤلفة د. أليس اسكندر فى هذا الفصل توضيح بعض المفهومات الخاصة بالدين وأنه من الصعب الوصول إلى تعريف للدين يقبله الجميع كما تناولت سمات الدين وخصائصه واهتمام الدين بما هو مقدس وان الدين فى النهاية مجموعة من المعتقدات والممارسات كما تناول الفصل أيضا وظائف الدين المختلفة.

أما الفصل الثالث فقد عالج أهم الاتجاهات والنظريات المفسرة لنشأة الدين كالاتجاه الروحى (الشعائرى) ونظريات الطبيعيين واختتم بالنظريات الاجتماعية لاميل دوركايم الذى درس التوتمية الاسترالية وانتهى فى كتابه الأشكال الاولية للحياة الدينية أن الافكار الدينية والطقوس الدينية ترمز إلى الجماعة الانسانية وتعبر عن حياتها كما وان الحياة الاجتماعية هى مصدر الأفكار الاجتماعية لاى جماعة انسانية وعرضت لنسبية الظاهرة الدينية لدى باريتو وايضا اراء مالينوفسكى.

وقد جاء الفصل الرابع وعنوانه مناهج دراسة علم الاجتماع الدينى ومداخله ليعبر أصدق تعبير عن المنهج التاريخى، والمنهج النفسى، والمنهج المقارن ومنهج تايلور، والمنهج التكاملى الوظيفى واختتمت المؤلفة هذا الفصل بتحديد مدخلين اساسين عند دراسة الدين هما المدخل السوسيولوجى الاجتماعى، والمدخل الفينومينولوجى.

وقد تناولت المؤلفة فى الفصل الخامس من كتابها سوسيولوجية الظاهرة الدينية وأشارت إلى النسك فى الديانات المختلفة عن الهنود، وعند اليونان، وعند اليهود وغيرهم. اما الفصل السادس قد أشار إلى العلاقة الوثيقة بين السحر والدين فقد تناول مفهوم السحر والتمييز بين السحر والدين والمفهومات المرتبطة بالسحر وبعض انماطه ثم اختتمته بعنصر هام وهو التمييز بين التفكير الخرافى والتفكير العلمى التى اختتمت به الباب الاول من الكتاب.

أما الباب الثانى وعنوانه الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لظاهرة الموالد دراسة مقارنة. فقد عرضت المؤلفة لدراسة ميدانية قامت بها حيث أوضحت أهمية الموضوع وأدوات جمع المادة ومناهج الدراسة كما اشارت أيضا إلى نظرية الرواسب الثقافية ووضعت بعض التساؤلات النظرية التى حاولت الاجابة عليها من خلال دراستها وقسمت هذا الباب إلى فصلين الفصل الاول يوضح بعض الدراسات السابقة بعد أن مهدت له ببعض الدراسات النظرية لبعض علماء الاجتماع والانثروبولوجيا. ثم اشارت إلى الموالد كظاهرة ثقافية دينية، وأشارت الى خصائص المعتقدات الدينية والى أن الموالد ظاهرة اجتماعية وظاهرة فولكلورية ووضعت تعريفا للموالد وأشارت إلى العلاقة بين الصوفية والأولياء وتعريف الولى ونشأة التصوف والممارسات الشعائرية والكرامات والبركة أما الفصل الثانى فخصته للدراسة الحقلية عن مولد السيد البدوى ومولد مارجرجس واشارت الى أهم النتائج والمراجع العلمية التى اعتمدت عليها.

ومما لاشك فيه أن الكتاب بشكله الراهن وبموضوعاته النظرية الخاصة بالدين فضلاً عن دراسته لظاهرة الموالد كدراسة ميدانية قامت بها الدكتورة أليس اسكندر يدعونا إلى قراءته كمتخصصين فى مجال الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية كما أنه زاد طيب من المعرفة السوسيولوجية والأنثروبولوجية للقارىء العادى.

أ. د فاروق احمد مصطفى

١٩٩٩

فهرس

الباب الأول

علم الاجتماع الدينى

مقـــدمـــــة

ليس ثمة عاطفة إنسانية أبعد غوراً وأشد إلتصاقاً بالنفس وأعظم تأثيراً فى حياة الشعوب والأفراد من العاطفة الدينية ، ولقد صحب الدين الإنسانية منذ نشأتها فهو قرينها وموجهها على حد قول محمود قاسم ، وليست تلك العاطفة وهماً أو خيالاً ولكنها عنصر جوهرى فى فطرة كل إنسان وكان من الطبيعى أن يوجه العلماء إهتمامهم إلى دراسة الدين محاولين الكشف عن سر نشأته وبقائه على إختلاف الحضارات والعصور.

فقد شغل الدين تفكير الإنسان وحياته الإجتماعية ، بل إمتد إلى كل أنشطة حياته اليومية . فهو يلعب دوراً هاماً فى حياة البشر بصفة عامة .

ولذا إهتم كثير من علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا بدراسة الدين أمثال تايلور وجيمس فريزر واميل دور كايم ومن العلماء العرب بن خلدون الذى أوضح فى مقدمته أهمية الدين فى وضع قواعد السلوك .

وتعددت صور وأشكال الحياة الدينية وتباينت هذه الصور والأشكال نتيجة تباين المجتمعات والثقافات السائدة فى كل منها كما يقول فاروق أحمد مصطفى.

يرى محمد احمد بيومى أن الحافز للإهتمام السوسيولوجى بالدين راجع إلى تقارير الأنثربولوجيين فى بداية منتصف القرن التاسع عشر والذين حاولوا دراسة المجتمعات البدائية فى أفريقيا وآسيا وقد توصل هؤلاء العلماء الإجتماعيين إلى ملاحظتين أساسيتين هما :

أولا : وجود شكل من أشكال الدين فى كل مكان.

ثانيا : التنوع المذهل فى أشكال السلوك الدينى .

بمعنى آخر لوحظ عمومية الظاهرة الدينية وأيضاً تنوع أشكالها في المجتمعات البدائية.

وقد تزايدت البحوث الإثنواجرافية التي قام بها العلماء الإجتماعيين وأدت بدورها إلى تفهم وتحليل التنوع الواسع في الدين .

وكان لهذا التنوع ردود فعل تجاه هذه الأديان:

(١) أحد هذه الإتجاهات مؤداه أن الأديان جميعاً يجب أن تفهم على أنها محاولة مخلصة للنضال لحل مشاكل الإنسانية المعقدة ، ولهذا فإن كل دين يعتبر مفيداً طالما أن من يعتنقونه راضون.

(٢) وإتجاه آخر نحو هذا التنوع والإنتشار الديني هو أنه على الرغم من وجود جوانب قيمة في كل هذه الأديان المتنوعة إلا أن أياً منها لا يتصف بالكمال.

ولكل وجهة من وجهات النظر السابقة ، بعض المدافعين المعاصرين ، إلا أنه يمكن القول أنه لا يوجد واحد منها يناسب العالم الإجتماعي لأنها تنطوي على أحكام قيمية بشكل أو بآخر .

وتعد أعمال اميل دور كايم وجورج زيمل وماكس فيبر إسهامات سوسيولوجية جادة في دراسة الدين (*) ومنذ عام ١٩٤٠ بدأت بحوث ودراسات جديدة وإستمرت حتى الآن لمعرفة وظائف الدين على المستوى الفردي والمجتمعي.

(*) محمد احمد بيومي : علم الإجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ - ص ٤٤ - ٤٥ .

الفصـــــل الأول

علـــم الإجتمـــاع الدينـــــى

١- موضوع علم الاجتماع الدينى

٢- مجال البحث فى علم الاجتماع الدينى

٣- المفهومات الدينية

الفصل الأول

١ - موضوع علم الإجتماع الديني

المقصود بعلم الإجتماع الديني :

هو كفرع من فروع علم الإجتماع يدرس الوقائع الإجتماعية الدينية دراسة تحليلية وضعية أو وصفية أو علمية ٠

يدرس هذه الوقائع فى نشأتها وتغيرها وتطورها وفيما تخضع له من عوامل البيئة الفيزيقية (التضاريس والمناخ والنبات) ، وعوامل الوراثة والجنس والتكوين البنائى أو المورفولوجى للمجتمع ، وأخيراً عوامل البيئة الثقافية أو ما يسود المجتمع من وقائع أو ظواهر أو نظم إجتماعية أخرى ، كالنظم العائلية أو الإقتصادية والتربوية والسياسية والقانونية والأخلاقية والذوقية وما يتبعها من عادات وتقاليد٠

وهو يدرس إذن الأثر والتأثير المتبادلين بين الظواهر الدينية وغيرها من الظواهر الإجتماعية الأخرى مستخدماً فى ذلك مناهج العلوم الإجتماعية كالمنهج التجريبى ومنهج الملاحظة والمنهج التاريخى والمنهج السيكولوجى والمنهج المقارن ٠ بحيث يصل إلى صياغة القواعد والقوانين التى تخضع لها الظواهر والنظم الدينية فى نشأتها وتغيرها وتطورها وفى تأثرها بالظواهر والنظم الإجتماعية الأخرى وتأثرها بها ٠

وبهذا يرى حسن شحاتة سعفان أنه من حيث كونه فرعاً من فروع علم الإجتماع ،.هو إذن علم وصفي تحليلي وليس علماً معيارياً فليس من موضوعه بيان ما ينبغي أن يكون فلا يدخل في مهمته أو نطاقه حث الناس على التمسك بالفضائل على غرار ما يفعل علم الأخلاق العامة ، ولا يبين الفوائد والمزايا التى تنبع من إتباع الدين كما يفعل علم الأخلاق الدينية ، .أيضاً لا يفاضل بين الأديان ولكن مهمته تنحصر في وصف الأديان وصفاً موضوعياً ، فهو بعيد كل البعد عن الأحكام التقديرية ، فالفرق بين علم الإجتماع الديني وعلوم الأخلاق والمنطق والجمال ، كالفرق بين العلوم الوضعية Positive ، الوصفية Descriptive والعلوم المعيارية Normative أو القيمية Axiological (١) ٠

أما روجيه باستيد فيرى أن هناك فكرتان عن موضوع علم الإجتماع الديني وذلك إما أن يدخل الباحث العلاقة بين الناس وآلهتهم في الدين فقط ، وإما أن ينظر إلى المجتمع الذى يشترك أفراده في إعتناق نفس العقائد ، وفي المساهمة في نفس الطقوس ٠

وكانت الفكرة الأولى موضع إهتمام جويو ولكنها تنسب بصفة خاصة إلى " دولا جراسرى Dela Grasserie " الذى يرى أن كل ديانة تجمع بين الأحياء والأموات ، وبين المؤمنين وآلهتهم في مجتمع فسيح ترجع دراسته إلى علم الكون٠

وهذه الفكرة تعد الآلهة أشياء موضوعية ، بمعنى أنها تعدها كائنات ، وهنا علم الكون يدرس ما بين هذه الكائنات من علاقات سواء علاقات محبة (مثل علاقة إيزيس بأوزيريس ... إلخ) أم علاقة كراهية (كالحزوب بين الآلهة والعمالقة) ، وبهذا لا يعدو علم الكون أكثر من مجرد علم للأساطير. ولكن إذا شمل دراسة العلاقات بين الآلهة والبشر أى الإعتراف ضمناً بوجود علاقة خفية وراء هذه المظاهر الأسطورية بين الأشخاص وبين آلهتهم .

تلك الفكرة التى يكونها الناس لأنفسهم عن وجود علاقة بينهم وبين آلهتهم ، والتى تختلف صورها من عصر إلى آخر تصلح لأن تكون موضوعاً لدراسة إجتماعية ولكن لا يمكن الكشف عن تلك العلاقات الإجتماعية بين البشر والآلهة بطريقة موضوعية . وبالتالى ليس ثمة مجال لدراسة المجتمع الذى يتكون من الآلهة والبشر.

بل هناك مجال لدراسة الأفكار التى يكونها الإنسان لنفسه عن مثل هذا المجتمع .

أما الفكرة الأخرى التى يناذى بها علم الإجتماع الدينى فهى فكرة الباحث عن الجماعات التى تتكون نتيجة إشتراك أعضائها فى العقائد والمعاملات .

أى أن روجيه باستيد يرى أن موضوع علم الإجتماع الدينى يتضمن فكرتان :

الأولى : هى العلاقة بين الناس وآلهتهم والأفكار التى يكونها الإنسان لنفسه
عـن مثل هذا المجتمع ٠
الثانية : تنظـر إلى المجتمع الذى يشترك أفراده فى إعتناق نفس العقائد
ويمارسون نفس الطقوس

وعموماً يمكن القول أن علم الإجتماع الدينى يعد مجالاً لدراسة التصورات والأفعال الدينية إلى جانب دراسة نشأة الأديان وتطورهـا٠ وفـى النهايـة يشمل المجتمعات الدينية والأساطير والعقائد والطقوس (٢) ٠

٢ - مجال البحث فى علم الإجتماع الدينى

يعد البحث الذى لا يستند إلى نظرية ، بحث غير مترابط • والنظرية التى لا تختبر فى الواقع وتعد له بالبحث بصفة مستمرة تعد نظرية تأملية ولا يمكن معرفة صدقها • وإن كان التطور فى النظرية فى مجال علم الإجتماع الدينى أكثر من جوانبه البحثية •

ويعد علم الإجتماع الدينى فرع من علم الإجتماع العلمى وأنه ليس مجالاً وسطاً بين علم الإجتماع واللاهوت• فالدين هو المادة وعلم الإجتماع هو المنهج للمدخل ، وعلم الإجتاع الدينى ليس تقييمى ، إنه موضوعى ومجرد، فهو يدرس ظواهر أمبيريقية لمحاولة عزل تعميمات تتعلق بإرتباطات السلوك الدينى مع السلوك الإجتماعى الآخر •

ويمكن القول أن علم الإجتماع الدينى يعطى صورة غير كاملة للمعنى الكلى للدين فى حياة الإنسان•

والدراسة الموضوعية للدين تهتم بالجوانب المجتمعية ولم تحاول دراسة الدين أو التجربة الدينية فى حد ذاتها ولكن كما أشارت ألن استر Allen Eister " أن الإهتمام يجب أن يكون بالجوانب الثقافية والإجتماعية أو بمظاهر الدين ، أى نتائج التجربة الدينية"•

بمعنى آخر السلوك الظاهر أو على الأقل الإتجاهات أو الآراء التى يمكن أن توصف موضوعياً – وليست التجربةالدينية للأشخاص فى حد ذاتها – هى الإهتمام الرئيسى لعالم الإجتماع الدينى . هذا النتاج للسلوك الدينى أو ما يسميه شارلز جلوك Charles Gloch البعد التتابعى Consequential Dimenstion للدين مع النظم الأخرى . هذا النتاج هو البؤرة الرئيسية للبحث الأمبيريقى . وبمعنى آخر إتجاهات وسلوك الناس الذين يعتبرون أنفسهم ، ويعتبرهم الآخرون "متدينين".

وفيما يلى المجالات الأساسية فى علم الإجتماع الدينى كما يقترحها ينجر Yinger :

(١) الدراسة المقارنة للإعتقادات والممارسات الدينية فى المجتمعات المختلفة.

(٢) العلاقة بين الدين والجوانب الأخرى من البناء الإجتماعى مثل : الدين والأسرة ، الدين والتعليم ، الدين والولاء السياسى.

(٣) العلاقة بين المؤسسات الدينية والدولة .

(٤) الدين والإهتمات الإقتصادية.

(٥) العلاقة بين الإختلاف الدينى والتمايز الإجتماعى والطبقى.

(٦) مدى تقبل الجماعات الدينية للتغيرات العلمانية أو بمعنى آخر التحديات الدينية للقيم والقوى العلمانية كالتمسك بالتراث الدينى والإعتراض على التغير أو التجديد.

(٧) العلاقة بين الدين والأخلاق.

(٨) وظائف الدين في المجتمع ، ودراسة الشخصيات الدينية.

(٩) الــولاء والتمسك بالقيم الدينيــة وأثــره علـى الأنشطة السياسية والإقتصاديـة والتربوية بالمجتمع.

(١٠) دراسة الجماعات الدينية وتطورها .

(١١) السمات الثقافية والإندمـاج الجمـاعى فـى الديـن والإنتظـام فـى الصلاة.

(١٢) العلاقة بين الدين وسمات السـلوك الإجتمـاعى العـام مثـل الأداء المهنـى ، الـزواج مــن نفـس الديــن أو خارجــه ، الإنجـاز التعليمــى ، معدلات الخصوبة.

(١٣) دراسة الحركات الدينية والهيئات الدينية.

(١٤) دراسة الأدوار الدينية لرجال الدين فى مختلف الأديان.

(١٥) دراسة الدين الشعبى.

(١٦) الفرق بين الدين والسحر (٣) .

وهناك من يرى أن موضوع علـم الإجتمـاع الدينـى هـو دراسة للمفاهيم الدينية من وجهة نظر المبحوثين أنفسهم تلك التى تختلف مفهومها بين أفراد ديانة وديانة أخرى.

وفيما يلى أهم المفاهيم الدينية سواء الموضوعية أو الذاتية أو الحركية بمعنى آخر دراسة للأفكار الدينية والممارسات والشعائر الحركية.

٣ – المفهومـــــات الدينيـــــة

يتضمن الفكر الديني العديد من المفهومات التي تتضمنها الأديان المختلفة وهي تحتوي على عدد لا حصر له من المفهومات. ولكن سنقتصر على ذكر أشهر المفهومات التي تشترك فيها معظم الديانات.

وهذه المفهومات بعضها موضوعي يدور حول الآلهة والكون والبعض الآخر يكون محورها الإنسان كالخطيئة والمحرمات والتجربة الدينية والثواب والعقاب وهي ما يسميها حسن شحاتة بالأفكار الذاتية التي تتعلق بذات الإنسان.

أولا : الأفكـــار الدينيـــة الموضوعيـة المقدسـة

فكـــرة الآلهـــة:

هي أحد الأفكار الموضوعية الرئيسية وبعض الأديان تنادي بوجود إله واحد Monotheism والبعض الآخر يعتقد بوجود عدة آلهة.

وساد بين بعض علماء التطورية أن الرجل البدائي لم يعرف الإله الواحد أو فكرة التوحيد بل وفكرة الله نفسه فما هي إلا فكرة حديثة نتجت عن تاريخ طويل من التدين.

وحـــــدانية الإلـــه:

ولكن أندرو لانج Lang أثبـت إكتشاف وجـود فكـرة اللـه عنـد كثير من المجتمعات البدائية ، فهم يتصورون الله ذات خالقة للعالم حافظة لـه ، أزلى ، خيـر ، قريب من النـاس ٠٠ إلخ، واكتشـف شبستا P. Schepesta أن أقـزام ايتورى فى أفريقيا الوسطى يتحدثون عن ذات عليا لم يرها أحد من قبل سامية ومتعالية ، هى الله الذى يفعل كل شىء، الرعـد والماء والحيوانات والأشجار ويسمونه " أبانا " وهو أعزب ويذهب إليه الأموات بعد الموت.

ثنائيـــة الآلهـــــة :

وبجانب الأديان الموحدة توجد ديانـات ثنائيـة Dualism وتعد الديانة المصريـة القديمـة نموذجـاً لهـذا النـوع إذ كـانوا يقدسـون حـورس وسـت ويعتقدون أن العالم مقسم بينهما ويقيمون صلوات وطقوساً لمساعدة أوزيريس والد حورس ضد عدو ه اللدود.

وأيضاً الديانة الزرادشتية التى سادت بلاد الفرس القديمة من أبرز الديانات ذات المعبـود الثنـائى ، وهى تقوم على التعارض بين الخير والشر والروح الشرير والفكر الطيب، فهناك ماءوهناك جفاف وإله للخير وإله للشر .

وفى العالم الآخر هناك ميزان أو صراط يسمى " جسر الفاصل " يفصل بين الخيرين الذين ينعمون بالنعيم وبين الأشرار الذى سيلقى بهم فى جهنم.

وفى شمال كاليفورنيا الوسطى نجد أن هناك إلهين ، الأول خالق الأرض والثانى إله الزراعة ، والأول ترك الأرض وإستقر فى السماء ويمتاز بالنبل والخير والثانى يقضى وقته ذهاباً وإياباً ، ويتميز بخصائص الأبطال ٠
وتسود فكرة الذكورة فى عالم الآلهة فى الديانات الموحدة والثنائية ٠

التأليه العددى :

وهناك مجتمعات تقول بالتعدد Polytheism للآلهة حيث يوجد قوى روحية مشخصة تدعى آلهة ، وكل إله يتعين له إختصاص محدود وهذه الآلهة تأتى أفعالاً لا تختلف عن البشر ، فهى تأكل وتشرب وتتناسل وتتزوج بإلهات ، لها هى الأخرى بعض الإختصاصات ، وتتكون منها أسر يطلق عليها Pantheon وهى كلمة ترجع إلى كلمتين يونانيتين وتعنى " مجموعة آلهة " ٠

عرف نظام التعدد فى الهند ومصر الفرعونية واليونان والرومان والجرمانيين وعرب الجاهلية وغيرهم ٠ وعلى سبيل المثال فى اليونان القديمة فى عصر هوميروس (الذى عاش فى القرن التاسع قبل الميلاد) ساد إثنا عشر إلهاً كبيراً بجانب عدد آخر من أنصاف الآلهة وأشباهها ، سبعة ذكور وخمس أناث منهم أفروديت عند اليونان ، وتسمى فينوس لدى الرومان وهى إلهة الحب والجمال٠

فكرة الكون :

يتضمن الدين فكرة كون Cosmos يخضع لقوانين وقواعد خاصة ، وهو كمسرح تتخذ منه الآلهة مجالاً لنشاطها ، كما يتضمن الدين وجود علاقة بين

هذا الكون وبين الآلهة • فمثلاً الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام تؤكد أن الله خلق الكون وهو الذى ينظم شئونه فى جملتها•

ولكن الديانة اليونانية القديمة كانت تذهب بالعكس إلى أن العالم أزلى أبدى وأن تطور الكون يؤى إلى ظهور الآلهة وتطورها ثم فنائها لكى تحل محلها آلهة جديدة وهكذا ، وهو ما يسمى بقانون الكون أو حكمته Logos •

وفى الديانة البراهماتية نجد أن الروح الرئيسى براهما وحده أبدى أزلى، أما الآلهة الأخرى نشأت نتيجة تطور عن الطبيعة الأزلية للكون فهى خاضعة لهذه الطبيعة•

وتتعلق بفكرة الكون وجود العالم الآخر الذى تصوره معظم الأديان على أنه مختلف تمام الإختلاف عن عالمنا ، وأن عقلنا الإنسانى قاصر عن إدراكه على حقيقته • ومعظم الديانات ترى أن الله مكانه العالم الآخر، أما الأديان الكبرى تذهب إلى أن الله فى كل مكان•

فكرة المانا أو القوة :

ومما هو جدير بالذكر أن فكرة المانا ذكرت لأول مرة فى رسالة كودرنجتون Coderington ونشرها ماكس موللر سنة ١٨٧٨ ، وهى عند قبائل مالينيزيا قوة وليست شيئاً مادياً فيزيقياً، بل هى شىء مقدس فوق الطبيعة، وقد تتمثل فى القوة الجسدية لدى الأفراد•

والبعض يرى أنها نوع من القوى الجبارة التى يزود بها الإنسان والحيوان أو جماد. ويستخدمها فى النفع أو الضرر فإذا فارقت الإنسان أو الحيوان والجماد أصيب بالضرر ولحقه الفشل ، أو قد تسبب الأمراض والأوبئة .

وهناك نوعان من القوى أو المانا ، قوى سحرية وقوى دينية.

فكـــرة النفوس Souls : هى القوة الحيوية أو مبدأ الحياة Psyche

فكرة النفوس إتخذت طوابع مختلفة من دين لآخر وفيما يلى أهمها :

أولاً : فى اليونان يسمون النفس مبدأ الحركة أو الحياة Psyche وأحياناً يسمونها النوس Nous والمعنى الأصلى Psyche هو الحياة . والنوس عبارة عن مادة طافية ومنتشرة فى الجو وإستخدمها أرسطو كقوة فوق طبيعية تمتد إلى الموجودات الإنسانية فتسبب لها الحياة وبدونها لاتوجد حياة إنسانية ، ولدى مدرسة هيبوقراطس الطبية تسمى النفوس باسم البنيما Pneuma وتعنى الهواء أو الريح وهى تخص الحياة الإنسانية وحدها دون سواها وهى قوة محدودة لها قوام.

وعند المصريين القدامى كانت تسمى القوة الحيوية الإنسانية بإسم Ba (با) أى أن الديانات المختلفة ترى أن مبدأ الحياة يعتمد على قوة خفية متصلة بالإنسان.

أما القوة الثانية: فهى الاجو Ego (الذات) وهى قوة شعور الإنسان بنفسه ويطلقها اللاتين على القوة التى بفضلها يفكر الإنسان ويلاحظ أو يدرك أو يشعر. وهذه القوة تقابل عند المصريين قوة الخو Khu .

نرى أن معظم المجتمعات قد فرقت بين النفس (الروح) والعقل .

والقوة الثالثة : هي الروحانيات الشخصية Personal Doaimons : وهي قوى تعتقد بعض المجتمعات أنها تعيش داخل الأفراد وتلازمهم طيلة حياتهم لحراستهم من الأضرار التي يتعرضون لها ·

والقوة الرابعة : هو الشبح Ghost : ويرى هوميروس أنها صورة الإنسان بعد الموت Eidolen ·

وثمة نوع من النفوس يسمى النفس القاطنة والبعض يرى أنها تترك الإنسان وقت النوم ويرون من الخطر إيقاظ النائم فجأة ، وقد تترك الجسم عند التثاؤب ومن هنا وجدت عادة وضع اليد على الفم عند التثاؤب لدى كثير من الشعوب ، وعند تركها للجسم لا يموت الإنسان ولا يكتشف أنه فقد شيئاً · ولكنه قد يتعرض للضرر كمن فقد سلاحه أو رمحه ·

ويعتقد أنها تقي الفرد من أخطار الأرواح الأخرى فهي حارسة له · وهذ الروح القاطنة تختلف عن الروح المحيية أو الذات · وتسمى الروح القاطنة لدى اليونانيين القدماء Autos " أوتوس " أو النفس ولا يقصد بها الروح المحيية ولا الذات·

وعموما وصل العلماء إلى الإتفاق على أمرين :

أولهما : أن ثمة تعدداً في الأرواح المزود بها الفرد ·

ثانيهما : لا يوجد علاقة بين نظرية الملكات التي قال بها علماء النفس المحدثين وبين تعدد الأرواح وتقوم نظرية الملكات على تقسيم المخ إلى مراكز لكل منها إختصاص محدد ·

وتطورت فكرة الأرواح عند قدماء المصريين وأصبح الفرد يزود بأكثر من روح واحدة من نفس النوع فيكون لديه أربعة عشر روحاً.

ويوجد عند كثير من المجتمعات نوع من الأرواح تسمى الأرواح الخارجية تعيش خارج جسم الإنسان بخلاف الروح الجسمية التى تعيش فى الجسم .

وفى كثير من الأحيان تصور الروح الخارجية على أنها خالدة أزلية ومن ثم فالموت لا يبعد الإنسان عن روحه الخارجية (٤) .

أما روجيه باستيد فيرى أن النفس تتميز فى نظر اللاهوت والميتافيزيقا الحديثين بوحدتها أو بساطتها المطلقة. أما بحوث علماء الأجناس المعاصرين فتدل على أن هذه الفكرة كانت على خلاف ذلك، فهى شديدة التعقيد وعلى سبيل المثال فإن عدد النفوس لدى الشخص الواحد لدى اللاوسيين يصل إلى ثلاثين نفساً ، " واللاوسيين نسبة إلى لاوس وهو إقليم جبلى فى الشمال الغربى للهند الصينية " .

وعموماً وجد العلماء أن الشعوب غير المتحضرة تفرق بصفة عامة بين النفوس الآتية :

١ - النفس الجسمية :

تعتقد بعض الشعوب أن الجثة تحتفظ بعد الموت بوجودها على هيئة شبح من الأشباح ما دامت لم تتحلل بعد .

ومن هنا نشأت فكرة بعض الإحتياطات ، فبعض الشعوب تقوم بقطع الأعضاء وكسر العظام والتعجيل بفساد الجثة لأنهم يخافون الميت الذى ينقلب شبحاً مخيفاً.

وشعوب أخرى على خلاف ذلك تعمل على تجفيف الجثة وتحنيطها والإحتفاظ بها على نحو يتيح لها البقاء فى ظلام القبر أكبر مدة ممكنة.

٢- النفوس الخاصة:

توجد إلى جانب الشبح مجموعة كبيرة من المبادىء الحية التى ترتبط بمختلف أعضاء الجسم مثل القلب والكبد والأمعاء وإصبع القدم والكليتين والدم الحار، تعد كل منها مقاماً للنفوس الخاصة .

٣ - النفس:الريح :

وهى النفس لدى الإغريق ، ولذا نجد هنا مرحلة الإنتقال من فكرة" المبدأ الحيوى" إلى فكرة الروح . وكثيراً ما كانوا يتصورون النفس كحقيقة مادية Principal Vita على هيئة عصفور أو فراش .

٤ - النفس الخارجية :

يتخيل البدائيون أن النفس شىء مادى محدد ، وأن لها حجماً معيناً يستطيع الإنسان أن يحتفظ به فى علبة أو فى إناء من الخزف ومن الممكن خدشها وتمزيقها ، فإذا ظلت الحياة أو النفس فى جسم الإنسان أصبحت عرضة للعطب أكثر مما لو وضعت فى مكان خفى أمين . كأن توضع فى حقيبة ، وفى أستراليا قد توضع فى نبات أو حيوان (مثل التمساح فهو روح

الغابة) ويرون أنه متى قتل هذا الحيوان أو النبات فإن الشخص يموت فى الحال٠

٥ - الظـــــل :

يرى البعض أن نفسه هى ظله ، فإذا مشى أحدهم على الظل بقدمه أو ضربه أو إخترقه شعر صاحبه بالجرح كما لو كان جسمه هو الذى تلقى الطعنة، ويعتقد أيضاً إذا جرد منه ظله مات ٠

٦ - الإســــم :

الإسم فى المجتمع الحديث المعاصر يعد علامة إجتماعية يرمز إلى المرتبة أو المكانة التى يحتلها الفرد فى المجتمع ، ويعبر عن حيازة الحقوق المدنية والسياسية ٠

ولكن لدى بعض الشعوب يعتبرون الإسم جزءا لا يتجزأ من الشخصية ويعرفه الإسكيمو بأنه " نوع من النفس يرتبط به مقدار خاص من الحيوية والمهارة"٠

ويقول جرانيه " أن الصينيين القدماء يرون أن الإسم هو عين النفس العليا وأنه هو المصير نفسه والحياة ذاتها٠

ومع هذا نجد تداخلاً فى كثير من الأحيان بين هذه المعانى للنفس ولا توجد كذوات مستقلة٠

وكان أطباء العرب يقولون بوجود روح حيوانى وهو عبارة عن بخار لطيف يخرج من القلب ثم يصعد إلى المخ ويهبط إلى أجزاء الجسم فيحركها ، أى أنهم تناولوا النظرية الحيوية أو مبدأ الحياة٠

أما الإغريق القدماء قبل سقراط وافلاطون فكانوا يعتقدون أن النفس ظل الجسم في أثناء الحياة ، وظل لهذا الظل بعد الممات ، فالنفس الجسمية – هي تلك الصورة الواهية التي لا يمكن إمساكها والتي تبقى بعد الموت على هيئة ظل ضعيف لا حول له وبسبب شدة لطافته وجوهره اللامادي – تشق طريقها نحو الروحانية ٠ بعد أن كانت سجينة البدن٠

وعموماً فما زالت النفس تحتفظ بطابع ديني بسبب خلودها والوظيفة التي تؤديها في العقائد الدينية٠

وكثيراً ما تخلط الشعوب بين أرواح الطبيعة والجن وبين أرواح الموتى ، ولكن عموماً الأرواح تتسم بالطبيعة الغامضة وما زالت تعيش على هيئة صور باهتة في ذكريات عجائز القرى ، وهناك أرواح أليفة تسكن الدور وأرواح الأرض من مردة وعفاريت ، وهناك شياطين الهواء والرياح العاصفة وهناك فرق بين شياطين الأمراض وأرواح النباتات كالشعير والقمح والأزهار والأشجار ، أي يجب أن نفرق بين الشياطين والأرواح وبين الأرواح والآلهة(٥) ٠

أما تايلور فيرى أن :

الإعتقاد في وجود النفوس وبقائها بعد الموت في صورة أرواح إعتقاد راسخ لدى جميع الشعوب بدائية كانت أم متحضرة ٠ ويرتبط بهذا الأعتقاد كثير من الطقوس والعادات والنظم المختلفة عند كل هذه الشعوب ٠

ويربط البدائي مفهوم النفس أو الروح بمفهومات أخرى كالظل والخيال والطيف والشبح ٠

واستنتج تايلور ذلك من نظريته عن " الأنيميزيم " حيث تنقسم إلى فرعين كبيرين :

الأول : يتعلق بوجود نفوس للكائنات الفردية ٠

الثاني : وجود أرواح على إختلاف درجاتها إبتداء من الأشباح حتى الآلهة أنفسهم ٠

وتصور الأرواح والأشباح والآلهة يتوقف على تصور البدائي للنفوس أي الكائنات غير المادية ٠

وقد توصل البدائي لتلك النظرة عن طريق تأمله عن السبب في وجود الإختلاف بين الجسم الحي والجسد الميت ، وعن سبب حدوث اليقظة والنوم والمرض والموت ٠ وكان يتساءل عن ماهية تلك الكائنات البشرية التي تتراءى له في الأحلام والرؤى ٠

وتوصل إلى وجود " شيء " ما في الجسم الحي وإنعدامه في الجسد الميت وهذا الشيء أمكن تسميته بمبدأ الحياة أو المبدأ الحيوي Vital Principle أو الحياة ٠

وأن ما يتراءى له في أحلامه من صور لأشخاص يعرفهم تمام المعرفة وربما إنتقل بعضهم من هذه الحياة أو يعيش البعض في أماكن بعيدة عنه ، أطلق تايلور على هذه الصورة الثانية الطيف Phantom ٠

مما جعل الأنسان يفترض أن لكل شخص "شيئين " يتعلقان به هما الحياة والطيف • فالحياة تمنح الجسم الشعور والفكر والحركة ، بينما الطيف بمثابة صورة أو شخصية ثانية له • وتنفصل الحياة عن الجسم فى حالة الإغماء والموت • والطيف يتراءى وحده للناس فى الأحلام والرؤى أى غير مادى وله خصائص الظل والخيال •

وأخيراً أدرك البدائى أن الحياة والطيف مظهرين لذات واحدة• وكثير من الشعوب تستعمل كلمة واحدة للظل والروح والنفس كما لدى اليونان القدماء يخلطون بين النفس Psyche والروح Pneum وفى اللاتينية يوجد خلط بين النفس والروح وأيضاً الإنجليزية والألمانية كلمة شبح Ghost تعنى نفس المعنى (٥م) •

فكرة العفاريت أو الموجودات الروحيةDaimons أو الجن :

تدل كلمة عفريت أو جن على موجودات فوق الطبيعة ، ولكن أقل فى الدرجة من الآلهة • وللشياطين والجن حياة كاملة من إدراك حسى وتفكير وشعور وتخيل ولها خصائص معينة لا ترى وتستطيع أن تنفذ من خلال الأشياء المادية بدون أن تغير من وضع أى جزء من أجزائها •

وهناك أنواعاً مختلفة من العفاريت والجن•

فى المسيحية ثلاث فئات : الملائكة Angels والأرواح الإنسانية ثم الشياطين • وفى الإسلام يضاف مجموعة الجن إليهم • وفى الأساطير اليونانية توجد موجودات روحية خيرة وأخرى أقل شراً وفئة ثالثة ليس لها

علاقة بالإنسان البته وفي الديانات الأخرى لايوجد تفرقة بين الآلهة والملائكة والشياطين كما في المسيحية والإسلام ، فهم يخلطون بينهم ·

فكرة القداسة أو التقديس : Holliness

يقوم كل دين على فكرة التقديس والإحترام والإجلال لبعض الأشخاص والأماكن والتصرفات والأفعال والأشياء المادية ، فمثلاً الأولياء يعتبرون من الأشخاص المقدسين، والمسجد والكنيسة وأماكن الحج ومقامات الأولياء المتوفين تعتبر أماكن مقدسة والصلاة وتقديم القرابين تعتبر أفعالاً مقدسة ، والصلبان والمسابح تعتبر أشياء مقدسة·

وقداسة الشخص أو ولايته تتلخص في أنه يستطيع التنبؤ بالأشياء المستقبلية وأن يميز بين الأشياء الصحيحة والباطلة بعد أداء بعض الطقوس والممارسات كتقديم القرابين للآلهة أو الصوم كلية أو عن بعضها أو الإنعزال عن الناس ، والبعض يقوم بممارسات تطهيرية معينة أو الإمتناع عن غيرها ، وهنا يحصل على المانا أو القوة التي تبدو في شكل معجزات يقوم بها الشخص المقدس كمداواة المرضى وعلاج الجرحى أو تحقيق بعض الأمنيات ، ولا تقف قوة الولي أوالقديس أو " مدده " عند حياته بل قد تمتد إلى ما بعد مماته كما في الأساطير الشعبية ، وفي المسيحية والإسلام والهندوكية ، فعظام الولي وشعره وأظافره وبقايا جسمه بل ومقامه ،كلها تكون محلاً لأعمال خارقة للعادة أو للمعجزات·

الأماكن المقدسة:

وفي جميع الديانات نجد أماكن مقدسة تلك التي تعبد فيها الآلهة ويقام بها الطقوس مثل الزوايا والمساجد والأديرة والكنائس ثم قبور الأولياء

والقديسين تعـــد أماكن سلام يحرم بداخلها القتال تحريماً باتاً فى جميع الأديان تقريباً ٠

الأشيـــاء المقدســـة :

مثل مخلفات الأشخاص من القديسين والأوليـاء مـن ملابـس وأدوات يعتقد أن البركة حلت بهذه الأشياء ، ويستعان بها كأدوات للتقرب من الآلهة أو درء الضرر أو الحماية منه ٠

التــابـــــو : Taboo :

تكتـب فى صور شتى Tabou أو Tapou أو المحرم وتطلق على الشـىء أو الشخص أو الوقت أو النبات أو التصرف المزود بالقوة التى يجب التصرف إزاءهـا دينياً بشكل معين ، كالتنبيه إلى الإحتراس عنـد الإقتراب منهـا ، أو وجود مسافة معينة بينهم وبينها ، أو عدم لمسها بطريقة معينـة ٠ كما تـدل كلمـة تابو على الأعمال المحرم القيام بها ٠

وينصب التابو على أشياء وأشخاص مختلفة من مجتمع لآخر ، ويثير التابو فـى نفوس الأفراد الخوف والرعب ويؤدى بهم إلى التعود على ملاحظة القواعد الخاصة بـه ٠

وكلمـة التـابو أدت إلى قسمة الأشـياء إلى أشياء مقدسـة وأشياء دنيويـة Profanes ٠

وتطلق كلمة تابو في المجتمعات الحديثة على جميع الأفعال المحرمة سواء من الناحية الدينية أو المدنية ، فمثلاً عدم مراعاة قواعد اللياقة تسمى تابو٠

والتابو المدني يكون الجزاء مدنـي صرف ، يتمثل فـي إحتقار الأفراد للشخص المخالف أو في عقوبات مدنية تقع عليه ، في حين أن التابو الديني يعتمد على قواعد روحية والجـزاء روحـي ٠

ثانيا : العناصر الذاتية والحركية للدين :

وهي التي تتعلق بالإنسان نفسه ، وتقوم على معتقداته الدينية والواجبات والإلتزامات المكلف بالقيام بها دينياً ، والغرض الذي يتوخاه من الحياة الدينية والأعمال أو الطقوس التي يقوم بها لبلوغ هذه الغاية ، والوسائل التي ينظم بها حياته الدينية وأخيراً النتائج التي تنتهي إليها حياته الدينيـة ٠

وتتمثـل العناصـر الذاتية في الآتـي :

١ – الإيمـان :

هو العنصر القلبي ، فكل دين يقوم على الإعتقاد الراسخ بعدة مبادىء ، والإيمان يعد الركن الأساسي لكل حياة دينيـة يتضمن مبادىء يطبقها المجتمع في حياته العملية ٠

والإيمان هو الإعتقاد بهذه المبادىء التي لا يتطرق إليها الشك٠

ولكن ليس كل إعتقـاد يمثل إيماناً. فهناك معتقـدات علمية تبنى على قواعد ومعلومات علمية مثل الإعتقاد بأن السماء لن تمطر خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة.

أما المعتقد الدينى فيلقى فى القلب إلقاء، فهو يعتمد على القلب أكثر مما يعتمد على العقل ، كما أن الإيمان يعنى الإعتقاد أو الإفتراض القلبى فهو إفتراض صحة وجود شيء ، فالمؤمن بالله لم ير الله وليس لديه الوسائل لعمل تجارب علمية يستنتج منها ذلك ، ومع ذلك يؤمن بالله ،كما أن الإيمان يعنى التصديق ولا يعنى العلم فالتصديق عنصر هام من عناصر الإيمان.

أما المجتمعات التى تغلب عليها النزعة العقلية نجد الأفراد يبنون معتقداتهم الدينية على مبادىء عقلية ومنطقية، وبذلك يخرجون عن مجال الحقائق الدينية نفسها التى تقوم على النقل وعلى الإيمان القلبى أكثر مما تقوم على العقل . والنتيجة ضعف الإيمان.

٢ – الطقوس Rituals :

والإنسان لا يعتبر متديناً إلا إذا قام بالطقوس والأعمال التى يفرضها الدين ، فالدين ليس معتقدات إيمانية يعتنقها الشخص فحسب بل هو يفرض أنواعاً من السلوك والطقوس والعبادات وإلا كان إيمانه ناقصاً ، مثال ذلك الصلاة والزكاة والصوم وحج البيت فى الإسلام ، فالطقوس تتعلق بالمعتقدات فى كل دين.

إذن الطقس الدينى يعتمد على معتقد أو إيمان دينى . وهذه هى الصفة الأولى.

الصفة الثانية : للطقس الدينى هى التعود على القيام به بشكل آلى روتينى فى أوقات معينة ·

الصفة الثالثة : هى الصفة الإجتماعية أى أنه ينتشر فى المجتمع كله وملزمة للأفراد، فالفرد حينما يقوم بالطقوس والعادات الدينية إنما يقوم بعمل يقوم به الأفراد الآخرون·

وبعض الديانات تفرق بين الأعمال والطقوس ، فالأعمال الدينية مثل الإحسان للفقراء وطاعة الوالدين ومساعدة المرضى تعتبر أعمال ، أما الطقوس فهى الصوم والحج وتقديم الأضاحى والقرابين والتطهير فهى طقوس ، وفى الإسلام لا يفرق بين الأعمال والطقوس (٦) ·

ويرى باستيد أن هناك طقوساً إجتماعية مثل طقوس " البروتوكول " السياسى فى المجتمع الغربى ، أو فى الأعياد غير الدينية الكبرى ، وفى الشرق فالطقوس "الكونفيشيوسية " طقوس مدنية محضة وليست ذات طابع دينى·

والطقوس عموماً تعبر عن أشياء أو كائنات مقدسة تلك التى يشعر الإنسان تجاهها بالرهبة والخوف ، وهى قوى تميل إلى نجدة الإنسان · ومن هنا نشأت الرغبة فى الوصول إليها بدلاً من الفرار منها والتقرب لها والإستحواذ على رضائها · وهكذا نشأ "العمل المقدس" وتشكل لأول وهلة بطابع "الطقس الدينى " ·

وهناك نوعان من الطقوس :

أ - طقوس إفتراق من المرحلة الدنيوية إلى الدينية وتسمى طقوس

تمهيدية. التى تعد الإنسان للإنتقال وللتحول الدينى .

ب - الطقـوس الخاصة بالإنضمـام أو الإتحـاد .

أ - الطقــــوس التمهيـــدية :

لا يستطيع الإنسان الإقتراب من الأشياء المقدسة دون أن يكون طاهراً من كل رجس. ومن هنا نشأت مجموعة طقوس التطهير التى تعد مقدمة لجميع الطقوس الدينية والسحرية أيضاً ، ويتم التطهير لإبعاد الشر الذى لحق بالإنسان.

ويتم التطهير الدينى بوسائل متعددة . والإستحمام بالماء أكثر هذه الوسائل شهرة ويمكن أن يتم التطهير بإستخدام النار أو الدم أو إستخدام البخور . وللوضوء تاريخ طويل فقد إستمر فى الوجود على الرغم من تتابع الأديان.

كما أن الإعتراف بالذنب يعد سبيلاً إلى التطهير فى الديانات العالمية الكبرى . كما نجده فى الديانتين " المازدية " و " البوذية " كما نجده أيضاً فى المسيحية.

فالتطهير يجعل الإنسان قادراً على الإقتراب من الآلهة.

ب - طقــــوس الإتحــاد " القربــــان"

القربان عمل طقسى يعتقد الإنسان أنه الوسيلة التى يؤثر بها فى القوى الخفية ، إما لكى ينجو منها أو يرضيها ويمجدها ، أو لكى يتحد بها .

فالقربان ليس نوعاً خاصاً من الطقوس ولكنه ينطوى على أنواع عديدة ·
ويفرق الألمان بين قرابين الشكر ، وقرابين الرجاء ، وقرابين التكفير عن خطايا الأفراد أو الجماعة ·

ونظرية تايلور فى القربان يرى أنه هدية تقدم للأرواح لتحقيق الأمنيات والأغراض ·

وهذه الهدية كانت أحياناً عبارة عن ضحية حيوانية ، وأصبح الإنسان يقدم عواطفه للآلهة بدلاً من القرابين المادية وتحول القربان وأصبح نسكاً·

وهناك من يرى أن القربان شيء آخر غير الهدية التى تقدم مصحوبة بالتقوى ، فهو وجبة طعام· وهذا الطابع الغذائى يتمثل فى إراقة الدماء التى ما إن تتوغل فى باطن الأرض حتى تلتهمها الآلهة الأرضية·

وهناك قرابين أخرى تقنع فيها الآلهة بجزء من الضحية كالشحم أو الدم ، إذ يأكل الناس كل ما بقى بعد ذلك·

وهكذا كان الإتحاد يتم بين القوة الإلهية وبين المؤمنين بها عن طريق تناول طعام بعينه·

أما قربان التكفير فى أوقات الشدة فإن إشتراك المعبود مع عابديه فى وجبة طعام حتى يعود ويحمى شعبه ·

ولم يظهر القربان بمعنى الهدية إلا بظهور النظم الملكية أى كمظهر الضريبة التى تدفع للإله ·

أمـا القربـان الإنسـانى : فالحياة الإنسانية أثمن الهدايا جميعها وهيبير وموس يريـان أن القربان نـوع مـن التقديـس أى مـن حالـة الدنس إلى حالـة القداسة ٠

وإن قلنا أن القربان هديـة فهـو ليس مجرد هديـة عاديـة ، وعموماً فالقربان عمل دينى يهدف لتقديس الضحية٠

وظـائف القـــربـــان:

له وظيفة دينيـة هـى تقويـة الإيمـان ، وتنميـة العاطفـة الدينيـة ، وله وظيفة إجتماعية إذيقدم من أجل خيرات إجتماعية مثل زيادة المحصول ويجدد العلاقات العائلية ،كما أنه تراث ينتقل من الآباء إلى الأبنـاء أى يوحد بين الأجيال الحاضرة والأجيال الغابرة٠

٣ – الصـــــــلاة :

الصـلاة طقس دينى شفوى ، ويمكن التفرقة بين الصلاة الفردية وهى ولبة

القلب نحو إلهه ، وبين الصلاة العامة التى ترتبط بالعبادة ٠

والصلاة الفردية ما هـى إلا مجرد صدى داخلـى للصلاة العامة إذ تحتوى على تصورات تعلمها الفرد فى إجتماعات المؤمنين٠

وتعد الصلاة العامـة موضوعاً للدراسـة فـى علـم الإجتمـاع الدينى بعكس الصلاة الفردية فتخرج عن نطاق علم الإجتماع الدينى (٢) ٠

٤ – الأضحيـــة : Sacrifice :

والأضحيات هـى الأشياء من حيوانـات أو مأكولات أو أشياء أخرى تقدم كقرابين للآلهة أو للحيوانات والأشخاص المقدسين٠

٥ – الأعيـاد الدينيــة:

وهى أيام مباركة أو مفروض أنها محملة بالقوى الروحية ولكل حفل أو عيـد قوة روحية وميزة خاصة به ٠

وللأعياد وظائف منها بعث الحياة الإجتماعية مـن جديـد ، فنهايـة العـام وبداية عام جديد إيذاناً ببدء تجديـد الحيـاة ، كم أن الأعياد إحيـاء لذكـرى حـوادث تاريخية مرت بهـا المجتمعـات والأفـراد وبذلـك تتجـدد الذكـرى ويتجدد النشاط والحماس الدينيان والإجتماعيان ٠

٦ – الأساطير الدينيــة : Myths :

تعنى حكاية أوقصة شعبية تتناقلها الأجيال المختلفـة فـى المجتمـع الواحـد مثل قصة أوبو زيد الهلالى سلامة أو قصة الشاطر حسن أو سيف بن ذى يزل ٠

هذه الأساطير يكون لهـا أسـاس فـى الواقـع يـروى قصـة أشـخاص حقيقيين ولكن قسماً كبيراً منها يقوم علـى الخيـال بحيـث يطغـى علـى الجزء الحقيقى الواقعى٠

أمـا الأسـاطير الدينيـة فهـى تنتشر فـى كـل ديـن تدعـو إلى فضـائل معينـة أو تروى قصـة ولى أو قديس أو شـهيد دينـى أو التـى وردت علـى لسـان الأنبيـاء والرسل والأولياء والقديسين مثل حكايات خلق العالم أو نزول آدم مـن الجنـة أو خلق آدم وحواء وموسى وروايات الأنبياء ، أى مـا ورد فـى الكتـب الدينيـة المقدسة ٠

ويرى باستيد هناك العديد من التعريفات للأسطورة ، قال بعضهم أنها تنقل إلينا قصص الآلهة ، كما تنقل الملاحم أخبار الأبطال ولكن ليس هناك بين الأبطال والآلهة هـــوة يستحيل إجتيازها فالبطل يعده البعض إبناً للإله وبعد موته يلحق بجماعة الخالدين .

والبعض يعرف الأسطورة بأنها مجردة من كل طابع زمني في حين أن الملحمة أو القصة تحتل مكاناً معيناً من الزمن.

ويعتبر " روجيه باستيد " أن الأسطورة موضع عقيدة ، وأن جماعة صغيرة أو كبيرة من الناس قد إرتضت مجموعة كاملة من التصورات الخاصة بالآلهة والعالم والعلاقات بين الإنسانية وبين الأمور الخارقة للطبيعة ، وتختلف هذه التصورات من جهة التفاصيل ولكنها ثابتة إلى حد ما من جهة الأفكار العامة الرئيسية ، وتعد هذه التصورات في نظر تلك الجماعة عقيدة أولى.

أي أن الأساطير مجموعات من التصورات المعقدة التي يستطيع المرء أن يفرق فيها بين عدد خاص من الموضوعات العامة ، مثال ذلك قصة الطوفان لدى الساميين تنطوي على الموضوعات الخمس الآتية وهي:

١ - يريد الإله عقاب الإنسانية الضالة.
٢ - يتلقى رجل صالح الأمر ببناء سفينة.
٣ - ويضع فيها الحيوانات من كل نوع .
٤ - ثم يطلق حمامة .
٥ - ويصل إلى قمة جبل.

ويطلق على هذه المجموعة إسم " حلقة الموضوعات العامة " .

وقد أدت الأساطير إلى نشأة علمين :

١ - علم الأساطير المقارن:

يدرس الأساطير داخل فروع جنس بشرى معين بالذات.

٢ - علم الأساطير العام :

يكشف عن أساطير العالم المترامى الأطراف ولكن ما يهم علم الإجتماع الدينى الآتى :

أ - أن الأساطير تصورات دينية .

ب - أن التصورات الدينية تصورات إجتماعية.

وعموماً الأساطير تحاول تفسير الظواهر الطبيعية (٨) .

٧ - الثواب والعقاب والرحمة:

والرحمة تعنى إنقاذ شخص أو المجتمع من ظروف قاسية أو خطر أو أذى يتهدده (٩).

تلك أهم الأفكار التى يتألف منها المجال الدينى.ويمكن أن نضيف إليها حب الله وإتباع أقوله والغاية من عبادة الله .

علم الإجتماع الدينى والعلوم الدينية :

هناك فرق بين علم الإجتماع الدينى وبين العلوم الدينية أو اللاهوتية أو علوم الإلهيات أو العلوم الشرعية ، فالأخيرة تتناول النواحى المختلفة من دين معين تبحثها فى تفصيلاتها وجزئياتها.

والفرق واضح بين علم الإجتماع الديني والعلوم الدينية التي كا يقول بن خلدون "مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول " فمثلاً علم تفسير القرآن الكريم أو الكتاب المقدس

وإن كان البحث يستخدم العقل والإستدلال المنطقي إلا أنه يفترض مقدماً وبشكل لا يتطرق إليه الشك أن هذين الكتابين منزلان أو أنهما صحيحان لا تحريف فيهما أي تعتمد على النقل أكثر من العقل ، فالعلوم الدينية تختلف عن العلوم الفلسفية ، فالأخيرة يعتمد فيها الإنسان على طبيعة فكره ويهتدي بإدراكاته البشرية إلى موضوعاتها وبراهينها ويصل ببحثه إلى التمييز بين الصواب والخطأ فيها ، بينما العلوم الدينية تعتمد على الإيمان أولاً ثم التعقل ثانياً بعكس العلوم الأخرى.

فعلم الإجتماع الديني هو أولاً ليس علماً شرعياً نقلياً لأن مهمته دراسة الظواهر الدينية في مختلف المجتمعات دون التحيز لدين معين .

تصنيف العلوم الدينية :

وقد يختلف تصنيف العلوم الدينية من دين لآخر تبعاً لتطور الحالة الثقافية والعقلية للذين يعتنقونه أو يبحثون فيه .

وصنف حسن شحاتة سعفان العلوم الدينية إلى أربعة مجموعات :

١ – علـوم التفسيـر :

وهى تقوم بتفسير الكتاب أو الكتب التى تحمل أصول الدين الذى يدرسه الباحث كالقرآن الكريم بالنسبة للمسلمين أو الكتاب المقدس بالنسبة للمسيحيين والكتب الخمسة لكنفوشيوس بالنسبة للصينيين ٠

وهناك مذاهب تأخذ النصوص بحرفيتها وأخرى تهتم بروح النص والظروف التى قيل فيها أو نزل بشأنها ، وثالث يأخذ الألفاظ والمعانى التى ترد فى النصوص على أنها رموز لمعانى لا تتبادر إلى ذهن القارىء ٠

٢ – علوم التوحيد أو العلوم المتعلقة بالمعبود Theodicee :

هى التى تبحث فى الذات الإلهية وتشابهها وإختلافها مع الحوادث أو المخلوقات٠ والصلة بين الخالق والمخلوق ٠

٣ – علـوم الفقـه Doctrine :

هى أهم العلوم الدينية بالنسبة لعالم الإجتماع لأنها تبين قواعد السلوك والعلاقة بين الأفراد من جهة وبين الحكام من جهة أخرى ، وموقف الدين من النظم الإجتماعية المختلفة أسرية وإقتصادية وتربوية وسياسية إلخ٠

وهنا يحاول علماء الإجتماع الدينى أن يوضحوا موقف الدين من التطور الإجتماعى الذى يطرأ على المجتمع ومن الأحداث والوقائع المتغيرة موضحين ما يحله وما يحرمه الدين منها عن طريق ما يصدره رجال الدين من فتاوى ومنشورات دورية بعضها يتسم بالتشدد والتعسير والبعض يتسم بالتيسير والتسهيل ، فقد يميل رجال الدين إلى الجمود والتزمت حيناً أو إلى التجديد

والتحرر حيناً آخر ، ومهمة عالم الإجتماع الديني رصد هذه الآراء التي تؤثر على الوسط الإجتماعي وما يتمخض عن التطور في الوقائع الإجتماعية الجديدة ·

٤ – علوم التقاليد والسير الدينية : Tradition :

وهي ما تسمى عند المسلمين بعلوم الحديث وبالنسبة للمسيحية تستمد موضوعاتها من القواعد الدينية المتوارثة والتي صاغها كبار رجال الدين في العصور المختلفة ولا سيما رجال المجامع المقدسة على ممر العصور التاريخية·

أما عند اليهود فنجد أن التلمود (ومعناه التعليم) الذي هو عبارة عن مجوعة تفسيرات للقوانين الموسوية ، وينقسم إلى قسمين :

المشتـــاه : وتشتمل على التقاليد الشفوية لهذه التفسيرات ·

الجمـارة : تشتمل على تعليقات وحواشي على هذه التفسيرات·

أما التقاليد الدينية الإسلامية : فهي تتلخص في الأحاديث النبوية ، أي ما ورد عن النبي محمد (صلعم) من أقوال وأفعال بجانب ما ورد عن الصحابة والمقربين ، وإن كانت أقل مرتبة من القرآن الكريم ·

وعموماً تصنيف العلوم الدينية كثيرة ومتنوعة وتختلف من دين لآخر ومن مؤلف لآخر·

وقد وضع ابن خلدون تصنيفاً للعلوم الدينية الإسلامية وهي :

١ - علم التفسير ٢ - علم القراءات ٣ - علوم الحديث
٤ - أصول الفقه ٥ - العقائد الإيمانية ٦ - علم الكلام

تلك هي العلوم الدينية التي تدرس النواحي المختلفة من الدين .

مما سبق يتضح أن موضوع علم الإجتماع الديني يختلف عن موضوع العلوم الدينية لأنه يعالج الظواهر الدينية في نشأتها وتطورها وأثرها على الظواهر الإجتماعية الأخرى.

وموقف علم الإجتماع الديني يشبه موقف الإجتماع اللغوي من العلوم اللغوية كعلوم النحو والصرف والبلاغة ، فهو لا يدرس اللغة في ذاتها وإنما يدرسها كظاهرة إجتماعية تتأثر بأنواع الظواهر الأخرى السائدة في المجتمع وتؤثر فيها .

فعلم الإجتماع الديني يستعين بالعلوم الدينية على فهم المبادىء الدينية في أصولها وحدودها لفهم الظواهر الإجتماعية الدينية التي تنبع من المبادىء الدينية (١٠) .

مراجـــع
الفصـل الأول

١ – حسن شحاتة سعفان ، الدين والمجتمع ، دراسات فى علم الإجتماع الدينى ، دار التأليف ١٩٥٨ الفصل الأول ، علم الإجتماع الدينى ٠

٢ – روجيه باستيد : مبـادىء علم الإجتمـاع الدينى ، ترجمـة محمود قاسم، مكتبـة الأنجلو المصرية ، ١٩٥١ ص ١١ – ١٥ ٠

٣ – محمد احمد بيومى : مرجع سابـق ص ٢١٧ – ٢٦١ ٠

٤ – حسن سعفـان : مرجع سابق ص ٦٥ – ٩٢ ٠

٥ – روجيه باستيد : مرجع سابق ص ٦٩ – ٧٣ ٠

٥م – احمد ابو زيد : تايلور ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧ ٠

٦ – حسن سعفـان : مرجع سابق ص ٧٩ – ١١٢ ٠

٧ – روجيه باستيد : مرجع سابق ص ١١٧ – ١٤٩ ٠

٨ – روجيه ياستيد : مرجع سابق ص ٧٣ – ٧٥ ٠

٩ – حسن سعفان : مرجع سابق ص ١١٨ – ١٣٢ ٠

١٠ – حسن شحاتة سعفان

الفصـــل الثـانى

الديـــن

تعريفه وخصائصه ووظائفه

١- تعريف الدين

٢- سمات الدين

٣- وظائف الدين

الفصل الثـانى

الديــن

فى خلال أوائل ومنتصف القرن التاسع عشر إهتم علماء الأنثروبولوجيا بدراسة الدين أثناء قيامهم بدراسة المجتمعات البدائية فى أفريقيا ٠ وقد لاحظو التنوع الهائل للأشكال الدينية والسلوك الدينى نتيجة لعزلة تلك المجتمعات بعضها عن البعض فترات طويلة من الزمن ، إلى أن أتى عصر الإستعمار٠ وكان أهم ما تتميز بـه هذه الديانات البدائية فكرة الوجـود والخلق ٠

كما بذل بعض العلماء جهوداً من أجل تحليل دور الدين فى المجتمع (١) مما ساعد على إستكمال البحث٠ ومن أهم هؤلاء اميل دوركايم ، ماكس فيبر ، جورج زيمل ، كما أن وجود الدين واستمراره فى أشكاله المختلفة أجبر العلماء أخيراً على إعادة الأولوية لفهم وإدراك طبيعة ووظيفة الدين ٠

وتذكر الموسوعة العالمية للمعارف والعلوم الإجتماعية (٢) أن الدراسة الأنثروبولوجية للدين لها أهميتها الكبيرة فى توضيح الفكر العام والجـو الأخلاقى للزمن الذى نعيش فيه ٠

والأبحاث التى قام بها ادوارد بيرنت تايلور كانت تخص المعتقدات والشعائر الدينية التى لها صفة القـدم للقاطنين فى أماكن نائية ، أو للناس

البسطاء ، " البدائيين " ، ومن نتائجها يظهر تعرف الانسان على ذاته ، وقد كانت هذه الأبحاث الأولية عن البدائية غريبة وشاذة وأيضاً مدعاة للتسلية ، ثم أصبحت دراسة الديانات البدائية فى مركز الصدارة ، وبالطبع هى غير مقترنة بالديانات التى لها مركزها واعتبارها بالنسبة للمدنية المتقدمة .

أولاً : تعـريف الديـن

وقد إختلف العلماء فى تعـريف الديـن ، ولكنهم لـم يختلفـوا فى وجوده فهناك إجماع على فكـرة الدين فـى مختلف الشعـوب والجماعات ، سـواء كانت بدائية أو متحضرة ٠ وهذا الأمر استمر على مـدى العصور من عصر ما قبل التاريخ حتـى الآن ، مما يدل على أن له قاعدة ثابتـة فى أعمـاق البشر ، بحيث أصبح الخـروج عن هـذه القاعدة هـو الوضع الشاذ ٠

لقد أجمعت الآراء علـى وجـود قـوة خفيـة تسيطـر علـى الكـون سـواء كانت قـوة منفردة ، أو قـوى متعـددة ، أو قـوة لهـا أشكال متعـددة ٠ هـذه القوى لها علاقات بالبشـر والبشر لهم علاقـات بهـا ، تتمثـل هـذه العلاقـات فـى مشاعـر الخضـوع ، أو الرهبـة أو الخـوف ، فـى المناجـاة أو التخاطب بمـا يسميه البعض التضـرع أوالصـلاة أو الإبتهـال ٠ مـع قيام بعض الممارسات والشعائـر منها تقـديم القرابين أو الذبائح ، أو إقامـة الأعيـاد أوالمواسم ٠

وتقـول دائـرة معـارف العلـوم الإجتماعيـة (٣) أن البوذييـن والبـراهميين الأوائـل هـم صـورة أو مثـال ممتـاز للأديـان التـى أخـذت بوجـود قـوة خارقة للطبيعـة٠ بدأت كفكـرة قـوة مجـردة ثـم فى مراحل تطـورهم أخذوا بفكـرة الإلـه المتشخص٠

أمـا عن تعريف الدين فلا يوجـد موضـوع إختلفـت فيهـ الآراء كمـا إختلفت حـول طبيعـة الديـن ٠ ومـن الصعب الوصـول إلى تعريف يكـون مقبـولاً من الجميـع ٠

وهـذا ما يؤكده بيتـر ل· بيرجر (٤) إذ يقـول أن التعريفـات بطبيعتهـا لا يمكـن الحكـم بأنها صادقـة أو غيـر صادقـة · لكـن يمكـن مناقشـة فائدتهـا النسبيـة فقد يكون تعريف منها أكثر فائدة من غيره ·

ويقول الفريد برسوليت · أن مشكلة التعريف المحـدد والواضح للديـن مشكلة معقـدة ، ولكننا فى وجـود الفاصل بين ما يدخل نطـاق الدين وغيـر الدين ، نجـد بعـض الثقافات مثـل ثقافـة البولونيزيا والميلانيزيا تميـز بينهما تمييزاً واضحاً بين الشيء العادى أو الدنيـوى Profane ، التابـو Tapu وغيـر العادى أو الغامض الذى تمثله قـوة أو قوى موجـودة ، ولا يستطيـع الشخص السيطـرة عليها بل هى قادرة أن تؤثر فيه وفى حياتـه ولا يستطيع الهـروب من مخاطـر هذه القوى .(٥)

ويستطـرد فى قوله بأنـه يمكننا أن نضع تعريفاً مبدئيـاً للدين " علـى أنـه العلاقات المعقـدة بين الإنسان والقـوى الخارقة غيـر البشريـة · فالديـن كما عرفه C. A. B. Bernoulli " ليس هـو نشاطاً ذاتياً مستقلاً للإنسـان " ولا إظهـاراً للروحانيـة الإنسانية من جانب واحـد ، ولكنه يحمـل فى طياته عمليـة تفاعل حيـوى وعكسـى بين الإنسان والقـوى الخارقـة أو الفائقـة للطبيعـة ·

وبينمـا إختلفت الآراء حـول تعـريف الديـن ، إلا أن عبـاس محمـود العقـاد يرى أن علمـاء المقارنـة بين الأديان إتفقـوا على تأصل العقيـدة الدينيـة فى طبائع بنى الإنسـان منـذ أقـدم أزمنـة التـاريخ ، ولكنهـم لم يتفقـوا علـى أصـل العقيـدة أو أصل الباعث إليها·(٦)

من هذا يمكن القول أنه لا يوجد تعريف مطلق ، كما لا نستطيع أن نحدد مفهوم الدين فى فكر كل فرد · ولذا سنحاول أن نعرض بعض الآراء فى تعريف الدين دون محاولة تقييم تلك التعريفات أو الحكم عليها ·

يرى فريزر أن الدين (٧) قد بدأ بظهور فكرة الآلهة ، أو ظهور فكرة أرواح الأفراد ، أو أرواح الطبيعة ، أما فيما يختص بطقوس البدائيين التى تقوم على وجود قوة خفية وغير شخصية فيرى أنها ترجع إلى السحر وليس إلى أى عنصر دينى · وهو يعرف الدين بأنه " التزلف والتقرب إلى القوى العليا التى تفوق الإنسان · والتى يعتقد أنها توجه سير الطبيعة وسير الحياة البشرية وتتحكم فيها "·

وبهذا يتكون الدين من عنصرين أحدهما نظرى ، وهو الإيمان بوجود قوى أعلى وأسمى من الإنسان ، والثانى عملى هو إستمالة هذه القوى وإرضاؤها ولكنه يرى إن لم يترتب على هذا الإيمان قيام شعائر وممارسات متعلقة به فلا يكون ديناً بل يكون مجرد لاهوت ·

ورالف بيلز وهارى هويجز (٨) يقولان أن كثيراً من النشاطات اليومية تكون عرضة للفشل لنقص المهارة وقلة المعرفة ، وحينما يصعب تفسير الفشل أحياناً ، يفسر على أنه نتيجة لقوة علوية وهذا هو الدين ·

أما وستر مارك (٩) فهو يعزو الدين إلى إيمان الشخص وموقفه السلوكى من كائن أسمى من الطبيعة يشعر الإنسان بحاجته العظمى إلى معونته ، فيتجه إليه بروح الخشوع والتعبد ·

نخلص من هذا أن هؤلاء العلماء أطلقوا على القوة التى تدير الكون ألقاب وأسماء مختلفة مثل قوة علوية ، كائن أسمى من الطبيعة ، أو قوى عليا تفوق الإنسان ٠ أما ماكس مولر فيسمى هذه القوة العليا " اللانهائى " ويقول عن التأمل الباطنى أنه " الشعور باللانهائى بينما يقول عنه شليومارشر " خضوعنا لوجود لا يناله إدراكنا " (١٠) ٠

ويرى دور كايم أن الدين (١١) وحدة من المعتقدات والممارسات وأن جميع المعتقدات الدينية تقوم على أساس تصنيف الأشياء إلى نوعين دنيوى ومقدس ٠ ويسمى تلك القوة الخفية بالشىء الخاص أو المقدس.

وفى كل الأنساق الدينية ، كثير من الناس ينظرون إلى هذا الشىء المقدس أو الفائق للطبيعة على أنه تلك القوة أو الكيان الذى لا يعتبر موضوعاً يخضع لقوانين الملاحظة الكونية أو العالمية ، والتى تتمثل فى الله أو أى عدد آخر من الآلهة ، أو الشياطين أو أرواح الأسلاف ٠

ويذكر محمد عبدالله دراز أن الدين " وضع إلهى يسوق ذوى العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح فى الحال ، والفلاح فى المال " كذلك يقول أنه " جملة القوانين النظرية التى تحدد صفات تلك القوة الإلهية وجملة القوانين العملية التى ترسم طريق عبادته " (١٢) والغربيون أيضاً يرون أن هذه القوى هى الله ، وهذا هو معتقد كل الديانات السمائية.

نخلص من ذلك أن جميع العلماء أجمعوا على وجود قوة خفية لها السيطرة ، ولها الخضوع من البشر والعبادة ٠ وإن كانت آراؤهم تنوعت فى

تعريف أهمية هذه القوة الخفية التي تحكم الكون والتي يسميها المتدينون الله ، وتطلق عليها العبادات البدائية أسماء أخرى أو تراها ممثلة في كثير من الآلهة . فهذه الآلهة تتصف بصفات معينة ، وهي أنها غير مرئية وغير منظورة ، وإد راكها فوق الفهم البشري ، وقادرة على كل شيء ، موجودة في كل مكان ، تقدم المعونة للإنسان ويتوجه إليها الناس بالعبادة إما خوفاً منها أو حباً فيها ، وقد دخل السحر في بعض الديانات كوسيلة للتقرب إليها .

وروناالد جونستون (١٣) يحاول أن يضع تعريفاً للدين يتفق مع ميول معظم الناس عن الأديان فيقول أنها " نسق من المعتقدات والممارسات التي بها تفسر جماعة معينة من الناس ما تشعر به من أمور مقدسة وخارقة للطبيعة . وهو يقول أن البعض يعتقد أن الدين مجموعة رسائل محددة من إله أو معبود . غير أننا نقول أن هذا جانب واحد فقط من الدين أما الجانب الآخر هو مدى إستجابة البشر لهذه الرسائل .

أما خلاصة التصور الديني عند Luckmann (١٤) فهو قدرة الكائن العضوي على تجاوز طبيعته البيولوجية من خلال البناء الذاتي واضعاً في عقله كل المعاني الكونية التي يؤمن بها.

ويمكن القول أنه مهما تعددت الآراء في تعريف الدين ، فإنه على أي الحالات هو خلاصة ما أجمعت عليه تلك التعريفات فهو " المعتقدات الخاصة بالله ، أو القوى الخفية التي تدير الكون ، صفاتها وأسماؤها ،

علاقاتها بالبشر وعلاقة البشر بها ٠ والقواعد المتبعة فى إرضـاء هـذه القـوى الخفية ، ثم أيضاً الحيـاة ومـا بعـدها أى المـوت ٠ ومـا يصحب ذلك مـن ممـــارسات وطقـــوس ٠

ثانيا : سمات الدين وخصائصه

وعلى الرغم من تعدد الآراء فى تعريف الدين ، إلا أن هناك سمات عامة مشتركة أجمع العلماء على وجودها فى جميع تلك الديانات وهى :

السمة الأولى: الدين سمة فردية وظاهرة جماعية :

من المؤكد أن الدين هو حدث أو موضوع فردى ، باعتبار ه يشكل موضوع المعتقدات الشخصية البحتة التى يؤمن بها الفرد ، فالأفراد لهم حرية إعتناق أى نظام دينى يفضلونه ، ولذا يرى رونالد جونستون أن الدين له بعداه الجماعى والفردى (١٥)،

ويلاحظ أن الناس عبر التاريخ وفى كل أنحاء الكرة الأرضية ينضمون إلى أية حركة دينية سواء إلى طائفة ، أو مذهب أو إجتماعات صلاة ، أو زيارة أماكن مقدسة ، أو تجمعات طقسية ، وأحياناً يلتف الناس حول شخص لديه خبرة بالأمور الروحية والأسرار العلوية فينجذب إليه الآخرون، أراد أو لم يرد ، ويصبح لهم قائداً أو زعيماً ، حتى الحركات النسكية المنعزلة نجد النساك فيها ينتمون إلى بعض الجماعات الدينية الرئيسية كالبوذية ، والرهبنة القبطية والكاثوليكية أو التصوف الإسلامى وهكذا.

فالإنسان لا يمكن أن يكون كائناً بشرياً بعيداً عن التأثيرات الإجتماعية، وحتى فى موقف الرهبنة والعزلة فهناك نوع من التنظيم الذى يجمع بين هؤلاء المتوحدين ،

والتصوف والرهبنة أيضاً فى البداية هما تجربة فردية بالدرجة الأولى ٠ فالراهب والصوفى هو شخص معين ، من بين المجتمع ، تدفعه دوافع إيمانية وسيكولوجية وإجتماعية وفلسفية وحضرية ، تجعله يتجه هذا الإتجاه ، وحينما يدخل الشخص هذا المسلك، ويسلك هذا الإتجاه ، يصبح خاضعاً للتنظيم الجماعى ٠ وهذا يتفق مع ما قاله جونستون من أن للدين بعديه الجماعى والفردى ٠

وعلى الرغم من أن الرهبنة والتصوف كلاهما ظاهرة إجتماعية ، بمعنى أن هناك مجموعة من الأفراد تجمعهم رابطة معينة ، تفرض عليهم القيام بمجموعة من الممارسات المتماثلة التى تتخذ صورة الإنفعالات٠ إلا أنهما أيضاً تجربة فردية من حيث الإنفعال بهذه القيم ، أى لابد من وجود الدافع الذاتى أو المبادرة الذاتية نحو الإنتماء أو الإنخراط فى هذه العبادات٠

ونجد أيضاً دوركايم (١٦) يرى الدين كظاهرة إجتماعية موضوعية ، يعتمد على التفكير الفردى والعقل الفردى ٠ فالدين عنده فكر وشعور ، وهو فى هذا ظاهرة فردية ، ولكنه أيضاً ظاهرة إجتماعية موضوعية ٠
والذى يعطيها هذه الموضوعية ثلاثة أشياء :

١ – تناقلها وتواترها من جيل إلى جيل٠ فإذا كانت هى نظرية فردية أو فكرة فردية أو إقتناعاً فردياً ، فإننا نجد أن ما يتقبله شخص ما ، قد يكون بعيداً عن تفكير شخص آخر٠ ولكنه شىء يوجد قبل ميلاد الفرد ، وسيظل بعد وفاته ، ويكتسبه تماماً مثل إكتسابه للغة٠ وهذا لأنه ولد فى هذا المجتمع ٠

٢ – شيوع المعتقدات الدينية والممارسات الدينية وتجمعها بين أفراد عديدين يعطيها هذه الموضوعية ، وأيضاً يضعها في المرتبة الأولى فوق كل الخبرات السيكولوجية لأي من الأفراد أو لكل الأفراد ٠

٣ – أنها شيء إجباري ٠ فالدين يتصف بالعمومية ، فهو في المجتمعات المغلقة يكون إجبارياً ٠ فالإنسان ليس لديه أي إعتراض في أن يتقبل ما يعتنقه الجميع، وليس لديه حرية الإختيار تماماً كما ليس لديه الإختيار في قبوله اللغة التي يتكلمها٠ حتى لو كان هذا الشخص من أهل الشك والإرتياب ، فإنه يعبر عن شكوكه في عبارات وتعبير ات معتقدات المحيطين به ٠ وإذا ولد في مجتمع مختلف ، فسوف يكون له بعض المعتقدات المختلفة تماماً ، مثلما سوف يكون له لغة مختلفة ٠ فالدين له صفة الإلزامية ٠

٤ – والدين حقيقة إجتماعية – ظهرت من طبيعة الحياة الإجتماعية نفسها – وله إرتباط بحقائق إجتماعية أخرى مثل القانون ، الإقتصاد الفن وغيره ، والتي إنفصلت عنه بعد ذلك وأصبحت مستقلة بذاتها ٠ وهو الطريق الذي يرى فيه المجتمع ذاته، وبه أيضاً يحافظ على ترابطه ووحدته ٠

السمة الثانية : يهتم الدين بما هو مقدس وفائق للطبيعة :

الخاصية الثانية هي تضمنه وإحتوائه بما يعرفه دور كايم (١٧) بأنه

"مقدس " ، أو كما يتحدث Rudolf Otto عمـا يسميه بالمقدس والمقدسـات الأخرى Wholly Others وهنـاك إتجاه عـام للديـن بأنـه يعبـر عـن الرهبـة والخوف والتقديس بالنظر إلى أشياء معينة ، كائنات معينـة ، مواقف ، ويميزها دوركايم عـن غيرها مـن الأمـور العاديـة أى الدنيـوية Mundane أو العالميـة ومن أمثلـة هـذه الأشيـاء أو الكائنـات التى ينظـر إليها بنـوع مـن التقديس نجـد أن يهـود العهد القديم يخلعـون أحذيتهم عنـد دخولهم المعبد ، وكثير من المسيحيين يرشمـون الصليب عندما يصلـون إلى اللـه ، والهنـود يعطـون البقـر حق المـرور ، والمسلمون يحجـون إلى مكـة ، والهنـود الأمريكيـون يتجنبـون إنتهاك الأرواح الأرضيـة المقدسـة ، ومثل هذا السلوك كلـه يعبر عـن قبـول أو إعتـراف بمكان مقدس ، أو موقف مقدس ٠ وأثنـاء هـذا يعـرف الناس أنهم فـى حضـور أمر أو شـىء يفـوق حـدودهم وطبيعتهم ٠ والـذى يتطلب منهم تبنـى إتجاهات معينـة ، والقيام بأفعال معينـة ، وربمـا يـرددون كلمات خاصـة معينـة ٠

وتلك الإختبارات أو التجارب التـى يعرفهـا النـاس بأنهـا مقدسـة ، تختلف من حيث موضوعـات ووسائل رهبتها وتقديسها وتبجيلهـا مـن مجتمـع إلى لآخـر ٠ فكـل مجتمـع لديـه قائمـة بهـذه الأمـور المرهـوبة والأشيـاء والأحداث السريـة الغامضـة ، والديـن يقدم إجابات وتفسيـرات لهـا ٠ فالتعبير المناسب للغمـوض ، والمقدس Sacred , Holy ، والفائق للطبيعـة Supernatural وعلاقة الإنسان بكل منها ، من هذا يتكـون المضوع الأساسى للديـن ٠

والذى نعتبره مقدس هو كذلك لأن هناك قوة تفوق الطبيعة تلازمه ، أو نشاطاً يثير الإحساس والشعور بالخوف والرهبة إذا أحيط بموضوع مقدس، شخص ، أو مكان أو موقف مقدس ، أى أن مفهومي المقدس والفائق للطبيعة ، يظهران فى معظم المجتمعات متلازمين وغير منفصلين ، عند التعريف بالدين •

السمة الثالثة : يتضمن الدين هيكل من المعتقدات :

يشمل هيكل من المعتقدات كتبرير لظاهرة " المقدس " و " الخارق للطبيعة " فكل دين رئيسى ، لديه كتاب مقدس ، أو كتب توضح الخطوط والقرارات الأساسية للمعتقدات التى تؤمن بها الجماعة ، وبالإضافة إلى هذه الكتب المقدسة توجد كتابات أساسية أو رسمية مثل : التفسيرات والإستكمالات للآباء أو الأئمة أو اللاحقين لمؤسسى الدين •

كما يوجد التقليد الشفوى ، وهو التفسيرات غير المكتوبة ، تأخذ شكل أساطير أحياناً ، أو حكم وأمثال ، تسلم إلى الأجيال الجديدة • وهذه المعتقدات من المحتمل أن تقع تحت مجموعة " المعايير والمقاييس " ، التى قبلت بواسطة الجماعة •

والمعايير لا توضح فقط كيف يتصرف أو يسلك أعضاء الجماعة ، بل توضح أيضاً ما يمكن أن يؤمنوا به ، وكيف يمكن أن يفسروا أو يحللوا الأشياء والأحداث •

السمة الرابعة : يتضمن الدين مجموعة من الممارسات الطقسية :

يتضمن الدين مجموعة من الممارسات المحددة مثل القربان ، إجتماعات الصلاة ، الرقص من أجل نزول المطر ، التضحية بالحيوان أو بالشخص ، إحتفال غسيل الأقدام ، التغطيس فى الماء عند المعمودية ٠ وكلها أمثلة لردود الفعل الخاصة بالمعايير ٠

ولا يوجد أى سلوك دينى أو تصرف دينى ، بطبعه أو بالممارسة ٠ إنما يصبح دينياً فقط إذا وصفته الجماعة بانه " دينى " ، فقد يرتدى الشخص روباً لمجرد الإحتماء من البرد ، أو قد يكون للدلالة على رتبة الشخص الأكاديمية ، أو للإشارة على أن الشخص رجل دين أو مقدس ، أو مرسل من الله ٠

والدين عموماً يؤثر على المعتنقين به ، فى محاولة منه لجعلهم يسلكون سلوكاً معيناً وبطريقة محددة فى كل مكان ، وفى أى وقت وفى جميع المواقف ، وهذا ما تتضمنه المعايير والقيم الأخلاقية ٠

وكما سبق أن رأينا دور كايم يرى أن الدين يتكون من جزئين الفكر والشعور ، والشعور فى حد ذاته له دلالاته فهو يؤدى إلى أفعال محددة ينظر إليها كعلامات خارجية للإهتمامات العقلية والعاطفية ، مثل وضع اليدين عند الصلاة ، تنكيس الرأس ، السجود ، إغلاق العينين٠٠٠ إلخ ٠

أمـا من الناحيـة السيكولوجيـة فتكشف عن نفسهـا فـى الشعـور بالإنتعـاش والدهـش والرهبـة .

وهذا الشعور الدينى يختلـف من فـرد لآخـر ، ويظهر بسهـولة ويسـر لـدى بعض الأفـراد وهـم المتدينـون الحقيقيـون . ويمكـن القـول أن كـل النـاس نجـدهم تلقائياً متدينين فـى النكبات ، بنفس القـدر والقـوة التى يكون عليهـا الشعـور الدينـى لـدى المتدينين تلقائياً فى جميـع المناسبات .

خصائص علـم الإجتمـاع الدينـى :

ويرى حسن سعفان أن علم الإجتماع الدينى هو :

أولاً : علماً شرعياً نقلياً ، لأن مهمته دراسة الظواهر الدينية فى مختلف المجتمعات دون التحيز لدين معين كما ذكرنا من قبل .

ثانياً : لا يهتم بالأديان فى ذاتها بقدر إهتمامه بالظواهر الدينية وأثرها فى الحياة الإجتماعية وتأثرها بهذه الحياة .

ثالثاً : ليس من مهمته الدفاع عن دين معين أو المفاضلة بين الأديان (١٨).

ثالثاً : وظـــائف الديــــن

وترجـع أهميـة الدين إلى أنـه يلعب دوراً كبيــراً فـى المحافظـة علـى تماسك أعضاء المجتمع وإستمرار البناء الإجتماعـى فـى الوجـود، إذ أنه يؤدى وظائف إجتماعية هامة . ويرى مونتسكيو(١٩) أنه علـى الرغـم من أن الديـن قد يكـون غيـر حقيقـى ، ولكنــه يحمــل فـى طياتــه كثيـراً مـن الوظائف الإجتماعية النافعة . ونلاحظ أيضاً تواؤمـه مـع نوعيـة الحكـومة الموجودة والسائدة فى المجتمع وأيضاً حياة الناس وأسلــوب معيشتهم .

ويرى رالف بيلز أن الديـن يقـوم بوظائف إجتماعيـة تساعد على التقدم والتماسك الإجتماعــى وتكـافل المجتمــع . وتشبـع الفـرد مـن الناحيـة الإنفعاليـة، نتيجـة لإندماجـه الكامـل مـع المجمـوعة ، ممـا يـترتب عليـه الطمأنينة التى تنشأ فـى المناسبات الدينيـة .

ويذكر الفريد برسوليت(٢٠) فـى دائـرة معـارف العلـوم الإجتماعيـة ، من الحق أن نقول أن قـوة الدين ما زال لها تأثيرها الفعال فـى خلـق التماسك والترابـط بيـن الفـرد والجماعــة الدينيـة . ويظهـر عمـل القائـد الدينـى الموهـوب وإرتباطـه القـوى بالوسط الذى يعمـل فيـه . وهنـا أيضـاً تظهـر أهمية الوسط فلا يستطيع مبتكر أو مفكر دينى أن يتهكم علـى معتقدات أو يهدمها ، بل إصلاحاته يحددها تمسك الناس بالتقليد العــام .

ويميز توماس ف. أوديا بين عدة وظائف للديــــن :

أولا : الدين يـزود البشر بالمساندة والتعزيـة والمواسـاة عندما يحتاجون

إلى التأييد العاطفي في مواجهة الغموض والحيرة ، كما يحتاجون إلى العزاء عندما يواجهون الإحباط ، والتوافق مع المجتمع عندما يتغير ، ويتحول وينتقل عن أهدافه ومعاييره . ففي حالة الفشل ، وعدم القدرة على ملاحقة الطموح يزودهم الدين بمساعدة ومواجهة إنفعالية هامة عن طريق الإبتهال والدعاء لما فوق ، لمن بيده القضاء والقدر ومكافأة البشر .

ثانيا : يحدد الدين علاقة البشر بما وراء الطبيعة عن طريق شعائر العبادة ، وبذا يحيط الإنفعالات بسلام وطمأنينة، ومن خلال أوامره تنشأ المعتقدات والقيم.

ورالف بيلز يؤكد أن الدين له وظائف سيكولوجية ، تتعلق بالتخفيف من أنواع القلق والمخاوف ، ويفسر علاقة الإنسان ومكانته في الكون ، وعلاقاته بالبيئة والحيوانات والنباتات وغيرها من ظواهر الطبيعة .

وعاطف وصفي يرى أن للدين وظائف سيكولوجية مثل الشعور بالراحة النفسية والقوة ، نتيجة للإعتقاد في أن قوة غيبية عظيمة تساعد الإنسان في حياته وبعد مماته ، وهذا ما يؤكده ايفانز بريتشارد في إعطاء الراحة النفسية والشعور بالأمان وإعادة الثقة للوصول إلى حياة سعيدة ، وهذه الراحة النفسية تخلق جواً مناسباً للقادة في قواعد وإقامة الحكومات وتثبيت عادات هذه الشعوب .

ثالثا : يدعم الدين المعايير والقيم ، مما يساعد على تأسيس المجتمع ، والمحافظة على سيادة أهداف الجماعة فوق رغبات الفرد ،ومع ذلك لا

يوجد مجتمع يعيش فيه الأشخاص في كمال بدون إنحرافات أو هفوات. وفي هذه الحالة يقدم الدين طرق طقسية يؤديها المذنب في مقابل ذنبه ، ويساعد الشخص على الإنضمام والإتحاد بالجماعة، وبالتالي يساعد على تثبيت النظام ورسوخه. ويصبح الدين من أقوى الدعامات في تكوين النظام الإجتماعي.

رابعا : عن طريق إشتراك الأشخاص في الطقوس الدينية والعبادة ، يؤثر الدين على إدراك الفرد من يكون الإنسان ، وماذا يفعل ؟ فهو يوسع إدراك الفرد ويوضح أهميته بالنسبة للكون وأهمية الكون بالنسبة له .

خامسا : يرتبط الدين بنمو ونضوج الفرد . فالدين يقوم بإثبات ذاتية الشخص في جماعته ، ومروره خلال مراحل العمر المختلفة المميزة بواسطة مجتمعه. ففي الطفولة يجب أن يتعلم درجات الثقة في الآخرين ، ثم عليه بعد ذلك أن يطور قدراته الوظيفية وإستقلال الذات وأخيراً يجب أن يتعلم القناعة (٢١) .

من هذا يتضح أن الدين كظاهرة كونية إجتماعية له أهمية وظيفية بالنسبة للمجتمع وللفرد ، فهو أحد التنظيمات البنائية الهامة المكونة للنسق الإجتماعي الكلي . وهو لا يشبه الحكومة والقانون الذى يهتم بفرض القوة ، ولا يشبه التنظيمات الإقتصادية التى تهتم بالعمل والإنتاج ، ولا يشبه التنظيم العائلي الذي ينظم العلاقات بين من يرتبطون برابطة الدم . ولكنه يتداخل ويتشابك مع جميع النظم سواء كانت إجتماعية أو إقتصادية أو ثقافية يؤثر فيها ويتأثر بها .

مراجع

الفصل الثانى

1 - Ronald L. Johnstone; Religion and Society Interaction Prentice - Hall LNC.; Englewood Clibs, New Jersey, 1975 P. 1 - 24 .

2 - Clifford Geertz; International Encyclopaedia of The Social Sciences: "Religion: Anthropological Study", Collier Macmillan Vol. 13-14 1972.

3 - Bertholet Alfred; Encyclopaedia of The Social Sciences; Vol. 16 . P. 229

4 - Peter L. Berger; The Social Reality of Religion : Penguin Books, 1973. P. 177 .

5 - Bertholet , A. : Encyclopaedia of The Social Sciences; " Religion " Op. Cit. P.P. 228 - 229 .

٦ – عباس محمود العقاد : الله " نشأة العقيدة الإلهية ،دار المعارف بمصر ، طبعة ثالثة، الفصل الأول من ص ٢٣ – ٢٩ ، ١٩٦٠ .

٧ – جيمس فريزر : الغصن الذهبى ، ترجمة احمد ابو زيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ١٩٧١ ج١ .

٨ – رالف بيلز وهارى هويجز : مقدمة فى الأنثروبولوجيا العامة ، ترجمة الجوهرى وآخرين .

٩ – عـزت زكى : الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات ، دار الجيل للطباعة ، ١٩٧٤ ص٢٥ .

١٠ – روجيه باستيد : مبادىء علم الاجتماع الدينى : ترجمة محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥١ ، ص ٢٣ – ٢٩ .

11 - E. E. Evans Pritchard: Theories of Primitive Religions; Oxford University Press , London . 1966 . P. 57 .

١٢ – محمد عبد الله دراز : الدين ، مطبعة السعادة ، ١٩٦٩ ص٢٧ – ٥٠ .

13 - Ronald L. Johnstone; Religion and Society In Interaction ; O.p. Cit.
14 - Peter L. Berger ; The Social Reality of Religion ; O.p. Cit .
15 - Ronald L. Johnstone ; O.p. Cit.
16 - E. E. Evans Pritchard ; Theories of Primitive Religions ; O.p. Cit.
17 - Ronald L. Johnstone ; O.p. Cit.

١٨ – حسن سعفان : مرجع سابق ، ص٣٠

19 - E.E. Evans Pritchard; Theoriesof Primitive Religion ; O.p. Cit.
20 - Bertholet & A. ; Encyclopaedia of the Social Sciences ;
O.p. Cit. P. 231 .
21 - ThomasF. O, Dea ; The Sociology of Religion ; Prentice - Hall ,
Inc. 1966 .

الفصل الثالث

الإتجاهات والنظريات

المفسرة لنشأة الدين

١- الاتجاهات والنظريات التطورية

٢- الاتجاه الروحى

٣- نظريات الطبيعين

٤- النظرية الاجتماعية

الفصل الثالث

الإتجاهات والنظريات المفسرة لنشأة الدين

تعددت الإتجاهات والنظريات فى دراسة الدين ، وتميزت الدراسات المبكرة بثلاث نزعات منهجية هى التطورية والوضعية والسيكولوجية (١)٠

فكثير من دراسة الأفكار الدينية عند البدائيين ظهرت تحت عنوان النظرية التطورية٠ وكان هناك إتجاهان فكريان :

- تفكير له طابع تاريخى يتتبع فيها الخطوات التى سار فيها التطور ، ودراسة المراحل الإجتماعية التى مر بها الإنسان٠
- الإتجاه الثانى فكرة الإنتخاب الطبيعى (٢) ٠

وفيما يلى أهم هذه النظريات والإتجاهات :

١ - الإتجاه التطورى :

كانت بداية القرن التاسع عشر إنقلاباً كبيراً فى الدراسات ، وتغيرت نظرة العلماء فى طريقة معالجة الموضوعات فبدأوا يدرسون المجتمعات البدائية باستخدام نظرية التطور لمعرفة ودراسة ماضى الجنس البشرى ونشأة النظم الإجتماعية وتطورها ، فكأن المجتمعات البشرية تمر بمراحل مرسومة فى تطورها ولكنها مختلفة فى سرعة التطور٠

ويمثل تايلور حلقة إتصال وإنتقال فى تاريخ التفكير الإجتماعى بين الفلاسفة الإجتماعيين فى القرنين ١٧ ، ١٨ من جهة وبين أنصار المدرسة الوظيفية فى القرن العشرين من جهة أخرى٠ وقد حاول تايلور تخليص

الدراسات الإجتماعية من حبائل التفكير الفلسفى النظرى الذى يمثله دافيد هوم وآدم سميث فقد غلب على دراساتهم الطابع النظرى الفلسفى الذى يهدف للوصول إلى قوانين كلية تصدق على الجنس البشرى كله .

أما تايلور فحاول تطبيق النظرة العلمية فنجده يفسر نشأة الدين على أساس عقلى . وحاول أن يجد تبريراً عقلياً لبعض الظواهر الطبيعية كالموت والأحلام وهذا هو منشأ الدين أى لجأ إلى التفسير السيكولوجى.

بينما رفض سير هنرى مين تفسير الظواهر على أساس سيكولوجى وفسرها تفسيراً إجتماعيا.

أما سير جيمس فريزر فيرى أن الناس إعتقدوا فى السحر أولاً ثم فى وجود كائنات توجه الطبيعة .

كان تايلور يشايع الفكرة السائدة والتى تتمثل عند لويس مورجان من أن المجتمع البشرى مر فى تطوره بحقبتين كبيرتين هما : مرحلة التوحش والتبربر ثم مرحلة الحضارة الراقية .

ولذلك يرى تايلور أن الثقافة فى تطور مستمرفالحضارات الراقية الحديثة ليست إلا تطور الثقافة البدائية أو ثقافة المجتمعات المتأخرة ، أى وجود مراحل مرسومة مرت بها الإنسانية حتى وصلت للمرحلة الراهنة وإن كان هناك تشابه فى الثقافات فهذا يرجع إلى وحدة الطبيعة البشرية وتشابه الظروف والإمكانيات .

ويعنى هنا أن فكرة التطور تعنى تقدم الثقافة وهنا ظهرت فى القرن ١٨ ، ١٩ أفكار أخرى مضادة تعارضها ، فالمعارضين يقولون أن الإنسان خلق فى

الأصل على درجة عالية من الرقي الثقافي ولكنه تعرض لعوامل دفعت بالثقافة إلى التدهور والتأخر والإنحلال • ويرون أن تاريخ الثقافة بدأ بظهور جنس بشري متحضر ، أما نكوص وتدهور وإنحطاط الثقافة أدت إلى ظهور شعب بدائي فهو لا يمكن أن يرقى إلى مرحلة التحضر من تلقاء نفسه ، أي أنهم سلالة متدهورة من شعب متحضر في الأصل ويرون أن آدم خلق في الجنة أي أنه كان يمارس الزراعة ولم يبدأ بمرحلة الجمع والإلتقاط كما قال بعض العلماء (٣) •

النظريات التطورية : Evolutionary Theories :

من هنا يتضح أن علماء التطورية الإجتماعية الأوائل يماثلون بين التطور Evolution والتقدم Progress فنجد أوجيست كونت يرى أن التطور يعني ظهور الدين الوضعي أو العلمي •

أما بالنسبة للتطور بين الآخرين أمثال هربرت سبنسر فالإنسان ونظمه بما فيها النظم الدينية تطور من الأشكال البسيطة إلى المعقدة والأكثر تقدماً•

وهناك محاولات من بعض علماء الإجتماع لتعديل المدخل التطوري ليس كتأمل فلسفي ولكن كفرض قابل للإختبار فنجد روبرت ماكيفر Robert. M. Mchver قدم تنظيراً للنظم الدينية والإجتماعية في ضوء التطور من البسيط والمتجانس Homogenous إلى المركب والأكثر تنوعاً • ويذهب ماكيفر إلى أن هذه النظرية يمكن أن تختبر في مقابل البيانات السوسيولوجية الأمبيريقية•

وينظر بارسونز إلى الحركات الدينية على أنها تمر بمراحل تطورية معينة وفى كل مرحلة تظهر مجموعة من المشاكل التى يجب أن تحل حتى يتسنى للحركة الدينية أن تستمر (٤) ٠

نظـــرية المراحـــل أو قانـــون المـراحل:

قال كثير من العلمـــاء فى القرن التاسع عشر أن البشرية مـرت بمـراحل ثلاث ولكنهم إختلفوا فى تسمية هذه المراحـل ٠ فنجـد أوجيست كونت أسماها قانون الحالات الثـلاث حيث ميـز بين اللاهـوتية والميتافيزيقيـــة والوضعية ٠

فهو يرى أن الفكـر الإنسانى تطـور من المرحلـة الثيولوجيـة (مجتمعات بدائية وقديمة) ، التى تفسر فيها الأحداث بإرجاعهـا إلى الأعمـال الخارقـة للطبيعة ، مرحلة ميتافيزيقية (عصـور وسطى) تظهـر فيها بوضـوح تأثيـر قـوة غيـر منظـورة أو غيبيـة، حتى وصل إلى المرحلـة الثالثـة وهـى الوضعيـــة يكـون فيها البحث عن تعليل للمسببات بطريقة علميـــة وعمليـــة (٥) ٠

ويذكر روجيه باستيد أن أوجيست كونت يرى الدين ظهر وتشكل أولاً بصور الديانة "الفيتيشية " " الوثنية " التى تؤله جميع الأشياء كالأشجار والحصى والمنابع بأن تنسب إليها قوة غيبية ، ثم مهـدت عبادة النجـوم – وهـى حلقة متوسطة – لقيام ثورة دينية إنتقلت بالإنسانية من عبادة الأصنام إلى القول بتعدد الآلهــة ٠

ويرى كونت أن هذا الإنتقال ثورة وليس مجرد تطور ثم ظهر التوحيد (٦)

ويشير بيومى إلى أن علم الإجتماع لدى أوجيست كونت إصطبغ بفلسفته الوضعية، وإنعكس هذا على إتجاه علم الإجتماع الدينى فى مراحله الأولى.

ويشير كونت إلى قانون الحالات الثلاث الذى يعبر عن تطور تدريجى فى الفكر الإنسانى ، فيعكس فى المرحلة الأولى كما قلنا نظريات وآراء لاهوتية وفى المرحلة الثانية يفسر الفكر البشرى كل الظواهر من خلال أفكار ميتافيزيقية مجردة وأخيراً توصل إلى المرحلة الثالثة وهى التفكير العلمى أو الوضعى كأسا س لكل العمليات الفكرية .

وساعد هذا الإتجاه الوضعى على ظهور نظريات تفسر الدين على أنه نوع من التفكير والأفعال الرمزية أسىء فهمها أو نسيت معانيها ، ونجد كثيراً من النظريات التى تعبر عن الإتجاه الوضعى مثل نظريات سبنسر وتايلور وفريزر ودور كايم تتفق بينها على أن الناس نظراً لوجود جوانب فى الوجود الإنسانى غامضة ، فهم يتخيلون وجود الأرواح والآلهة والقوى فوق الطبيعية وبذلك يخضع تفكيرهم للنواحى الإنفعالية (٧) .

أما لويس مورجان فقد ميز بين الوحشية أو الهمجية ، والبربرية ، والحضارة الحديثة وقسم كل مرحلة من هذه المراحل إلى ثلاث فترات هى الدنيا والوسطى والعليا .

ويرى فريزر ان التقدم العقلى إنتقل من السحر إلى الدين إلى العلم ، فالسحر هو الشكل الأولى للفكر البشرى ولكنه غفل الربط بين الزمان والمكان (٨) .

وإن لم يكن فريزر قد وضع نظرية متكاملة وواضحة عن المراحل التي مر بها الإنسان بنفس الدقة والوضوح كما عند العلماء التطوريين أمثال مورجان وتايلور.

ويقول أحمد أبو زيد في مقدمة كتاب الغصن الذهبي أن من أهم العوامل التي دفعت علماء القرن التاسع عشر إلى إتباع المنهج التطوري هو ظهور كتاب داروين عن " أصل الأنواع " . فنتيجة لذلك الكتاب ظهرت كتب كثيرة تبحث في أصل الحضارة ، أو أصل اللغة ، والقانون أو الفقه أو أصل العائلة وهكذا (٩) .

وقد إفترضت كل هذه الدراسات وجود مراحل معينة بالذات مرت بها الحياة والنظم الإجتماعية في تطورها .

أما دور كايم في دراسته للتطورية يأخذ في إعتباره البحث عن الأسباب والعلاقات التي تربط الظواهر هنا بالعوالم الأخرى مثل الصور والخيالات والمقدسات ومنها المانا ، والطوطم ، والإله.

ونجد جون لوك نادى بنظرية نشأة وإرتقاء الأديان ، وهي تحاول توضيح طريقة نشأة وتطور وإرتقاء الأديان ، وتبدأ بإنعدام فكرة وجود دين ، ثم ظهور المعبودات، وبعدها عبادة الطبيعة ثم الطوطمية ثم الشامان يليها الآلهة ، ثم إله أكبر مسيطر على جميع الآلهة وأخيراً عبادة الإله الواحد.

وقد واجهت المدرسة التطورية كثيراً من الإنتقادات التي وجهها إليها العلماء الأمريكيين التابعين لمدرسة بواز ، فهم يوجهون نداء إلى النظرية

التطورية لكى تصبح مدخلاً لدراسة ظواهر وعادات القبليين ، لأنها تبحث عن دراسة معتقدات البدائيين الموجودين حالياً وتتبع هذه المعتقدات لمعرفة أصلها والتساؤل هل توجد عبادة إله واحد عند البدائيين (١١) ٠

وجد الفكر التطورى مقاومة عامة من العلماء الوضعيين وبالأخص ضد المتحدثين عن البعد التاريخى ٠

أما المدخل السيكولوجى للدين فقد تنوعت الآراء إلا أنها ترجع إلى الأصل الذى تكلم عنه فرويد فى أن الممارسات الدينية يمكن وصفها على أنها تعبير على أنها قوة سيكولوجية غير واعية ٠

الإتجاه الروحى : Animism :

لما كان كل دين يقوم على وجود نوعين من الموجودات ، موجودات حسية مادية ملموسة ، وموجودات روحية مقدسة غير ملموسة ٠

هنا تساءل العلماء عن كيفية إنتقال الإنسان من العالم المحسوس الملموس إلى العالم الروحى والموجودات الروحية ٠

ويذكر سعفان أنه قد ظهرت العديد من النظريات إلا أن ثمة نوعين إثنين جديرين بالدراسة هما نظريات الروحيين Animistes ونظريات الطبيعيين Naturistes ٠

نظرية الروحيين Animism :

يذكر سعفان زعيم هذا المبدأ هو ادوارد تايلور Tylor من علماء القرن الماضى وأوائل هذا القرن (١٩١٧) عرض نظريته فى كتابه " الثقافة البدائية "

الذى ظهر فى لندن سنة ١٨٧١ وإلى جانب تايلور نذكر سير هربرت سبنسر من علماء القرن الماضى أيضاً والذى عرض رأيه فى كتابه فى " مبادىء علم الإجتماع " .

إعتقد هؤلاء العلماء أن الرجل البدائى بدأ أولاً بلا دين ثم تكونت لديه شيئاً فشيئاً فكرة وجود روح أو نفس إنسانية وذلك على أثر رؤية الأحلام فى منامه ثم توصل إلى وجود روح للإنسان خالطاً بين الأحلام وما يراه فى الحياةالواقعية .

ثم إعتقد أن جسم الإنسان يتكون من الجسم المادى الذى لا ينتقل أثناء الحلم وجسم غير مادى ينتقل أثناء النوم بسهولة فهو سريع الحركة ولا يعرف الحدود يمكنه أن يقطع مسافات بعيدة فى لحظات وأن يمر خلال الحواجز والجبال والبحار والأنهار وهى الحواجز التى لا يستطيع الجسم المادى أن ينفذ منها وهو مصنوع من مادة رقيقة خفيفة أثيرية تمكنه من دخول الجسم المادى من خلال فتحاته مثل الفم والأنف . وهذا الجسم هو النفس أو الروح فيما بعد . وهذه الروح هى سر الحياة وعندما يموت الإنسان فإن النفس تترك الإنسان وتنفصل عنه إنفصال نهائى لا رجعة فيه بينما الإنفصال فى حالة النوم فهو إنفصال مؤقت . وتسبح تلك النفوس فى الفضاء ويكون لها مطالب وحاجات وإنفعالات كالأجسام التى كانت متصلة بها . فهى إذن تستطيع أن تقوم بالخير أو الأعمال الشريرة ، كما يمكنها أن تدخل أجسام الأحياء لكى تنفعها أو تضرها وتدمرها ، فهى تسبب الأمراض أو تعكس المواهب . وذلك حسب الذكرى التى تحفظها فى الفترة التى قضتها معها .

ومن هنا بدأ الناس يعملون على ترضيتها بتقديم القرابين والأضاحى أو الصلاة أو إقامة ذكر.

فالموت هو الذى يحول النفس إلى روح وبالتالى أول ديانة عبادة أرواح الموتى(١٢) .

نظريـة أرواح المـوتى : (أو عبادة الأسلاف) :

يذكر باستيد أن سبنسر يرى أن أول فكرة للكائنات الخارقة للعادة هى فكرة " أرواح الموتى " وهى وليدة الأشباح التى ترى فى الأحلام أو وليدة الرغبة فى تفسير الشلل التام للجسم الذى يمكن تفسيره بمغادرة الروح للجسم بصفة مؤقته .

ويقيم البدائيون طقوساً يتضرعون فيها إلى هذه الأرواح بتقديم القرابين إليها وهكذا تنشأ عبادة الأسلاف . ومنها تنشأ عبادة الأصنام (كانت جزء من الجثة يتم تحنيطه والإحتفاظ به كآثار يتبرك بها) وعبادة الحيوان (إعتقاداً بأن روح الميت تتشكل بصورة حيوان على مقربة من كوخ جثة الميت) وعبادة النباتات (تلك التى تنمو على القبر) وأخيراً عبادة الطبيعة.

أى أن الآلهة القديمة هى أرواح الأجداد (١٣) .

يذكر وليام جود أن هذا النظام ينتشر فى المجتمعات البدائية ، والبعض يرى أن فكرة الأرواح وليدة الصور الخيالية كالأشباح التى نراها فى الحلم ، أو محاولة تفسير حالات الشلل التى تصيب الجسم بعد مفارقة الروح. وهى تقوم على عبادة الإنسان لنفسه ، وعلى تقديس الأجداد الموتى ووضعهم فى

منزلة الآلهة ، والتغلب بهم على الأزمات بتقديم القرابين والأدعية لهم على إعتبار أنهم أقرب إلى الآلهة فى نظام الكون من الأحياء · وتقدم لهم فرائض العبادة والتقديس ، وفى إستطاعة الإنسان أن يؤذى هذه الأسلاف إذا توقفت عن مساعدته بأن يكف عن عبادتها فتموت · وهذه ترتبط بمجموعة من الطقوس إذا يجتمع الأعضاء فى مكان عام أو ببيت أكبرهم سناً أو مركزاً لإرضاء تلك الأرواح ·

وعبادة الأسلاف هى الديانة السائدة فى مجتمع التيكوبيا ، حيث أن الآلهة عندهم هى أرواح الأسلاف ، وهى تختلف فى الرتبة والأهمية ، وأعلى هذه فى القوة والمكانة هو الإله الذى يعيش كرجل ورئيس لرؤساء الجزيرة وهو رئيس عشيرة الكافيكا · وهو لا يتولى هذا المنصب إلا بعد أن يقتل الرئيس الذى سبقه· وعندئذ يبتهل إلى الآلهة أن تمنحه " المانا " " القوة الخارقة للطبيعة " والتى تؤهله أن يسود بينهم ·

وعبادة الأسلاف هى العنصر الأساسى الذى ترتكز عليه كل الإحتفالات والأنشطة الدينية للزونى (سكان مدينة المكسيك) ، فعبادتهم تقوم على إحترام الكبار سواء القدماء أو الأسلاف (١٤)·

نظـــريات الطبيعيــــــن : Naturism :

يرى المذهب الطبيعى أن الدين هو محاولة لتفسير الظواهر الطبيعية التى تثير أشد ضروب الدهشة أو الفزع مثل تقلبات الشمس وظهور القمر وإختفاؤه ومن هنا إتجه الناس إلى عبادة الكائنات سواء النباتية أو الحيوانية وكان

الإنسان يعد نفسه على قدم المساواة معها كما يقول دور كايم ولم تجهد كاهله(١٥) ٠

ويتساءل سعفان كيف إنتقل الفكر البدائي من مرحلة تقديس أرواح الموتى إلى مرحلة تقديس مظاهر الطبيعة من شمس وقمر وجبال وأنهار ونجوم٠

وهنا نجد تفسيرين مختلفين لتايلور وسبنسر :

يذهب تايلور إلى أن الإنسان إعتقد أن الأشياء الأخرى من جمادات وحيوانات ونباتات وظواهر كونية مثل الشمس والقمر والأنهار مزودة هي الأخرى بأرواح ذات قوى خارقة للعادة ٠

أما سبنسر فيأتي بتفسير آخر للإنتقال من تقديس أرواح الموتى إلى تقديس مظاهر الطبيعة بأن القبائل البدائية كانت تطلق على أفرادها أسماء بعض الأشياء الطبيعية كالشمس والقمر أو الحيوانية وبمرور الزمن نسيت هذه القبائل أن تلك الأسماء أسماء إستعارية ، وبالتالي إعتقدت أن الأجداد والقدامى كانوا نباتات أو حيوانات أونجوم بمعنى الكلمة ومن هنا نشأت عبادة الطبيعة نتيجة الخلط بين الأسماء الإستعارية أو المجازية وبين الأسماء الحقيقية يضاف إليها خلط البدائي بين الواقع والخيال والرؤى والأحلام في منامه ٠

وظهر مذهب الطبيعيين في أواخر القرن الماضي على يد عدد من المفكرين يتزعمهم المفكر الإنجليزي ماكس موللر M. Muller (علم ١٩٠٠)فقد

عرض رأيه في كتابه " الدين الطبيعي " سنة ١٨٨٩ ثم في كتابه " الدين الفيزيقي " أو الفيزيائي سنة ١٨٩٨ .

يذهب ممثلو هذه المدرسة إلى أن الطبيعة والظواهر الطبيعية هي التي أوحت للإنسان الأول بالأفكار والمبادىء الدينية الأولى . عن طريق النظر إلى الأشياء ومظاهر الطبيعة والتأمل فيها .

أى نشأت عبادة مظاهر الطبيعة عن طريق تشخيص الظواهر الطبيعية كالرياح والأمطار والأنهار والنجوم والشمس والقمر لعبت دوراً هاماً في عقائد المجتمعات القديمة وعلى سبيل المثال الأديان اليونانية والرومانية كانت آلهتها تصور مظاهر الطبيعة والأشياء (١٦)

نظـــرية " ماكس مولر " :

جعل ماكس مولر أصل الدين نوعاً من الوحي الذاتي ، أي الحدس بوجود اللانهائي .. فالدين هو لغة الناس التي يعبرون بها عن هذا الخاطر الغامض الذي يأتي عن طريق حواسهم وقلوبهم .

فالشعور يعترف بوجود عدة آلهة . ولكن عند عبادة الشعور لأحد هذه الآلهة سرعان ما يصبح هذا الإله في نظره أقوى الآلهة جميعها . وإن كانت العبادة تشعر بوجود " اللانهائي " وراء هذه الآلهة التي تعد رموزاً له .

ولكن بظهور النظرية التطورية في علم الأنثربولوجيا إنقرضت نظرية ماكس مولر(١٧) .

أمـــا فاروق مصطفى فيـرى أن مولر توصـــل من خلال دراسته للأساطير

والديانات الهندية إلى أن البشرية عرفت الدين عن طريق قوى الطبيعة وتتابع مظاهرها وتعاقب الفصول المنتظم وملاحظة المد والجزر، ومن هنا نسج حولها الأساطير مثل أسطورة أبولو ودافن Apollo & Daphne اليونانية فأبولو يرمز إلى الشمس ودافن يرمز إلى الفجر وأن الشمس تعقب الفجر وتطارده ثم نسجوا الدين بعد ذلك (١٨) ٠

المذهب الروحي أوالمبدأ الحيوي أو الأنيميزم عند تايلور :

إهتم كل من تايلور وسبنسر بتفسير نشأة الدين ٠ فهما يعتقدان أن فكرة الروح كانت السمة الأساسية في المعتقدات الدينية٠ وأنها نشأت في عقل الإنسان البدائي، وأن الناس توصلوا لفكرتهم عن الروح من خلال سوء تفسيرهم للأحلام والموت ٠ ومن هذا يتضح أن الإتجاه الذي كان سائداً في دراسة الدين والسحر هو الإتجاه التطوري الذي سيطر على الأنثروبولوجيين في القرن التاسع عشر ٠ وكثير منهم كان يرى الرجل البدائي لا يعرف الدين إلا في مرحلة متأخرة من حياته ، فتايلور يرى أن فكرة الله لم تظهر إلا في مرحلة متأخرة من تاريخ البشرية بعد تطور طويل في التفكير الحيوي أو الأنيميزم٠

وحاول تايلور أن يتخيل تلك العقلية البدائية في تفكيرها، فالإنسان القديم إسترعت إنتباهه بعض الظواهر مثل الأحلام والرؤى واليقظة والنوم والموت ، ولذا حاول أن يفسرها عن طريق المماثلة بين الإنسان وبين الكائنات ٠ إذ إعتقد في تقمص الأرواح كل قوى الطبيعة ومظاهر الكون ٠ ونظر إليها ككائنات مشخصة حية كالإنسان ولها نفس القدرات

والإنفعالات والدوافع الموجودة لدى الإنسان · وأصبح العالم المحيط به سواء من حيوان ونبات وجماد مليء بعدد لا نهاية له من الأرواح (١٩)·

ويذكر احمد ابو زيد أن كثير من العلماء أخطأوا في فهم نظرية ليفي بريل عن الرجل البدائي حيث إعتقدوا أن الرجل البدائي عاجز عن التفكير المنطقي· ولكن الحقيقة أن النظريات الحديثة أثبتت أن الرجل البدائي كان يفكر بطريقة منطقية بالنسبة له ولظروف حياته وبالنسبة للبيئة التي يعيش فيها(٢٠) ·

وتتلخص نظرية تايلور في أن الشكل الأولي الذى تطورت عنه باقي الأشكال الموجودة هو المبدأ الحيوى وهو المبدأ الأساسي وهو يتركز في عبادة الأرواح· والتعريف البسيط للدين عند البدائي هو الإعتقاد في وجود كائنات روحية ، إذ كانت فكرة الروح تستخدم لتفسير أكثر الظواهر وأحداث الطبيعة التي كانت تحدث في القديم · حتى أن كل الأشجار والصخور كانت تتقمصها أحد هذه الأرواح أو الأشباح· وأن الصورة أو الشكل النهائي لتطور فكرة الإعتقاد في الكائنات الروحية هي ما يظهر في فكرة تعدد الآلهة أولاً ثم أخذت في شكل إله واحد (٢١) ·

وقد ظهر في القرن التاسع عشر عدد من العلماء الذين درسوا الدين بنفس طريقة كونت وتايلور وسبنسر ·

فماركس يرى أن الدين نشأ نتيجة الخوف والقلق اللذين أثارتهما الظواهر الطبيعية ، والدين لا يزيد عن أن يكون وهماً مصيره الإختفاء

والزوال· وعلى الرغم من ذلك لم يغفل ماركس الدور الذى يلعبه الدين في الضبط الإجتماعي ·

وقد تأثر فريزر بكل من النظرية التطورية والفلسفة الوضعية فأقام تفرقة بين السحر والدين ، فالسحر يؤكد سيطرة الإنسان على العمليات الطبيعية (أي أنه قانون طبيعي وموجه للسلوك) ، أما الدين فهو الإيمان بقوى أعلى من الإنسان ومحاولة التقرب لها وإرضاؤها· ونتيجة لنظرية " تايلور" أن فكرة الله ظهرت في مرحلة متأخرة ، أصبح عدد كبير من العلماء أمثال فريزر في كتابه " الغصن الذهبى" يرون ظهور السحر أسبق على ظهور الدين · ولما كانت بعض الأغراض لا تتحقق عن طريق السحر أدرك الناس أن هناك قوى أخرى لا يمكن إخضاعها ويجب التقرب لها· ومن هنا ظهر الدين ·

ويقول الفريد برسوليت أن فصل السحر عن المجال العام للدين ، من الصعب تحقيقه لأنه من الواضح أن السحر هو حجر الزاوية في تاريخ الديانات· ويضرب مثلاً لذلك أن شعائر التطهير في عبادة أبولو هي سحر محض (٢٢) ·

ولكن الفرق الجوهرى بين الدين والسحر هو أن السحر يتضمن العمليات الأتوماتيكية الجوهرية ، في حين أن الدين الخالص الخالي من السحر يرتكز على الإرادة الصالحة أو الشريرة للآلهة كعامل مستقل له سيادته·

ولا يمكننا أن ننكر أن السحر الأسود على الرغم من أنه كاد ينقرض نتيجة التدين والإستنارة إلا أنه إنحراف عن ديانة رسمية قوية لها نظمها وتمارس شعائرها.

وهذا يتفق مع موقف فريزر فنظريته عن السحر هي نظريته في موقف الرجل البدائي من العالم ومن الكون المحيط به ، ونوع العلاقات المتبادلة بين الإنسان وبين بقية الكائنات والظواهر الطبيعية في الكون.

أيضاً ظهر إتجاه سيكولوجي بالرجوع إلى نتائج علم النفس في تفسير التأويلات ثم صياغتها في قالب سيكولوجي ، فبعض العلماء لجأ إلى الإستبطان في دراسة الدين للتعرف على نشأته مثل تايلور. وبذلك جاءت المحاولات الأولى تفسيرات عقلية خالصة . ثم ظهرت نزعة أخرى تهتم بالحالات الإنفعالية والوجدانية فمالينوفسكي يرى أن الدين نشأ وقت الأزمات التي تمتاز بشدة الإنفعالات وغزارتها كالموت مثلاً.

نظرية المانا : ما قبل المادة الحية :

لعبت المانا دوراً هاماً في جميع النظريات الحديثة للدين البدائي ، وهي محاولة لتفسير الكائنات الخارقة للطبيعة ، والإحساس بوجود خوارق للطبيعة ينشأ نتيجة للصراع في بيئة قاسية فيزيقياً ، ونتيجة للصراع من أجل البقاء .

وإنقسمت الآراء حول المانا . فمجموعة منهم تؤكد على الجانب غير الشخصي والأخرى تؤكد على الجانب الشخصي ، فإحداهما يؤكد على الجانب المثالي التصوفي ، والآخر يؤكد على الجانب السحري.

واحمد ابو زيد يقول أن المانا عبارة عن خصائص خفية غامضة تسكن الأشياء ، وتتحد مع المطر وأشعة الشمس لتجعل الأشياء تنمو، كما أنها قد تصيب الرجل بالضرر ٠

ورونالد جونستون يذكر أن المانا مصطلح بولينيزى شائع فى الأديان البدائية ، وتظهر آثارها فى الأنساق الدينية فى المجتمعات ، ولاحظ برنيل بنسون أنها تظهر فى أديان متعددة تحت أسماء مختلفة ٠ فى الهندوسية تسمى دارشانا Darshan ، فى المسيحية تسمى " النعمة الإلهية Divine Grace " ، بين هنود أمريكا عند الجونكوينز تسمى " مانيتو" Manito، فى السيوكس تسمى واكندا Wakanda ، فى الايروكواى تسمى أورندا ، وفى الكروتسمى ماكسب Maxpe ، فى أمريكا تدعى أورندا Orenda ٠

ورونالد يعتبرها عنصر أولى من السحر ، وهى بالنسبة للذين يؤمنون بها ، توجد فى كل مكان فى العالم وتنتشر كقوة أو طاقة أولية ، تسبح فى الهواء فى إنتظار من يدركها ويفهمها ويتسلح بها ويستخدمها ، وهى كامنة إلى أن يأتى شخص ما لينشطها ويستخدمها (٢٣) ٠

الطوطمية :

الطوطمية هى مرحلة من مراحل التفكير التى إجتازها العقل البشرى ، إهتم بها دوركايم وهى تنتشر بين قبائل استراليا٠ والطوطم هو الجد الأكبر الذى ينتمى إليه أفراد القبيلة ، وقد يكون هذا الطوطم حيواناً أو نباتاً يعتقد أفراد العشيرة أنهم إنحدروا من سلالته٠ أى أن هناك رابطة

دم توحد وتربط ين العشيرة والطوطم، فالمجتمع هنا يقوم بتأليه نفسه وعبادته (٢٤) ٠

ودور كايم يعتبر الطوطمية هي أساس الدين ، أو على الأقل إن لم تكن الأساس فهي الشكل الأولى له ، ويتفق معه فريزر ، وروبرتسون سميث، وإن كان فريزر وضعها بعد ذلك تحت بند السحر ٠

هذ بعض الآراء في صور العقائد والطقوس الدينية في المجتمعات البدائية والتي درسها العلماء الأوائل٠ وبدأنا بعرضها بصورة موجزة بعد تعريف الدين وسماته وخصائصه ، لما للدين من إرتباط وثيق وأهمية قصوى بظاهرة النسك ،إذ أننا لا يمكن أن نتطرق إلى ظاهرة النسك في الديانات المختلفة قبل توضيح تعريف الدين وأهميته لأنه لا يمكن أن ينشأ نسك من العدم ، بل لابد من وجود ديانة إنبثقت منها فكرة النسك ، سواء كانت ديانة وثنية مثل اليونانية أو البوذية أو ديانة كبرى كاليهودية والمسيحية والإسلام٠

ويشير فاروق احمد مصطفى إلى بعض النظريات الدينية السابقة تحت مسميات أخرى نذكر منها ما يلي :

- نظرية عبادة الطبيعة The Nature Worshiy Theory ٠
- النظرية السحرية لدى جيمس فريزر ٠

نظرية أصل التوحيد :
: The Theory of Originel Monotheism

ظهر إتجاه مختلف تماماً عن عبادة الطبيعة في البحث عن أصل الدين على يد الأب شميدس Schmidt بعد دراسته للديانات البدائية في أفريقيا واستراليا حيث وجد أن هناك إعتقاداً هاماً في هذه الديانات بالنسبة لوجود " الإله الأعلى " وهو أب كل الآلهة الأخرى وهو الذى خلق العالم وبعد ذلك ذهب بعيداً وله إتصال بسيط بالعالم وقد أشارت بعض الحكايات والأساطير بأنه سيعود مرة ثانية • وفي المجتمعات البدائية نجد أن الآلهة المحليين هي التي تحتل الإهتمام الأكبر في العبادة بينما الإله الأعلى ليس له الإهتمام الكافي ومن ثم فقد توصل الأب شميدس إلى أن البدائيين قد عرفوا التوحيد ونظراً لأن عبادة الإله الواحد كانت صعبة فإن الدين قد تحول إلى التعددية (تعدد الآلهة) •

وقد ذكر الأب شميدس أن الديانات المتقدمة إكتشفت وعرفت حقيقة الوحدانية ومما لاشك فيه أن الأب شميدس تأثر في دراسته بمسيحيته عندما وضع هذه النظرية •

نظرية تحقيق الرغبة : The Wish Fulfillment Theory :

(أطلق عليها البعض النظرية السيكولوجية كما سبق) •

من المفكرين الذين ظهروا في القرن التاسع عشر وإهتموا بدراسة اللاهوت الفيلسوف الألماني Ludeving Furbck والذى توصل من دراسته أنه لا يوجد إله وأن الإعتقاد في الآلهة هي مجرد رغبة كامنة يراد تحقيقها • فعندما

يصادف الإنسان مشكلة لا يستطيع التعامل معها أو مقاومتها فى الحياة فإنه يسقط رغبته وينمى فكرة الآلهة والأديان .

وفى القرن العشرين أخذ كل من كارل ماركس وسيجموند فرويد أفكار فيريك Feuerbach وبدأ كل منهما فى وضع صياغة خاصة للدين من وجهة نظره . وكان لكارل ماركس رأيه فى أن الدين " أفيون الشعوب " وأن الدين قد وضعته القلة لكى تسيطر على الجماهير وتمنعهم من الثورة وهذه القلة تمثلت فى الحكام وأتباعهم من رجال الدين الذين يريدون أن يمتلكوا الثروة لذلك وضعوا جدول للآلهة والسموات والجنة والنار وكانوا يعدون الناس إذا ما قبلوا حياة الفقر فى هذه الدنيا وأطاعوا الحكام والكهنة رجال الدين فإن لهم الجنة فى الحياة الأخرى وقد صدق الناس أكاذيبهم وعاشوا أشد حالات البؤس والشقاء .

أما سيجموند فرويد Sigmund Freud مؤسس التحليل النفسى فقد أعطى أفكار فيريك بعداً سيكولوجياً فقد رأى أن ظهور الدين يرجع إلى شعور الإنسان بالذنب نتيجة كراهية الأفراد للآباء وحبهم الشديد وتعلقهم بالأمهات. وقد وجد فى الأسطورة اليونانية أوديب Oedipus نموذجاً للتعبير عن الخبرة الإنسانية التى تمثلت فى قتل أوديب والده وزواجه من أمه وإعتقد فرويد أن حالة أوديب موجودة فى الإنسان وفى كل البشر فهناك إتجاه ورغبة فى الأمهات وكراهية للآباء ومن أجل هذه الكراهية والشعور بالذنب تخيل الإنسان وجود الأب الأكبر فى السماء ويتم تسميته بالآلهة وإعتقد فرويد أن

الإنسان الناضج هو الذى يواجه المشكلات ويعتمد على نفسه دون الإعتماد على الإله أو الديانات ٠

نظرية المنفعة عند بول رادن : Paul Radin :

يرى الأنثروبولوجى بول رادن أن الخوف والفزع فى الإنسان وفى الرجل البدائى على وجه الخصوص قد عرفهما واكتسبهما عندما إصطدم ببعض الحقائق الخارجية والداخلية ٠ وقد حاول أن يستخدم السحر والدين لوجود منفعة وفائدة إقتصادية منهما، وقد تتبع رادن المجتمعات الإنسانية منذ مجتمعات الجمع والإلتقاط ومجتمعات الصيد وغيرها وقد أوضح أن هناك علاقة بين رئيس العشيرة والقبيلة ورجل الدين الشامان وهناك إرتباط وثيق بين النظام السياسى والنظام الدينى وأعطى مثالاً على ذلك من الجماعات التى كانت تعيش فى وسط كاليفورنيا بأمريكا والتى كانت تسمى بجماعات اليوكوشى حيث وجد أن الخوف أحد الأسباب التى أدت إلى ظهور دور رجل الدين الشامان كما وأن الزعيم هو الذى كان يسيطر على التجارة وأن الزعيم كان يشارك رجل الدين فى الهدايا التى كان يقدمها له هؤلاء الذين يشتركون فى الممارسات الدينية ٠ وقد ربط رادن بين النسق الإقتصادى وأهميته وبين النسق الدينى عند البدائيين وبين الدين والأنساق الأخرى وأعطى أهمية خاصة لعلاقة النسق الدينى بالنسق الإقتصادى ٠

ويمكن أن نستخلص من كل النظريات التى سبق الإشارة إليها ما يلى :

(١) أن الديانات المختلفة تتوقف على علاقة الإنسان بالآلهة وبالعالم غير المرئى ٠٠٠٠ الأرواح ٠٠ إلخ ٠

(٢) أن الديانات تنمى دائماً نسقاً من الحكايات لهذا العالم غير المرئى ولابد من وجود الشعائر التى تمارس من أجل تحقيق الجوانب الروحية٠

(٣) أن لكل الديانات معابدها ومؤسساتها الخاصة التى تقام فيها هذه الشعائر ورجال الدين المتخصصين فى هذه الديانات ٠

(٤) أن كل الديانات تضع وصف الحياة ما بعد الموت (الجنة والنار) ٠

(٥) أن أى ديانة لابد أن يكون لها أتباعها الذين يؤمنون بمعتقداتها ويمارسون الشعائر الخاصة بها (٢٥) ٠

النظرية الإجتماعية : اميل دور كايم :

بدأ دور كايم مناقشته بدراسة التوتمية الأسترالية التى عرفها بأنها عبادة أفراد العشيرة للنبات أو الحيوان الذى يعدونه جداً لهم فالتوتم قوة غيبية وشعار للمجتمع فى آن واحد ٠

وحينما تتجمع العشيرة أثناء الإحتفالات التوتمية للقيام بطقوس عنيفة تنشأ لدى الأفراد إنفعالات عنيفة ، وحينما يعود الفرد لحالة الهدوء ، يشعر كما لو أنه هبط من عالم آخر يطلق عليه العالم المقدس ، وليست المانا إلا هذه القوة الإنفعالية ٠ ومن هنا تتحول العاطفة الإجتماعية إلىعاطفة دينية ٠

ولذلك يرى دور كايم أن الحلم أو تأمل الطبيعة لا يمكن أن يكونا سبباً فى نشأة العاطفة الدينية ، فهى ترجع إلى شىء خارج عن الفرد أى لابد أن يكون أصلها إجتماعياً ٠

ويؤكد أن الحماس العاطفى خلال الإحتفالات الجماعية شرطاً ضرورياً

لشعور الإنسان بوجود قوة فى الطبيعة خارجة عنه ومن هنا نشأ الدين· أى أن الدين وليد المجتمع والعقل الجمعى (٢٦) ·

ويؤكد سعفان أن دور كايم من المدرسة الفرنسية فى كتابه " الأشكال الأولية للحياة الدينية " ينتهى إلى قضيتين رئيسيتين :

القضية الأولى : أن الأفكار والطقوس الدينية إنما ترمز إلى المجتمع وتعبر عن الحياة الجمعية:

القضية الثانية : أن الحياة الإجتماعية هى مصدر الأفكار الإجتماعية وهى علتها الأولى ، كما أنها أيضاً أساس التجربة الدينية (٢٧) ·

ويشير بيومى إلى أن دور كايم له منهجاً مخالفاً لدراسة الظاهرة الدينية، فالدين لديه يجب أن يدرس كحقيقة إجتماعية أو شىء · ويرى دور كايم أن الأشياء المقدسة لأى نسق دينى هى رموز للمجتمع الذى يمارس هذا الدين. فالمجتمع البدائى يحيا حياة بدائية ، وعندما تجتمع تلك الشعوب فى مناسبات معينة يقوى هذا الإحساس الجمعى ، وبتكرار هذا الإحساس فى المناسبات يصبح نوعاً من الشعائر ويأخذ فى ذهن المشاركين فيه شكل القوى المقدسة ·

فتلك الأحاسيس التى يعبر عنها من خلال الشعائر تنعكس على الموضوعات التى أصبحت ذات طبيعة مقدسة فى رأى الجماعة وتضفى نوعاً من الخشوع الدينى فى مواجهة القوى الغامضة ·

وما يريد دور كايم قوله أن الجماعة الإجتماعية هى المسئولة عن تكوين الدين والأخلاق والتعبير عن ذلك رمزياً • فالدين خاص بجماعة معينة وعندما تتغير هذه الجماعة يتغير الدين أيضاً•
بمعنى آخر أن بناء الجماعة عنده يعتبر متغيراً مستقلاً والدين يعتبر متغيراً تابعاً •

ومن الناحية الوظيفية يرى دور كايم أن الدين يسند ويدعم بناء إجتماعى معين عن طريق منع الإنحراف وتحديد مجريات التغير وإعطاء سلطة مطلقة ومقدسة لقيم وقواعد الجماعة • فالدين مستمداً أيضاً من التضامن الإجتماعى من ناحية فضلاً عن أنه يعضده من ناحية أخرى (٢٨) •

باريتو : نسبية الظاهرة الدينية :

تتميز إسهامات باريتو فى دراسة الظاهرة الدينية بتأثره بأن المعرفة السوسيولوجية لها طبيعة نسبية ، فكل إفتراض يجب أن يوضع فى حدود الزمان والتجربة التى عرفناه فيها•
وفى بحثه للظواهر الدينية يرى " أننا لا نهتم بالبحث فى حقيقة أى دين أو عقيدة أو إعتقاد أخلاقى أو ميتافيزيقى مهما كان ، ليس لأننا نحتقر هذه الأشياء ، ولكن لأنها تقع خارج حدود عملنا "•

فالأديان والإعتقادات يمكن النظر إليها فقط على أنها حقائق إجتماعية • فنحن نبحث فى كيف يتكون الإعتقاد ، وكيف يتطور ، وما هى علاقته بالحقائق الإجتماعية الأخرى •

لابـراس : الإتجاه السوسيوجرافي لدراسة الدين :

على الرغم من تأثر Le. Brass في فرنسا بنظريات دوركايم إلا أنه قدم إتجاهاً مميزاً يعرف بالإتجاه السوسيوجرافي في الدين Sociography of Religion .

حاول أن يبين بنوع من التفصيل درجة تأثير الممارسات والشعائر الدينية على فرنسا المعاصرة وبالأخص الذهاب إلى دور العبادة كالكنائس ودرجة الإنتماء الديني والإعتقاد والمعرفة في المعتقدات الدينية والعلاقات القائمة بين متغيرات مثل الصناعة وحياة المدينة والطبقة الإجتماعية وبين الممارسات الدينية في فرنسا .

ماركس : الدين والوعي الطبقي : Marx

لخص ماركس أفكاره عن الدين في عبارته الشهيرة " أن الدين هو أنين الكائن المضطهد ، وقلب العالم عديم الرحمة وحس الظروف القاسية ، أنه أفيون الشعوب " .

وكان إهتمام ماركس بالدور الذي يلعبه الدين في المجتمعات ذات الطبقات وكيف يسهم في إخماد أو نمو الوعي الطبقي بين أفراد الطبقة المستغلة .

وحاول انجلز Engles أن يبين العلاقة بين الظواهر الدينية والتقسيمات الطبقية في مجتمعات معينة .

فالدين لدى كل من ماركس وانجلز وسيلة للإعتراض والقبول والخضوع ، وحاولا تمييز الظروف التى يظهر أو يكمن فيهاالصراع الطبقى من خلال تبريرات دينية (٢٩) •

أما حسن شحاتة سعفان فيرى أن ماركس تأثر بهيجل ولكنه إتخذ من العوامل المادية والإقتصادية أساساً لتطور التاريخ فالبناء الإقتصادى للمجتمع هو الأساس الذى تقوم عليه الحياة والنظم الإجتماعية الأخرى ومنها الدين والعادات والتقاليد والتربية بحيث أن أى تغير يحدث فى الأساس الإقتصادى يقابله حتماً تغير فى النظم الإجتماعية الأخرى •

والعلاقات الإقتصادية تؤدى إلى وجود طبقة حاكمة مسيطرة تقف أمامها أخرى معارضة ، والنضال يؤدى إلى إنتصار الطبقة المعارضة وزوال الطبقة الحاكمة الظالمة •

والتاريخ الإنسانى عبارة عن نضال بين الطبقات :

- ففى العصور القديمة نضال قائم بين طبقة الشعب وطبقة الأرستقراطيين وإنتصار طبقة الشعب •
- والعصور الوسطى ساد النضال بين طبقة الأشراف وطبقة الأتباع والتهى بإنتصار الأتباع•
- فى العصر الحديث النزاع بين طبقة الرأسماليين البرجوازية وطبقة العمال ، ينتهى بسيادة العمال ثم يتحول المجتمع إلى مجتمع بلا طبقات تسوده المساواة•

ويرى ماركس أن الديـن هـو النتيجـة الحتميـة نتيجـة مسـاوىء النظـام الإقتصادى فـالدين ليـس إلا نظاماً خلقته الطبقـات الظالمـة ليكـون بمثابـة " أفيـون " تخـدر بـه الطبقـات المظلومـة حتـى تتحمـل الظلـم وتصبر علـى الإستغلال على أمل أن الله سيجازيها خير الجزاء فى العالم الآخر (٣٠) ٠

هيوبرت وموس : الشعائر والحياة الإجتماعية:

حاول هيوبرت Hubert وموس Mauss تطبيق نظرية دوركايم – على البنـاء الإجتماعى للإسكيمو وأنشطته الدينيـة – لإثبات أن هنـاك علاقة بين الحياة الإجتماعية والنشاط الشعائرى فى الإسكيمو تشبه العلاقـة القائمـة فـى قبيلـة Arunta التى درسها دوركايم ٠

أى الدراسة الوظيفية للأديان البدائيـة التى تتميز ببنـاء ثـابت إلى حد مـا بينما بدأ الإهتمام بعد ذلك بالتغيرات المفاجئة التى لحقت بالأديان البدائيـة نتيجة الغزو الأوربى المتمثل فى التجارة والإحتكاك الثقافى والإستعمار ٠

مالينوفسكى : الجانب السحرى والعملى فى السلوك البدائى :

لاحظ مالينوفسكى أن سـكان جزر التروبريـاند Trobriand يقيمـون فـى كـل عـام سلسـلة مـن الشعائر فـى الفلاحـة ، ولديهم خـبرة تجعلهـم يفرقـون بـين مـا يمكـن إنجازه بالوسـائل العلميـة ، ومـا يمكـن حلـه عـن طريـق الإعتقـادات السحرية أو الشعائر ٠

فالدين والسحر تعد بمثابة مخارج للمواقف والمآزق التى لا مخرج منها عن طريق الوسائل الأمبيريقية ولا حل لها إلا بالشعائر والإعتقاد فيما هو روحانى أو

فوق عضوى . ومن وجهة نظر مالينوفسكى أن الإعتقادات السحرية والدينية والشعائر ليست أخطاء كما ذكر جيمس فريزر ولكنها إستجابات لنوع مختلف من السلوك لمن يؤمنون بها . فللدين والسحر وظائف خاصة .

ماكس فيبر والإجتماع الديني :

جعل فيبر من الدين محوراً لإهتماماته السوسيولوجية ، تناول أديان العالم الكبرى من خلال تحليل أوضاعها التاريخية والإجتماعية . ونهج نهجاً مخالفاً للمناهج التى إستخدمتها الإتجاهات التطورية والوضعية .

وإنصب إهتمامه على الإختلافات بين الأنساق الدينية المختلفة أكثر من التشابهات التى بينها .

تتبع مثلما فعل ماركس تطور الرأسمالية الحديثة ولكنه نظر إلى الرأسمالية باعتبارها ظاهرة تاريخية منفردة وليس على أنها مرحلة تاريخية . فقد إهتم بتوضيح سبب عدم ظهور الرأسمالية فى مجتمعات أخرى ، والعلاقة بين ظهورها فى مجتمعات معينة وبين الأخلاق البروتستانتية بالذات التى تشجع قيمها على الرأسمالية . أى حاول إقامة علم إجتماع دينى من خلال دراسة الأفكار والقيم والدين الإجتماعى (٣١) .

مراجع

الفصل الثالث

١- بوتو مور : تمهيد في علم الاجتماع المعاصر ، ترجمة محمد الجوهري ، القاهرة ، ١٩٧٢ ٠

2 - Clifford Geertez; International Encyclopedia of The Social Sciences . O.p. Cit . Vol. 13 - 14 P. 398 .

٣ - احمد ابوزيد : تايلور من نوابغ الفكر الغربي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧ ٠

٤ - محمد احمد بيومي : علم الاجتماع الديني ، دار المعرفة ١٩٨٥ ص ٢٢٦- ٢٢٨ ٠

5 - Encycloneodia Britannica : Macropoedia ; " Sociological Studies of Religion " Vol. 15.

٦ - روجيه باستيد : مبادىء علم الاجتماع الديني ، ترجمة محود قاسم ، مرجع سابق ص ٢١٥ ٠

٧ - محمد احمد بيومي : علم الاجتماع الديني ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ ، ص ٩٤ - ٩٥ ٠

8 - Clifford Geertz; International Encyclopedia of The Social Sciences; O.p. Cit . Vol. 13 - 14 .

٩ - جيمس فيرزر : الغصن الذهبي ، ترجمة احمد ابو زيد ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ٠ ص ٩ - ٥٨

11 - Clifford Geertz ; International Encyclopedia of The Social Sciences; O.p. Cit. Vol. 13 - 14 .

١٢ – حسن سعفان : مرجع سابق ، ص ١٤٠ – ١٤٥ ٠

١٣ – روجيه باستيد : ترجمة محمود قاسم ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ – ٢١٩ .

14 - William J. Goode ; Religion Among the Primitives; Collier - Macmilian limited, London. 1968 . P. 69 .

١٥ – روجيه باستيد ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ ٠

١٦ – حسن سعفان : مرجع سابق ، ص ١٤٥ – ١٥٣ ٠

١٧ – روجيه باستيد : مبادىء علم الإجتماع الدينى ، ترجمة محمد قاسم ص ٢١٦ ٠

١٨ – فاروق احمد مصطفى ، الدراسات الإجتماعية للدين وجهة نظر نقدية ، مؤتمر الوضع الحالى لعلم الإجتماع والأنثروبولوجيا فى مصر ديسمبر ١٩٩٦ ٠

١٩ – احمد ابو زيد : مقال " نظرة البدائيين للكون " دراسة فى الأنثروبولوجيا المقارنة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ص ٥٤ ٠

٢٠ – جيمس فريزر : الغصن الذهبى ، ترجمة أحمد ابو زيد ، ص ٤٧ ٠

21 - Clifford Greetz ; International Encyclopedia of The Social Sciences; O.p. Cit. Vol . 13 - 14 P. 399 .

22 - Bertholet Alfred ; Encyclopedia of The Social Sciences " Religion " P . 228 - 237 . Vol . 16 .

23 - Ronald L . Honstone ; Religion and Society In Interaction ; Prentice - Hall, 1975 . Part 1 .

24 - Ibid .

٢٥ – فاروق احمد مصطفى : الدراسات الإجتماعية للدين ، وجهة نظر نقدية ، مؤتمر الوضع الحالى لعلم الإجتماع والأنثروبولوجيا فى مصر ديسمبر ١٩٩٦ ٠ من ص ١٢ – ١٦ ٠

٢٦ – روجيه باستيد : مرجع سابق ، ص ٢٢٥ – ٢٢٨ ٠

٢٧ – حسن سعفان : مرجع سابق ، ص ١٥٧ – ١٥٩ ٠

٢٨ – محمد احمد بيومي : مرجع سابق ، ص ١٠٤ – ١٠٦ ٠

٢٩ – محمد احمد بيومي : علم الاجتماع الديني ، مرجع سابق ، ص ١١٢ – ٢١٢ ٠

٣٠ – حسن شحاتة سعفان : الدين والمجتمع ، مبادىء في علم الإجتماع الديني ، مرجع سابق ، ص ٢١٠ – ٢١٣ ٠

٣١ – محمد احمد بيومي : مرجع سابق ، ص ١١٠ – ١٢٥ ٠

الفصل الرابع

مناهج دراسة علم الإجتماع الدينى ومداخله

١- المنهج التاريخى او التخمينى " التاريخ الظنى " والتطورى

٢- المنهج النفسى الاستبطانى

٣- منهج التحليل المقارن

٤- منهج تايلور " الفولكلورى "

٥- المنهج التكاملى الوظيفى

٦- المدخل السوسيولوجى لدراسة الدين

٧- المدخل الفينومينولوجى

الفصل الرابع

مناهج علم الإجتماع الدينى ومـداخلـه

تشترك العلوم الإجتماعية فى مناهجها العامة على إعتبار أنها بدأت كلاً لا يتجزأ ، وما زالت تعتبر فروعاً متكاملة متشابكة يتمم بعضها البعض الآخر رغم تخصصاتها ٠

ولما كان علم الإجتماع الدينى قد خضع منهجه للمذاهب والمدارس الإجتماعية المختلفة فى علم الإجتماع العام فإن مناهج الدراسات الدينية يمكن معالجتها فى ضوء المناهج التى إتبعتها المدارس الإجتماعية بصفة عامة والمباحث الميدانية المعاصرة بصفة خاصة (١) ٠

ففى البداية حاول علم الإجتماع الدينى تطبيق المناهج العامة فى علم الإجتماع كما كانت فى أعمال أوجيست كونت وهربرت سبنسر وماركس وبعد ذلك إعتمد على أعمال رواد علم الإجتماع الدينى من أمثال فوستل كولانج Fustel De Coulanges واميل دوركايم Emile Durkhiem وماكس فيبر Max Weber وارنست ترولينش E. Troeletsch ورنر سمبارت Werner Sombart وماكس شيلر وغيرهم (٢)٠

اولاً : مناهج علم الإجتماع الدينـــى :

يذكر محمد احمد بيومى أن هناك العديد من الطرق المناسبة لدراسة أى ديـن ٠ وأن المناهج المستخدمة فى علم الإجتماع الدينى هى نفس المناهج المستخدمة فى علم الإجتماع وتشمل دراسة المجتمع المحلى ،

الملاحظة بالمشاركة ، إستخدام الإحصاءات الرسمية ، دراسة الحالة ، المقابلات، تحليل المضمون ، الجداول والإستبيانات ، مسح العينة ٠٠ إلخ(٣)٠

وهناك العديد من المناهج والمداخل المختلفة فى علم الإجتماع الدينى منها :

المنهج التاريخى أو التخمينى :

إمتازت المرحلة التمهيدية للدراسات الدينية بإستخدام المنهج التاريخى التخمينى أو الإفتراضى Hypothetical History ويطلق دوجالد ستيوارت Dugald Stewart على هذا المنهج " المنهج النظرى أو التاريخ الظنى Conjectural History " على اعتبار أن هذا المنهج يهدف إلى إبراز الإتجاهات العامة والمراحل المتتابعة التى مرت بها الظاهرة الدينية منذ نشأتها وتكوينها من البسيط إلى المركب وتوضيح العناصر التى تتكون منها ، والعناصر التى تتشابك أو تتفاعل معها والمظاهر التى تظهر بها فى مختلف البيئات والمجتمعات فى مختلف العصور بقصد الوصول إلى قانون عام ٠

مبادىء المنهج التخمينى التاريخى :

يرتكز هذا المنهج على عدة إفتراضات ومبادىء أهمها :

١ - التسليم المطلق بالتشابه الجوهرى فى الطبيعة البشرية فى كل زمان ومكان بمعنى أن الشعوب الإنسانية تمر بنفس المراحل بالنسبة للمعتقدات والطقوس الدينية٠

٢ - الإفتراض الثانى الإعتقاد بأن الجماعات الإنسانية الأولى تحيا على نفس النمط من الحياة الدينية لدى الجماعات المعاصرة المتخلفة التى ظلت بمعزل عن الحضارة ولم تصلها الديانات الراقية سواء فى استراليا أو أفريقيا أو أمريكا ٠

أى أن الهدف من هذا المنهج هو إعادة بناء الصورة التى كانت عليها الديانة فى كل المجتمعات الإنسانية ٠

واستخدم هؤلاء المفكرون النظريون للوصول إلى هذه الغاية ما أسماه كونت Conte فيما بعد المنهج المقارن ٠

وقد أخذ أنصار المنهج التاريخى فى دراساتهم الدينية بالإتجاه التحليلى القياسى إلى مقابلة ما يسمى بالحالة الفطرية والحالة المدنية التحضيرية لإظهار ما بين الحالتين من تباين ملحوظ ومقارنة القيم والعقائد بين ما يسمى بالديانات الوثنية وما يسمى بالديانات السماوية الراقية٠

وهذا الإتجاه التحليلى القياسى ينعكس فى مؤلفات كل من جيمس فريزر وتايلور ووستر مارك ٠ فإن المادة الدينية لمؤلفاتهم حوت نظم دينية مأخوذة من مصادر مختلفة وأزمنة وبيئات وجماعات متباينة بقصد بيان مدى شيوعها أو إظهار عموميتها ٠ ولكن هذا المنهج التحليلى القياسى لا يرتكز على المقارنات العلمية الدقيقة كما يقول الخشاب بل يعتمد أساساً على التعليقات والتفسيرات (٤)٠

المدخل التاريخي التطوري :

به يحاول الباحث أن يتتبع أصل ونمو الأفكار والنظم الدينية خلال فترات محددة من التطور التايخي ، وتحديد دور القوى التي نازعت الدين خلال هذه الفترات ·

ويستند المؤرخ في بحثه عن أديان الإنسان أساساً إلى البحث الأركيولوجي Archaeological (الحفريات والآثار) واللغوى · فهذه المادة تمكن المؤرخ من إعادة صياغة أحداث ووقائع الماضي سواء القريب أو السحيق لتفسير التاريخ الديني للإنسان فهذه التفسيرات اللغوية والتاريخية تعد عنصراً أساسياً لدراسة الدين (٥) ·

المداخل النمطية والتاريخية :

Historical and Typological Approaches :

أهملت فكرة البحث عن نظريات عامة في التطور المجتمعي وبدأ الإهتمام باختيار الفروض الخاصة بدور الدين في فترات تاريخية معينة ، أو الفروض التي تهتم بتطور أشكال خاصة للتنظيم الديني ·

وعلماء الإجتماع يستخدمون البيانات التاريخية بطريقة تختلف عن المؤرخ فهو يبحث عن أنواع معينة من المواقف التاريخية التي تتعلق بمواقف تاريخية أخرى ، أي يبحث العلاقات ولا يهتم بالمعرفة التفصيلية عن موقف معين في حدد ذاته · وعلى سبيل المثال نجد فيبر يحاول أن يفهم أنماطاً على أساس دراسته للتاريخ ، فالنماذج المثالية للرأسمالية والأخلاق

البروتستانتية عند فيبر هي تركيبات عقلية قائمة على معرفة غنية بالوقائع التاريخية الحقيقية والتي تتصل في جميع النواحي بواحد من هذه النماذج المثالية ، فعالم الإجتماع إذن يستخدم التاريخ لإقامة الأنماط أو النماذج وهذا يتطلب البحث التاريخي .

المنهج النفسي الإستبطاني :

كثيراً ما كان العلماء يعتمدون في تحليلاتهم للعقائد والطقوس الدينية على ملاحظات سيكولوجية في طبيعتها ويفسرون الظواهر الدينية في ضوء الظواهر النفسية ، وفي ضوء الرؤى والأحلام والهواجس والمرض واليقظة والنوم والحياة والموت . أي كل ما يتصل بالحياة النفسية .

ومن هنا ظهرت النظرية الروحية Animism وعبادة الأرواح ثم عبادة مظاهر الطبيعة على أساس إدراك النفس الإنسانية لأحداث الكون والخوف والتعجب إزاء الظواهر المفاجئة كالبرق والمطر .

وظهرت نظرية المادة الحيوية أو المانا على أساس موقف النفس الإنسانية من الأمور الخارقة للعادة والتي هي فوق المستوى الطبيعي .

واعتمدت الفرق الدينية الصوفية على التجارب النفسية وإدراكها للحب الإلهي والكشف والبصيرة والإلهام . وفسر بعض العلماء وعلى رأسهم فرويد الحياة الدينية عن طريق التحليل النفسي في كتابه "التوتم والتابو " والتابو أي الأمور المحرمة من الناحية الدينية .

ومن العلماء الذين اعتمدوا على المنهج الإستبطاني أو النفسي ماريت

Marett ومالينوفسكي Malinowski في انجلترا ولوى Louie ورادين Radinفى أمريكا ٠

فقد عالجوا الظواهر الدينية والتابو والطقوس السحرية على أنها وليدة الحالات الإنفعالية والمشاعر النفسية كالرهبة والخوف والدهشة والكراهية والحب والإحساس بوجود عالم الغيب والظواهر الخارقة للعادة ٠ أى الأمور التى يستخدم فيها المنهج الإستبطانى (٧) ٠

مدخل التفسير النفسى للدين :

وهو يهتم بديناميات ومشاعر الفرد والجماعات الدينية لمعرفة الجوانب الداخلية للتجربة الدينية وأوقات حدوثها ٠

ومنذ بداية القرن العشرين يحاول علماء النفس الدينى Psychology of Religion التعمق فى فهم وتحليل اللاشعور وميكانيزماته (٨) ٠

والبعض يرى إستبعاد منهج الإستبطان فى دراسة الظاهر الدينية ومنهم دور كايم الذى يؤكد أن الباحث يجب ان يتجرد من أفكاره ومشاعره التى قد تحول بينه وبين الوقائع فلا يراها إلا من زاوية معينة مما يباعد بينه وبين البحث العلمى السليم ٠

وهناك من يرى أن الباحث لا يستطيع أن يبحث الظواهر الدينية إلا إذا كان هو نفسه قد مر بتجربة دينية فى حياته ، فهذه التجربة ضرورية لتكوين الخبرة لديه ليستطيع الحكم على الظواهر ٠ ومن هؤلاء روجيه باستيد Bastide الذى يعتقد أن عالم الإجتماع لا ينبغى أن يهمل مشاركته الوجدانية.

ويرى باستيد أن المنهج المقارن يعتبر المنهج الرئيسى فى دراسة الظواهر الدينية إلى جانب مناهج الملاحظة والمشاهدة والتجربة والإحصاء والمنهج التاريخى ، وينصح بأن يكون منهج الإستبطان منهجاً ثانوياً فى هذه الدراسة.

أما حسن سعفان فيرى أن دراسة الظواهر الدينية يجب أن تكون بمنأى عن العواطف والشعور والذاتية ، بمعنى آخر ضرورة إستخدام المناهج العلمية المستخدمة فى العلوم الطبيعية وإن كان هناك ظواهر دينية لا يستطيع الباحث فهمها تماماً إلا إذا جربها بنفسه مثل التصوف • وهنا لابد أن نشير أن علم الإجتماع الدينى لا يدرس الدين فى ذاته ولكن يدرس الظواهر الدينية من حيث هى ظاهرة إجتماعية أو نظاماً إجتماعياً ، فالباحث فى علم الإجتماع الدينى يشاهد أو يلاحظ ويدرس ويدون النتائج ويستخلص منها القانون الذى تخضع له الظواهر الدينية أى دراسة تحليلية علمية •

وإن كانت التجربة الدينية لعالم الإجتماع الدينى تعد من العوامل المساعدة الثانوية لفهم الظاهرة الدينية التى يبحثها •

وعند دراسة الظاهرة الدينية أو كأسطورة من الأساطير أوطقس من الطقوس ألا يفصل بين هذه الظاهرة وبين الهيكل الدينى العام الذى تكون جزءاً منه ، لأن هذا سيؤدى إلى سوء فهم للظاهرة وسوء تعليلها وتفسيرها(٩) •

المنهج التحليلى المقارن :

شاع منهج التحليل المقارن فى الدراسات الدينية وإن لم تحلل من

الفروض التخمينية والنزعات الفلسفية التطورية ٠

واهتم علماء هذا المنهج فى البداية بالبحث عن الأصول الأولى لبعض الإعتقادات والممارسات الدينية عن طريق معرفة مدى تقاربها أوتشابهها ٠

وقد قرر دى بروى De Brosse أن النظم المتناظرة فى البيئات المتباعدة تعد دليلاً على تماثل الظروف الإجتماعية فى كل من الجماعات التى تشترك فى نظم متماثلة ٠ وتوصل إلى نظريته المشهورة عن إنتقال الطقوس والمعتقدات الدينية وساعد على تفسير التوافق والتقارب بين النظم الدينية والأشكال والصور الأولية للعبادات ٠

وما لبث هذا الإتجاه أن تحول من البحث عن أصول النظم الدينية إلى البحث عن علل إنتشارها وعواملها الإجتماعية (١٠) ٠

وإذا وجدنا ظاهرة متشابهة فى عدة مجتمعات مثل ظاهرة التابو Tabou أو المحرمات يقول هوبير وموس فيجب عند تحليل الوقائع أن يبحث الباحث فى الفوارق المميزة للأوساط الإجتماعية التى تسود فيها الظاهرة المدروسة ومدى أثر إختلاف عوامل البيئة الثقافية والفيزيقية أوتشابهها على إختلاف الظاهرة " ظاهرة التابو " أو تشابهها ٠

وأيضاً نبحث العوامل التى أدت إلى هذا التشابه وهى لا تخرج عن أحد ثلاثة إحتمالات تبين الإتجاهات الثلاثة لعلم الإجتماع الإثنوجرافى ٠

أ - المدرسة التاريخية الثقافية تميل إلى أن التشابه يرجع إلى الإنتقال المباشر أو غير المباشر من شعب إلى آخر٠

ب - مدرسة الأجناس البشرية الإنجليزية ترجع التشابه إلى إستجابة العقل البشرى لعوامل وظروف متشابهة ٠

ج - أن تكون الظروف البيئية والثقافية المتباينة بتلك المجتمعات أدت إلى تشابه الظاهرة بها نتيجة ما طرأ على تلك الظروف من تغير وتطور وهذا الإحتمال تمثله المدرسة الإجتماعية الفرنسية ثم المدرسة الأمريكية (١١) ٠

المداخل المقارنة : Comparative Approaches

قام فيبر بالعديد من الدراسات المقارنة وحاول أن يبين دور الدين والأخلاق البروتستانتية فى تكوين الرأسمالية الصناعية فى الغرب وأيضاً فى دراسته لأديان الهند والصين ٠

أى درس تأثير الدين فى الحياة الإقتصادية فى المجتمعات الشرقية والغربية ودور الدين فى نفس المجتمعات على مدى قرون ، ودور الدين فى مجتمعات مختلفة فى زمن واحد (١٢) ٠

منهج تايلور (الفولكلورى) :

يذكر احمد ابو زيد أن المنهج الذى إتبعه تايلور فى دراسة الدين خاص بالدراسات الفولكلورية وليس المنهج الأنثروبولوجى - كما يفهم الآن - إذ إهتم تايلور بالرجوع إلى الماضى عن طريق دراسة المخلفات والبقايا ، وقام بربط العناصر المترسبة أو المتخلفة فى الثقافات المتحضرة الراقية بنموذج أو مثال قديم لا يزال يتردد صداه وتوجد صورته لدى الشعوب البدائية الموجودة الآن بالفعل ٠

واهتم تايلور بالأصول "الأيديولوجية" للدين دون الأصول "السوسيولوجية أو الإجتماعية" ولم يهتم بدراسة الشعائر والممارسات الدينية أى الجانب العملى الظاهر من الدين البدائى إلا لتدعيم أفكاره على الرغم من أنه يعود ويقرر أن دراسة الجانب العملى أيسر من دراسة النظرية والعقيدة، كما أنها أقرب إلى طبيعة البحث الإثنواجرافى ، علاوة على أنها كفيلة بأن توصل إلى نتائج صحيحة ومضمونة ومؤكدة. فمن الأسهل أن يصف الباحث الشعائر والممارسات التى يلاحظها بطريق مباشر ويصل إلى نتائج على درجة عالية من الدقة فى الملاحظة والوصف لا تتوفر فى الأحكام الغامضة غير المثبتة.

ويمكن للباحث الإثنوجرافى دراسة الشعائر الدينية من ناحيتين مختلفتين ولكنهما متكاملتان فى الواقع :

- إذ يمكن من ناحية إعتبار الشعائر والطقوس مجرد أفعال رمزية تعبر عن الأفكار الدينية التى تجول فى ذهن الإنسان وتترجم فى شكل حركات وألفاظ .
- من الناحية الأخرى إعتبارها وسيلة للإتصال بالكائنات الروحية والتأثير فيها بشكل أو بآخر وتسخيرها لصالح الإنسان ذاته .

وقد درس تايلور خمس موضوعات فقط فى ميدان الشعائر العديدة وهى : الصلاة والأضحية والصيام وشعائر التطهير ووجهة الصلاة :

أولاً : الصلاة :

يعرفها تايلور بأنها الرغبة الصادقة للنفس التى قد يتفوه المرء بها أو يحسها

ويتجه الشخص بصلاته إلى إحدى الأرواح الكبرى أو أحد الكائنات الروحية الخالصة ٠

أى أنه إعتبر الصلاة عملاً متجهاً إلى الآلهة والأرواح أو تخاطباً بين النفس الإنسانية والكائنات الروحية طالبين منها العون أوالثروة والرزق والصحة والنجاح أو درء الخطر ٠ فالإنسان ما زال يستخدم فى صلاته صيغاً ويطلب مطالب أشبه بالصيغ والمطالب لدى الشعوب البدائية ويكمن فى أعماق الصلاة الدعاء بالمطالب ، فهى دعاء أو سؤال للإله٠

وقد تؤدى على مستوى جماعى أومستوى فردى ، والبعض يرتبط بالمناسبات الإجتماعية كالزواج والختان والصيد ٠

وفى العصور الحديثة أدخل بعض التعديلات على صياغة الصلوات تشمل العناصر الأخلاقية بالإضافة إلى المطالب مثل أن تغفر الأرواح أو الآلهة الذنوب التى ارتكبها الإنسان أو أن تلهمه الصلاح الخلقى ٠

ثانياً : الأضحيـــــة أو القربان :

القربان يعتبر بمثابة هدية تقدم للإله كما لو كان إنساناً من أجل الحصول على مقابل لها ٠ ثم تطور تقديم القربان حتى أصبح مجرد تعبير عن الولاء والخشوع والخضوع للإله ، ثم بعد ذلك دليلاً ورمزاً على إنكار الذات فى سبيل الآلهة ، حيث يقدم للآلهة ما يحبه هو، وينزل لهم عما قد يكون هو نفسه فى أشد الحاجة إليه ، أى تشمل فكرة التنازل عما يملكه الشخص للإله.

ثالثاً : الصيـــــام :

لم يهتم تايلور بالصيام من الناحية الإجتماعية البحتة أى باعتبارة نوعاً من

التابو على ألوان معينة من الطعام ٠

أو من ناحية العادات والطقوس والشعائر الأخرى أثناء الصيام مثل إعتزال الناس والإمتناع عن العلاقات الجنسية أثناء الصيام أو من ناحية الوظيفة التربوية التى يؤديها الصائم فى تعويد الفرد على تحمل المشاق والآلام ٠

إنما يهتم تايلور بدراسة التأثير النفسى الذى يحدثه الصيام الطويل والذى يؤدى إلى حالة من الإنهاك والذهول تشبه حالة الجذب الصوفى التى يسهل فيها على النفس الإنسانية أن تتصل بالأرواح الأخرى ٠

فالإتصال بين النفس والكائنات الروحية هو الهدف الأساسى من الدين وهذا الإتصال لا يتحقق بشكل قوى إلا فى حالات الإرهاق والضعف الجثمانى الشديد أو فى الحالات العصبية التى تنتاب الإنسان ٠

رابعاً : الطائفة الرابعة من الشعائر :

هى الوجهة أو الناحية التى يتجهون إليها لممارسة شعائرهم ٠

والبعض يتجه إلى الشرق من حيث تشرق الشمس وتبعث النور والدفء والحياة والسعادة ، بينما إرتبط الغرب بالظلام والبرودة والموت والدمار ٠

خامساً : شعائر التطهير :

تعتبر أكثر إنتشاراً فى المجتمعات المتأخرة والمتقدمة على السواء والإختلافات التى تظهر فى تفاصيل هذه الشعائر فى المجتمعات المختلفة تنشأ عن الإختلاف فى التعبير عن ظروف كل مجتمع ٠

وتمارس معظم الشعائر التطهيرية فى حالة الأزمات الإجتماعية الكبرى أو الإنتقال من مستوى إجتماعى معين إلى آخر ، مثل شعائر تطهير الطفل حديث الولادة عند تسميته لدى بعض الشعوب ، أو شعائر تطهير الأم بعد الوضع ، أو تجرى على القاتل بعد إرتكابه جريمة القتل ٠

كلها فى الأغلب تستخدم الماء وأحياناً النار ، كما أنها ترمى إلى نفس الهدف وهو تخليص الإنسان من الدناسة التى تعلق به ، وتحول التطهير من المفهوم المادى إلى الروحى أى التخلص من الشرور الروحية والخلقية (١٣).

المنهج التكاملى الوظيفى :

يقوم الإتجاه التكاملى المعاصر على محاولة فهم فاعلية النظم الدينية فى الحياة الإجتماعية والتحرر من الإتجاهات النشوئية التى سادت بين علماء القرن الماضى ، والتحرر من النتائج التى وصلت إليها المدرسة الإنتشارية التى لا تأخذ بالمنهج التاريخى التطورى وتنتهج المنهج التتبعى للظواهر الدينية المتماثلة فى المجتمعات المتباينة ٠

وترتكز المدرسة الإنتشارية على قاعدة عامة مؤداها أن الديانات والمعتقدات والطقوس نشأت فى مجتمع معين فى فترة من تاريخه ثم إنتقلت وإنتشرت بعد ذلك كلها أو بعض عناصرها من ذلك المجتمع إلى المجتمعات الأخرى ٠

وأن تشابه الطقوس لا يتضمن تشابه الظروف والإمكانيات الإجتماعية وترفض أن ظهورها يتم بصورة تلقائية وإنما نتيجة للإنتقال والإنتشار للظاهرة٠

أما المناهج العلمية الحديثة فهى تبغى الكشف عن الكيفية التى تؤثر بها النظم الدينية فى مظاهر الحياة الإجتماعية وفى العلاقات الإنسانية والأساليب التى تتكيف بها تلك النظم .

ومهمة المنهج التكاملى الوظيفى هى الكشف عن الدور الإجتماعى والوظيفة الإجتماعية التىتقوم بها أى ظاهرة دينية فى نطاق النسق الدينى والبناء الإجتماعى للجماعة وللبيئة المحلية Community أو فى الدراسة الميدانية Field Work .

ويرجع إتجاه التحليل الوظيفى للظواهر الدينية إلى العالم الإنجليزى هربرت سبنسر H. Spencer فقد نظر إلى المجتمع على أنه كائن حى يتكون من عوامل وعناصر مادية وغير مادية أى غير محسوسة وهى عوامل ما فوق العضوية وعلى رأسها العقائد والطقوس والعادات الدينية فضلاً عن العرف والتقاليد .

أى ينادى بالمماثلة البيولوجية الحيوية فى تشبيهه للمجتمع بالكائن العضوى الحى الذى يتكون من مجموعة من الأعضاء كل منها يقوم بوظيفة معينة ، بمعنى آخر أن البناء الإجتماعى للمجتمع يقوم على التساند الوظيفى والإعتماد المتبادل بين نظم المجتمع وأن هذا التساند والتكامل الوظيفى يهدف إلى إيجاد حالة من التوازن والإستقرار الإجتماعى .

وتعرض دوركايم عالم الإجتماع الفرنسى لهذه الفكرة فى تأكيده لقواعد المنهج بأن الظاهرة الدينية حقيقة إجتماعية قائمة بذاتها ولا يمكن فهمها إلا

فى ضوء علاقتها بالحقائق الإجتماعية الأخرى ، أى باعتبارها جزء من نسق إجتماعى وتؤدى وظيفة فى المحافظة على ذلك النسق •

أيضاً سلم العالم الفرنسى ليفى بريل Levy Bruhl بأن المعتقدات الدينية والأساطير المقدسة فى الجماعات البدائية والمتخلفة إنما تعكس البناء الإجتماعى لتلك الجماعات وأنها تؤلف فيما بينها نسقاً متماسكاً •

وقد إكتملت صورة المنهج التكاملى الوظيفى على أيدى علماء المدرسة الإنجليزية الأنثروبولوجية المعاصرة أمثال مالينوفسكى Malinowiski (١٨٨٤ - ١٩٤٢) •

ويرجع الفضل إلى راد كليف براون Radcliffe Brown فى وضع المنهج التكاملى الوظيفى على أسس علمية سليمة •

فقد أوضح أن وظيفة أى نظام هى الدور الذى يؤديه أى نشاط جزئى من النشاط الكلى الذى يكون هذا النظام جزءاً منه ووظيفة أى عادة إجتماعية جزئية هى الدور الذى تلعبه فى الحياة الإجتماعية • وأن لكل ظاهرة دينية وظيفة فى النسق الدينى من ناحية وفى النسق الإجتماعى العام من ناحية أخرى أو البناء الإجتماعى العام الذى يتألف من أفراد وجماعات يرتبطون بعضهم بالبعض الآخر • فالنسق الإجتماعى الدينى ليس مجرد تجمع أو حشد وإنما هو كائن عضوى متكامل •

ويتمثل البناء الإجتماعى الدينى فى المنظمات الدينية والفرق والأتباع والطوائف والملل والنحل ، ويشمل الروابط والعلاقات بين الأفراد

والجماعات الذين يشملهم هذا البناء ، وتتمثل تلك الروابط فى العناصر الروحية والمادية التى تعتبر مزيجاً من عقائد وطقوس وعادات ومراسم وصلوات وفروض وأضحية وقرابين ، والبحث عن الدور الذى تقوم به كل شعيرة أو جزئية من عناصر النسق الدينى فى تحقيق إستقرار وإستمرار هذا النسق ، كما تهتم الدراسة التكاملية الوظيفية بدراسة تلك الروابط داخل عناصر النسق الدينى وبين النسق الدينى والإنساق الأخرى للبناء الإجتماعى(١٤) ٠

المدخل الوظيفى : The Functional Approach

يفترض المدخل الوظيفى للدين نظرية كلية للمجتمع ، فهو يعتبر الدين أحد أجزاء الكل الإجتماعى الذى يتميز بالتفاعل المتبادل مع أجزائه ، فالدين بهذا المعنى هو مجموعة العقائد والممارسات التى من خلالها يتكيف الناس مع بيئتهم والنظرية الوظيفية هذه تهدف إلى تقديم الأساس المنطقى الذى يكشف عن وظائف الدين داخل المجتمع وهى أساس التحليل السوسيولوجى للأدوار التى تقوم بها النظم الإجتماعية ولا يوجد مدخل بديل يتساوى فى العمومية مع الأهمية الوظيفية ٠

ويحتوى أى دين على وظائف عامة مثل : تفسير الشر ، الموت ، الظلم ، المعاناة ، تدعيم المعايير الإجتماعية ، تقديم إجابات روحية لإهتمامات الإنسان ، أيضاً يساعده على التكيف فى حالة الفشل ، وقدرة الإنسان على توقع المستقبل ٠

المدخل السوسيولوجي لدراسة الدين :

الإفتراض الأساسي لدى عالم الإجتماع عند تحليله للدين مؤداه أنه لا يمكن فهم الدين بمعزل عن باقي أنظمة المجتمع ، فالدين جزء من نسق يتأثر ويؤثر في العمليات الإقتصادية والسياسية في المجتمع ، وفي أنماط الأسرة والتكنولوجيا وفي طبيعة المجتمعات المحلية ٠ فلو تغير أحد أجزاء النظام فإن كل الأجزاء الأخرى قد تتأثر بطريقة أو بأخرى ٠ فلو إنتقل الإنسان من القرية إلى المدينة فإن حياته الدينية سوف تتأثر بالتحضر ، ولو أن ديناً جديداً إنتشر في مجتمع ما بقوة فإن بناءه الإجتماعي سوف يشعر بوطأة هذا التغير ٠

وعالم الإجتماع يتبنى مفهوماً آخر يسمى الوظيفة Functionalism ويعنى هذا المفهوم أن الأجزاء الدينية للبناء الإجتماعي يمكن أن تفهم على أنها جهود للقيام بوظائف معينة حيوية بالنسبة لمجتمع ٠

حينما يطبق المفهوم الوظيفي على الدين يعني أن كل مجتمع له دين حتى ولو اعتبر مجتمع لا ديني Anti - Religion ٠ وبمعنى آخر أن كل مجتمع له نمط من الإعتقاد ونمط من الفعل الديني أو ممارسة شعائر وطقوس دينية والتي بواسطتها يستطيع المجتمع والفرد القيام بوظائف حيوية معينة ٠ وربما يكون الدين من وجهة نظر الباحث يخالف ما يؤمن به أو ما يعتقه ، فالدين يضم نسق تكاملي للقيم ويذهب وينجر Yinger إلى أن طبيعة المجتمع البشري تقتضي وجود مثل هذا النسق ٠

ودراسة برجر Berger ولكمان Luchman تعد من الدراسات التى ترتكز على دراسة الأفكار الدينية لقوى فعالة فى كل مجال من مجالات الحياة والتىتشكل تجربة وسلوك الناس ، ويعتقد هذان المؤلفان أن الدين ما زال مستمراً رغم تضاؤله فى بناء المجتمع الصناعى الحديث ٠ فالدين فى رأيهما له دور حاسم فى بناء المجتمع والحفاظ عليه وخاصة أوقات الأزمات ، وهذاالإتجاه يضع علم الإجتماع الدينى داخل مجال علم إجتماع المعرفة وكليهما يتناول أبنية أخلاقية وفكرية وشرعية للمجتمع فضلاً عن إشتمالهما علىالأبنية العلمية السيكولوجية والسياسية ٠

المدخل الفينومينولوجى : Phenomenology

أسس هذا المدخل ادموند هوسرل Edmund Husserl ليكون بديلاً للتفسيرات السيكولوجية الصرفة لتفسير العمليات العقلية وقام بتطبيقه على الظواهر القانونية والقيمية والدينية والفنية ٠

وتطور فينومينولوجيا الأديان Phenomenology of Religion يرجع إلى ماكس شيلر Max Scheler ورودلف اتو Rudolf Otto وجين هيرنج Jean Hering وتهدف فينومينولوجيا الأديان إلى التوصل لفهم القصد أو النية Intension فيما وراء الأفعال أو الأفكار أو النظم الدينية دون ردها للنظريات الفلسفية واللاهوتية أو الميتافيزيقية أو السيكولوجية ٠

ولهذا يعتبر مدخل فينومينولوجيا الأديان البديل للمداخل التاريخية السيكولوجية والسوسيولوجية ٠ وعن طريق هذا المدخل يمكن التوصل إلى

جوهر الديـن • فهـذا المدخـل " فينومينولوجيـا الأديـان " يضـم كـلاً مـن المدخلين الوصفى والمعيارى •

ويصنف محمد احمد بيومى المداخل الخاصة بدراسة الدين إلى مدخلين أساسيين هما :

المدخـل الأول : المدخـل المعيـارى :

ويتمثل فى دراسـة العقيـدة أو الدين ، والهدف الأساسى للتفسير فى هـذا المدخل يتمثل فى إضفاء أو تبرير قيم على الظواهر محـل الدراسـة • ويعتبر اللاهوت وفلسفـة الأديان والدراسات التاريخية من أهم فروع هذا المدخل.

المدخل الثانى : هو المدخل الوصفى :

وفيـه يهتم البـاحث بوصف وتفسير الظاهـرة الدينية كمـا هى دون أى تدخـل فيهـا ودون أن يكـون هنـاك أى هـدف إلا الغـرض العلمـى مـن الدراسات المقارنـة وتعتبـر دراسـات علم النفس الدينـى والأنثروبولوجيـا وتـاريخ الأديـان ومقارنـة الأديـان وعلـم الإجتمـاع الدينـى ممثلـة لهـذا المدخل (١٥) •

مراجـع

الفصل الرابع

١ - احمد الخشاب : علم الإجتماع الدينى ، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية ، دار الإتحاد العربى للطباعة ١٩٧٠ ص ٥٠ ٠

٢ - محمد احمد بيومى : علم الإجتماع الدينى ، مرجع سابق ، ص ٣٧ ٠

٣ - مرجع سابق ، ص ٢٤٧ ٠

٤ - احمد الخشاب : الإجتماع الدينى ، مرجع سابق ، ص ٥٠ - ٥١ ٠

٥ - محمد احمد بيومى : مرجع سابق ، ص ٣٦ ٠

٦ - المرجع السابق ، ص ٢٢٨ ٠

٧ - احمد الخشاب : الإجتماع الدينى ، مرجع سابق ص ٥٥ - ٥٧ ٠

٨ - محمد احمد بيومى : مرجع سابق ، ص ٣٧ ٠

٩ - حسن شحاتة سعفان : الدين والمجتمع ، دراسات فى علم الإجتماع الدينى، مرجع سابق ص ٨ - ٩ ٠

١٠ - احمد الخشاب : الإجتماع الدينى ، مرجع سابق ص ٥٤ ٠

١١ - حسن شحاتة سعفان : الدين والمجتمع ، دراسات فى علم الإجتماع الدينى ، دار التأليف بالقاهرة ١٩٥٧ ، من ص ٧ - ١٢ ٠

١٢ - محمد احمد بيومى : مرجع سابق ، ص ٢٢٨ -٢٢٩ ٠

١٣ - احمد ابوزيد : تايلور من نوابغ الفكر الغربى ، دار المعارف بمصر ، طبعة أولى ١٩٥٧ ، ص ١٦٩ - ١٨٢ ٠

١٤ - احمد الخشاب : الإجتماع الدينى ، ص ٦٠ - ٦٦

١٥ - محمد احمد بيومى : مرجع سابق ، ص ٣٦ - ٤١ ٠

الفصل الخامس

سوسيولوجية الظاهرة الدينيــة

الفصل الخامس

سوسيولوجية الظاهرة الدينية

ينظر البعض إلى الدين على أنه السياق الذى يتحد فيه الإنسان مع ما هو فوق إنساني ، والبعض يرى أنه مظهر من مظاهر رد الفعل الغريزى للقوى الكونية وما زال فريق ثالث يرى الدين على أنه مجموعة من الرسائل الظاهرة من الإله .

وتتجاهل وجهات النظر هذه الجوانب السوسيولوجية للدين فالدين كظاهرة إجتماعية ينظر إليه فى تفاعله مع النظم والقوى الإجتماعية فى المجتمع .

والدين كظاهرة إجتماعية يتضمن العديد من الإعتبارات :

١ - أن الدراسة السوسيولوجية للدين تبتعد عن الأحكام المعيارية بمعنى أن الباحث لا يتناول الدين من حيث الصدق أو الكذب أو من حيث منفعته أو ضرره فهذه المقولات المعيارية ليست من إختصاص عالم الإجتماع الدينى فإختصاصه هو دراسة الحقيقة . سواء كانت دينية أو غير دينية والإلتزام بالحيادية والموضوعية .

٢ - أن علم الإجتماع الدينى علم أمبيريقى بمعنى أنه يتوصل إلى نتائجه من الظواهر التى يلاحظها ويدرسها . ولإثبات أو رفض أى نظرية يجب أن يختبر تلك النظرية من خلال الملاحظات الواقعية الأمبيريقية . وهنا يخرج من نطاق البحث السوسيولوجى الجوانب الروحية التى لاتخضع للملاحظة أو القياس أو الوصف .

٣ - تحتم الوضعية والأمبيريقية إستخدام المنهج العلمي في دراسة الدين . وهذا يتطلب البحث عن المتغيرات الدينية التي لا يمكن التوصل إليها عن طريق الوصف أو الملاحظة .

ولذا ظهرت إتجاهات جديدة في علم الإجتماع الديني تتبنى الإتجاه الداخلي والخارجي لدراسة الظاهرة الدينية (١) .

يرى دور كايم أن العاطفة الدينية هى عاطفة إجتماعية ، ولكن روجيه باستيد(٢) يقول " أن الدين ليس ظاهرة إجتماعية في جوهره ، وإنما هو عاطفة فطرية في كل إنسان ، وهو عاطفة فردية أولاً ، ثم دخلت عليها عوامل إجتماعية فجعلتها ظاهرة إجتماعية٠ وهى تفقد كثيراً مما يلحقها من تشويه إجتماعي ٠ فالدين عاطفة إنسانية قبل أن يصير عاطفة إجتماعية ٠ ولذا يرى أن التوحيد هو دين الفطرة، وأن فكرة الإنسان عن الله كانت خالصة من الشوائب، ثم تطرقت إليها الأوهام والخرافات الإجتماعية التى نجمت عن الإنفعالات الجامحة التى تحدث عنها دوركايم٠

والبعض يرى أن الدين فطرى ويمتزج بعناصر إجتماعية ، والبعض الآخر يرى أن الدين وليد المجتمع فدور كايم يرى أن كل ظاهرة إجتماعية هى ظاهرة دينية ، ثم إنفصلت الوظائف الإقتصادية والسياسية والعلمية من الوظيفة الدينية ٠

أسباب جعل الدين ظاهرة إجتماعية عند دور كايم :

١ - بسبب وجوده على نمط واحد لدى جميع أفراد المجتمع ٠

٢ - أنه ظاهرة إجتماعية لأن الظواهر الدينية سواء كانت أساطير أم طقوس تقوم بذاتها ، بصرف النظر عن الأفراد الذين يعتنقونها مثال ظاهرة القربان فالخطوط الرئيسية لهذا الطقس الدينى ثابتة فى جميع

الأجيال يتتابع القيام بها ، على الرغم من أن أسباب تبريرها تختلف باختلاف العصور.

٣- هو ظاهرة إجتماعية لما يتصف به من قوة القهر ، فالمعتقدات الدينية تفرض نفسها على المؤمن الذى يخضع لها ويطيعها وهناك عقوبات مقررة لمن يتمرد عليها ، وفى الغالب هى عقوبات خلقية دائماً.

ويخلط دوركايم بين الظاهرة الدينية والظاهرة الإجتماعية ويرى أن الظاهرة الدينية ليست ظاهرة فردية فحسب بل يرى العنصر الإجتماعى يمتزج إمتزاجاً شديداً بالظاهرة الدينية .

هذا من وجهة نظر دوركايم ، أما روجية باستيد إعترض عليه لأنه يجب الإهتمام بالعوامل الفردية .

ويتفق معه جينبير فى (٣) أن الدين ظاهرة إجتماعية لأنه تعبير عن الإيمان فى بيئة معينة وأنه ينشأ بسبب مساهمة مجهولة فهو :

أولا : ظاهرة إجتماعية بحسب تعريفه بإعتباره أحد قواعد الإيمان ، ولأنه يتطلب من المؤمن الخضوع والبقاء على العهد. وبالتالى يتم الوفاق بين المجتمع والدين بالقدر الذى يتميز فيه المجتمع بالقهر .

ثانيا : الدين ظاهرة إجتماعية أيضاً لأنه يقرر إشتراكاً بين معتنقيه فالدين رابطة ومحور للإئتلاف وهو يهدف إلى توحيد إيمان جميع أتباعه.

ثالثا : الدين ظاهرة إجتماعية بمعنى أنه يتحقق داخل جماعة ما ، أو

ثقافة ما ، وأنه يعد جواباً عن مشاكل تعترض تلك الجماعة بسبب هذه الثقافة ٠

رابعا : ظاهرة إجتماعية بالنظر إلى أصوله٠ ويجب أن نفرق بين الصورة والمادة٠ فالصورة من إختراع رجل الدين المكلف بالتعبير عن عواطف الجمهور٠

وهذا يوضح كيف إستطاعت أن تفرض نفسها بهذه السهولة فهي تعبر عن آمال جماعة من المؤمنين بها ٠

ولكنه يعود فيقول أن الإيمان مهما كان مشتركاً بين أعضاء الجماعة ليس مجرد ظاهرة إجتماعية ، أو مجرد صدى لتركيب المدن ، فالإيمان وجود خاص ، وتطوره نتيجة للتعمق في الحياة الروحية والتأمل الباطني أي أنه يتطور تبعاً لقوانين الحياة الصوفية والقوانين الإجتماعية ٠

وهذا ينطبق على ظاهرة النسك فهي توضح رحلة الشخص الذي يذهب إلى مكان بعيد ، وهي إن كانت حالات فردية نشأت من عاطفة فردية كما يقول روجيه باستيد إلا أنه ينضم إلى جماعة ، وقد تكون غريبة عنه إلا أنه يرتضي الإنتماء إليها، ولذا فهو ظاهرة إجتماعية لأنه يتحقق داخل جماعة ما ، أو ثقافة ما كما يقول جينيبر، كما أن النسك ظاهرة إجتماعية بالنظر إلى أصوله وهي وإن كانت من إختراع رجل واحد ، إلا أنه يعبر عن عواطف مجموعة سلكت نفس الطريق٠ وهذا يوضح أيضاً كيف أن النسك إستطاع أن يفرض نفسه ٠

فعلى الرغم من أن الشخص يستطيع أن يتحكم في مصيره ، ولا يخضع خضوعاً أعمى لأية جماعة بل يستطيع إختيار حياته إختياراً حراً ، إلا أنه بإنضمامه إلى الجماعة النسكية يلتزم بالقوانين التي تفرضها تلك الجماعة وبالتالي تصبح لها قوة القهر والقسر .

كما أنه ظاهرة إجتماعية لأنه يقرر إشتراكاً في الهدف بين أفراد الجماعة النسكية ، فالنسك رابطة ومحور للإئتلاف وتوحيد الجماعة . ومن أجل ذلك يستبدل الناسك بعائلته القرابية أسرته النسكية التي ينتسب إليها كما في الرهبنة أو الصوفية أو أي جماعة نسكية .

والنسك لا يرتبط بفترة زمنية محددة ، كما أنه ليس قاصراً على مكان معين بالذات ، وإن كانت له صفات خارجية ، إلا أنه يمكن القول أنه ظاهرة دينية لأنه موضع عقيدة وإيمان به عقلاً وعاطفة ، ولذا لا يمكن إنكار طابعه الديني .

فهو موضع إعتقاد لأن جماعة صغيرة أو كبيرة من الناس إرتضت مجموعة كاملة من التصورات الخاصة بالآلهة والعالم ، والعلاقات بين الإنسانية وبين الأمور الخارقة للطبيعة . وتعد هذه التصورات في نظر تلك الجماعة عقيدة أولى . وبما أنها مشتركة بين أعضاء جماعة ما لذا فهي تصورات إجتماعية .

والنسك ظاهرة إجتماعية بسبب عموميته (٤) ، وإن كان هناك فروق جزئية فيه ولكنه موضع إعتقاد لدى جماعات متعددة ، قد تختلف تلك التصورات

من جهة التفاصيل من جماعة نسكية إلى أخرى ولكنها ثابتة إلى حد ما من جهة الأفكار العامة الرئيسية ٠

والنسك ظاهرة دينية لأنه يتصل بطقوس محددة ، وهذه الطقوس ليست إلا معانى وصوراً تعبر عنها٠

ويمكن تفسير النسك فى الديانات المختلفة بإحدى الطرق الثلاث الآتية :

١ - إما بإرجاعها إلى تأثير البيئات الخارجية المتشابهة ، وهذا الرأى تميل إليه المدرستان الإجتماعيتان الفرنسية والأمريكية ، اللتان تريان أن التشابه المذهبى (العقائد - أساطير ٠٠٠٠إلخ) ترجع إلى تشابه التركيب الإجتماعى للشعوب ، أو إلى تشابه النظم المادية ٠

٢ - أما أعضاء مدرسة الأنثروبولوجيا البريطانية فيميلون إلى تفسير التشابه المذهبى إلى أنه ناتج عن إتحاد طبيعة العقل الإنسانى الذى يقوم برد فعل مماثل تجاه نفس الظروف٠

٣ - ترى مدرسة التاريخ الثقافى أن أوجه التشابه ترجع إلى إنتقال إحدى الظواهر من شعب إلى آخر بطريق مباشر أوغير مباشر ٠

ولكننا فى هذه الدراسة نميل إلى تفسير ظاهرة النسك فى مختلف الديانات بالإتفاق مع المدرسة البريطانية فى أنها تظهر نتيجة لإتحاد طبيعة العقل الإنسانى الذى يقوم برد فعل مماثل تجاه نفس الظروف ، وأنها نتيجة لتأثير البيئات الخارجية المتشابهة٠ أى بالرجوع إلى العاملين معاً ، وليس نتيجة إنتقال إحدى الظواهر لأن كل منهم ظهرت فى بيئة

مختلفة عن الأخرى تماماً ، وفي عصور مختلفة ، وعلى أوقات متباعدة ، إذن يرجع النسك إلى وجود عوامل خارجية متشابه، وإلى إتحاد طبيعة العقل البشرى فى مواجهتها ٠

وسنعرض لصور مختلفة للنسك في بعض الديانات المختلفة والعصور المختلفة فيما يلي :

أولا : النسك عند الهنود (٥) :

كان متنسكو الهنود يميلون إلى تقديس العزلة سواء منهم البراهمة أو البوذيون ، وكان من فلسفة أحد البوذيين " جواتما بوذا " أن الحياة ملأى بالمتاعب التى تسببها الرغبة خصوصاً فيما يتعلق بطول البقاء ، وأنه ليس ثمة خلاص من متاعب الحياة إلا بواسطة قتل الرغبة في النفس٠ ولذا ترك أهله وعشيرته وذهب إلى البرارى والقفار متقشفاً ، حتى إصطبغ جسمه بلون أسود ، ثم ترك البراري بعد ذلك ليعيش على الصدقات ٠

ومن البوذيين أيضاً من إتبع نظام الشركة إذ يقال أن مدينة لاسا جمعت في وقت واحد مائة ألف ناسك يقضون معظم أوقاتهم في تلاوة الصلوات أمام تمثال بوذا مستلقين على فراش من المسامير ، ورافعون أذرعتهم إلى أعلى طول الحياة ، أو قاطعين عهداً على أنفسهم بالسكون المطلق٠ فيمتنعون عن الكلام أياماً طويلة٠

ولما رأى أحد الأساتذة الألمان ويدعى (هلجنفيلد) أن فريقاً من الرهبان المسيحيين إتبعوا شيئاً من هذا النظام ، إدعى أن الرهبنة

المسيحية مشتقة أصلاً من نظم البوذيين ولكن الحقيقة أن البوذيين المتنسكين يعتمدون على الصدقة ، ويحرمون العمل للحصول على القوت ، أما المسيحيون فيعتمدون على العمل للحسصول على ما يكفي للقوت ولمساعدة المحتاجين • وأولئك يحرمون تناول اللحوم وهؤلاء يبيحون ذلك ، كما ركز البوذيون على تعذيب الجسد بالكي والمناخس الحديدية ، لأنهم نظروا إلى الجسد كعدو وأحاطوه بسياج من الشرائع القاسية ، أما النساك المسيحيون بوجه عام فيهتمون بالأكثر بالعبادة ، ويرون إخضاع رغبات الجسد لتسمو الروح ، ولكنهم لا يوافقون على تعذيب الجسد لأنه ليس فضيلة في ذاته•

ثانيا : النسك عند اليونان :

بدأه بلوتنيس مبتدع الفسلفة الأفلاطونية الحديثة ، وتتلخص فلسفته في " أن المادة أصل لكل شر ، وفي وجوب تطهير الحواس من الدنس وإعتزال العالم وخلاص الروح من عبودية الجسد• ولذا كان يعيش عيشة منفردة ، لا يأكل اللحم بتاتاً ، ولا ينام إلا نادراً ، يقضي الليالي الطوال في تلاوة الصلوات•

وقد ظن البعض أيضاً أن الرهبنة المسيحية إقتبست نظامها منه ، ومن أستاذه أمونيوس السقاس الإغريقي الأصل المسيحي الوالدين ، ولكن فلسفتهما إتبعها أفراد قليلون (٦) من اليونان فقط لا يجمعهم نظام ثابت ، ولم يتعد تأثيرها الطبقات الراقية من المصريين الذين درسوا الآداب

اليونانية ، ولم تؤثر بأى حال على الطبقة المتوسطة التى ظهر منها مؤسسو الرهبنة المسيحية ، فهم من طبقة الفلاحين الذين جهلوا اللغة اليونانية .

فقد كان أول راهب فى المسيحية أنبا (أنطونيوس) شاباً أمياً وأقل ما يفهم من هذه العبارة أنه ليس على دراية باللغة اليونانية وآدابها ولا باللغة اللاتينية وآدابها ، هاتين اللغتين كانت تتركز فيهما الثقافة القديمة. ومن غيرالمعقول أن يكون قد أخذ عن آداب اليونان ونسكياتهم ولا عن آداب الهنود ونسكياتهم .

كما أنه كان يعيش فى الصعيد بعيداً عن التأثيرات اليونانية التى تركزت فى الاسكندرية وبعض بلاد الدلتا.

أيضا القديس مقاريوس الذى أسس الرهبنة فى أديرة وادى النطرون ، وكان جمالاً يجمع النطرون من الوادى ويبيعه ، لم يكن على حظ من الثقافة اليونانية أو غيرها .

كما أن القديس باخوميوس الذى أسس الحياة الديرية فى الصعيد ، وكان جنديا وبعيداً بعداً كاملاً عن الإيمان وعن النسك ، وقد تأثر بالنساك الأقباط فدخل الإيمان والنسك كليهما معاً. ومن غير المعقول أن يكون قد أخذ عن اليونان أو اليهود أو عن نسكيات ما قبل الميلاد بقرون ، كذلك كان من أهل الصعيد الأقصى (من نواحى إسنا) بعيداً عن التيارات الفكرية التى تأتى من الخارج.

وقصة رهبنة كل من هؤلاء تميزت بتأثيرات معينة فى حياته الخاصة ، ونبعت من قلبه لا من دراساته.

ومن الملاحظ أن الغرب والشرق كليهما قد أخذوا عن الرهبنة القبطية ولم يعطياها وكان السياح يأتون من أقاصي البلاد ليتعلموا النسك من رهبان مصر .

ثالثا : النسك عند اليهود :

نجد كثيرون تعمقوا في العبادة الروحية وحاولوا الوصول إلى الحياة الأبدية مما ترتب عليه قيام طوائف دينية ، ومن متنسكي اليهود ايليا النبي (٧) ، الذي عاش متعبداً في البرية ، وناسكاً في مأكله وملبسه ؛ ومنهم أيضاً يوحنا المعمدان الذي عاش في البرية وكان يلبس لباساً من وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه ويأكل عسلاً برياً (٨) . والعلامة يوحنا موسهيم (٩) يذكر في كتابه (تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة) أن علماء اليهود إنقسموا إلى شيع وأحزاب وطوائف متعددة ، ولكن الذي يهمنا أنه قد إشتهر بالنسك منهم طائفتان إحداهما عاشت في فلسطين والأخرى في مصر وهما :

الطائفة الأولى : الأسينين أو الجوهريين :

كانوا يسكنون شواطىء البحر الميت ويعيشون عيشة خشنة تشبه ما يعمله الرهبان المسيحيون ، ولكنهم كانوا يختلفون عنهم في إباحة الزواج لأتباعهم لحفظ الجنس البشري ، وهذا بخلاف الرهبنة المسيحية . ويقال أنه إنتهى أمر هذه الطائفة (١٠) عند خراب أورشليم في الجيل الأول بعد سقوطها سنة ٧٠ م ، ولم تظهر الرهبنة المسيحية إلا في الجيل الرابع .

وحكيم أمين (١١) يقول عن هذه الطائفة " من الصعب القول بأنها جماعة نسكية خالصة لإنشغال بعض أفرادها بالسحر ، ولأنها ضمت بعض المتزوجين ·

أما يوحنا موسهيم فيذكر أنهم صرفوا حياتهم متوحدين بدون تداخل مع البشر وكانوا فى سوريا ومصر والبلدان المجاورة· يعتقدون بأن الديانة تقوم بالصمت والتأملات ، وإجتهدوا بأن ينهضوا إلى درجات عليا من الفضائل بالتقشف وتحريمات متنوعة ربما إستعاروها من المصريين ، على أنهم لم يكونوا برأى واحد فمنهم من عاش بتولاً وإجتهد فى تعليم وتهذيب أولاد الغير · ومنهم من تزوج، ومن كان منهم يعيش فى سورية إعتقد أنه يرضى الله بتقديم الذبائح بطريقة معينة تختلف عن اليهودية·

الطائفة الثانية : المعالجون :

وهى التى عاشت فى مناطق متفرقة فى مصر وهى " الترابيوتية " (المعالجون) وقد تأثرت هذه الطائفة بفلسفة اليونان وكان من أتباعها فيلو وغيره · إنتشروا بجوار بحيرة مريوط ، وكان نظامهم يقضى بإنعزال الناسك فى الجبال والصحارى للتفرغ لدراسة التوراة ، تاركاً الأهل والمال ، قاطعاً على نفسه عهداً بالصمت طوال الأسبوع· ثم يجتمع النساك معاً رجالاً ونساء فى يوم السبت فى مكان واحد يستمعون إلى نصائح رئيسهم·

ويذكر حكيم امين أن فيلو اليهودي ذكر أن أن تلك الحركة قامت على

أساس تنقية الروح من شوائبها ، بالعيش خارج المدن فى منازل منعزلة مجردة من الكماليات ، حيث يبدأ أفرادها بالصلاة منذ الفجر ثم يختتمون يومهم بصلاة المساء الختامية ·

وعلى الرغم من وجود بعض التشابه بين الترابيوتية والرهبنة المسيحية، إلا أن الفروق الكثيرة بينهما تؤكد أن النظامين مختلفان ، إذ أن الترابيوتية أو المعالجون تحرم العمل اليدوى ، وتجيز وجود الرجال والنساء فى صعيد واحد ، والرهبنة المسيحية تخالفها فى هذا (١٢) ، كما أن الرهبنة الديرية ظهرت فى مصر فى الوجه القبلى أولاً، كذلك لم يكن فى مصر إلا قلة من اليهود وقت ظهور الرهبنة ·

وهذا ما يؤكده ميناردوس (١٣) فى قوله أن الترابيوتية التى ظهرت فى القرن الأول الميلادى ، لم يكن لها تدخل بأى شكل مباشر أو غير مباشر على حياة النساك المصريين المسيحيين ، التى ظهرت فى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع ·

غير أنه يتفق مع الكتابات السابقة فى أن هؤلاء الناس كانوا يمارسون نوعاً من الفن الطبى بجدارة أكثر من الأطباء المتخصصين فى ممارسة الطب بالمدينة ، وقد عاشوا فى مجموعات كبيرة فى عدة أماكن فى مصر خاصة حول الاسكندرية ، حيث كان التجاور شىء غير مستحب لديهم ، حيث يعتقدون فى فكرة التوحد الكامل وحيث يقومون بالصلاة مرتين فى اليوم ، صباحاً ومساءً ، وفيما بينهما كانت مخصصة لحياة التأمل

وإكتساب الفضائل ، ولا يتنالون الطعام قبل غروب الشمس حيث يختفي النور ، فهم يرون أن حياة النور يجب أن تستغل في التأمل والفلسفة ، أما الإعتناء بالجسد وتناول الطعام فيليق به الظلام ٠ وهذه الحياة وإن كانت تشبه إلى حد كبير حياة آباء البرية الأوائل إلا أنها ليس لها دخل في ذلك ٠

وهذا يتفق مع قول افلين هوايت (١٤) عن هذه الجماعة التى عرفت ب" الأطباء" وأضاف بأنه لا ينضم إليهم عضو إلا إذا كانت لديه الرغبة السامية في ترك العالم والممتلكات والعلاقات البشرية والإنعزال في أماكن خارج المدن والقرى ، حيث كانوا يتبعون نفس نظام المعبد اليهودى في أورشليم في صلواتهم وقراءاتهم وعظاتهم وحياتهم ٠

وإن كان افلين هوايت يذكر بعد ذلك أن بعض الكتاب المحدثين يرون أن الوصف الذى وضعه فيلو عن تلك الطائفة ، هو تصور خيالى فقط ، وأن تلك المجموعة ليس لها وجود حقيقى ، فأى شخص يستطيع أن يلاحظ أنها عبارة عن مجرد حى يهودى ولا يوجد أى سمة تميزها ٠

يتضح من هذا أنهم يتحدثون عن تلك الطائفة كطائفة يهودية تتبع النسك اليهودى ، ولكننا نجد بعض المؤرخين تذكر هذه الطائفة عند حديثها عن النسك عند المصريين القدماء ، على إعتبار أنهم كانوا يعيشون في مصر وليس في اليهودية ومنهم يوسابيوس القيصرى ٠

رابعاً : النسك عند المصريين القدماء :

عرفت مصر الله فعبدته (١٥) من قبل المسيح بستة آلاف سنة ، وقال

هيرودوت" أن أهل طيبة كانوا يعبدون الله وحده ، ويقولون أنه هو الأول والآخر " ، وقال المؤرخ شمبليون فيجاك " من دراسة الآثار عرفنا أن مصر تعبد الله " ، غير أنهم أظهروا صفاته العليا إلى العيان مشخصة فى بعض المحسوسات كالتماثيل وغيرها ، وعددوا صفاته العليا وميزوها بالأسماء ، وجعلوا لكل إسم منها تمثالاً ، ولكل مدينة معبوداً ، فنشأ عن ذلك إنتشار معبودات متباينة فى الشكل والهيئة ، وكلها ترجع إلى صفاته العليا ، وظهر كثير من جماعات النساك منهم تلك الجماعة التى عاشت على بحيرة مريوط٠

ويذكر يوسابيوس القيصرى(١٦) أن هؤلاء الرجال النساك كانوا يدعون أطباء – ويحمل الأصل اليونانى لكلمتى " أطباء وطبيبات معنى العبادة والطب – والنساء المرافقات لهن تدعون طبيبات ، وذكر أنه أطلق عليهم أطباء لأنهم كانوا يعالجون ويشفون نفوس من كانوا يأتون إليهم بإسعافهم وإنقاذهم من الشهوات الفاسدة ٠ وأصبح أفاضل الناس من كل ناحية يأتون أو يهاجرون إلى " مستعمرة الأطباء " كما أطلق عليهم ٠

ثم يضيف الوصف التالى " فى كل مكان يوجد هذا الجنس (أى الأطباء) لأنه كان لائقاً أن يشترك اليونانيون والبرابرة فيما هو خير محض على أن هذا الجنس يكثر فى مصر بنوع أخص ، ولا سيما نواحى الاسكندرية ٠

كانت هناك جماعات أخرى نسكية ومنها جماعات سيرابيون التى

وجدت فى ممفيس فى عهد البطالمة ، ويذكر افلين هوايت (١٧) أنهم طائفة من النساك تركوا ممتلكاتهم ، وعاشوا على الخبز فقط الذى يأخذونه من أقاربهم ، وأغلقوا على أنفسهم فى صوامع منفردة ، فلا يمكن التحدث إليهم ، إلا من خلال طائفة صغيرة. ولكنهم لم ينقطعوا كلية عن العالم ، إذ أنهم كانوا يعودون بعد فترة محدودة إلى العالم لأنهم لم يرتبطوا بفكرة النذر الدائم لمدى الحياة بترك العالم نهائياً ، ولا هم رفضوا نهائياً كل ممتلكاتهم بل كانوا يعودون مرة أخرى لحياتهم الأصلية يشترون الأملاك ، وكانت علاقاتهم بمعبد سيرابيون علاقة تعبد فى المعبد فقط ، كما كانوا يعملون كوسطاء بتنبؤاتهم عن طريق الأحلام.

كذلك عملوا كأطباء ، وكانوا يتجمعون فى المعبد فى مناسبات معينة للقيام بالشعائر من أجل الأفراد ، أى أن دورهم هو الوساطة بين الآلهة والناس ولكنهم لم ينقطعوا كلية عن العالم .

ويتفق فى ذلك ميناردوس. كما يذكر حكيم أمين فى كتابه السابق الإشارة إليه ، أن حياة هؤلاء المتصوفين هى تكريس لخدمة سيرابيون فعاشوا داخل المعابد حيث قاموا بدور الوسيط بين الإله سيرابيس وبين الناس الذين جاءوا إليه لتفسير الأحلام وطلب الشفاء .

مجموعة كهنة هليوبوليس :

يذكر ميناردوس (١٨) أنها نوع آخر من الحياة النسكية ، معاصر لجماعة سيرابيون، وقد ظهرت فى القرن الأول قبل المسيحية ، ولها نفس

الإتجاهات الدينية ، إذا أنهم جماعة منعزلة ، يرفضون الحصول على أية مكانة أو مركز ، وقد نذروا أنفسهم لحياة التأمل الكامل والصلاة ، وعاشوا فى حياة تشبه تماماً حياة النساك المسيحيين الأوائل. ولكنه يذكر أنه قد إنتهت حياة هؤلاء الكهنة تماماً قبل بداية حياة الأنبا أنطونيوس مؤسس الرهبنة بثلاثة قرون .

أما افلين هوايت فإتفق معه فى أن هدف هؤلاء كان أن يحققوا العفة والإحتمال ، ولذا رفضوا أى وظيفة عالمية ، وكانوا يهربون من عامة الناس فى مناسبات معينة ، ويهربون من تابعيهم فى فترات أخرى من أجل التطهير ، ويعيشون حياة بسيطة على الخبز والماء ، وكثير منهم لا يأكل الزيت. وهذا ما جعل البعض يقول أن هذه المجتمعات تشبه إلى حد كبير طبيعة الحياة التى ظهرت فى المجتمعات الرهبانية المسيحية الأولى. وأن أنطونيوس وتابعيه إقتدوا بتلك المجتمعات التى تحاول أن تحيا حياة الكمال .

ولكن افلين هوايت يستطرد فى قوله بأنه عندما زار استرابو هليوبوليس فى القرن الأول الميلادى وجد أن هؤلاء قد إنتهوا تماماً وأصبحت نسكياتهم شيء عتيق . أى أنها إنتهت قبل ظهور أنطونيوس بثلاثة قرون ، وهذا ما سبق أن ذكره ميناردوس.

نستخلص من تلك الدراسات أن هناك إستعدادات سيكولوجية لدى المصريين تتغلل فى نفوسهم نحو الحياة النسكية ، ساعدت على قيام

الرهبنة باعتبارها أحد المظاهر النسكية للديانة المسيحية. وليس معنى ذلك أن الرهبنة القبطية تأثرت بهذه الإتجاهات والميول النسكية القديمة لدى قدماء المصريين. فقد أكد الفين هوايت وجهة النظر التقليدية التي ظهرت قبل القرن التاسع عشر والتي ترى أن الرهبنة القبطية أصلية وليست مقتبسة ، واتفق معه في ذلك ميناردوس ، وإن إعترض البعض على تلك النظرة ومنهم "وينج آرتين Weing Arten " الذى إدعى أن الرهبنة جزء من النسكيات السابقة كنسكيات سيرابيون أو هليوبوليس.

ولكن من عرض الآراء السابقة إتضح أن هناك إختلافات كبيرة بين الحياة النسكسة القديمة وبين الرهبنة المصرية تتضح في عدة نواحي منها : أن النساك القدماء لم يفضلوا حياة البتولية إذ كان لهم أن يتزوجوا، كما أن المنعزلين في معبد سيرابيس لم يعتزلوا الحياة المدنية تماماً ، بل كانوا يتصلون بالناس ويعودون بعد الوحدة إلى حياة العالم ، كما أنهم لم يضحوا بممتلكاتهم كما فعل الرهبان المسيحيون بل على العكس طالبوا بأن تكون ممتلكاتهم حقاً طبيعياً لهم ، إذ يذكر سيرج سونيرون في كتابه " كهان مصر القديمة " (١٩) أن الكهنة في مصر القديمة لم تكن طائفة منعزلة تعيش على هامش المجتمع إنما كانت تقوم بدور دقيق جداً فهم نواب الملك ، وعليهم المشاركة في البناء الديني لملك فرعون بممارسة الطقوس الدينية .

وفي ذلك يذكر أدولف ارمان في كتابه " ديانة مصر القديمة " (٢٠) أن الشخص الذى كان يجب أن يقوم بجميع مراسم العبادة الدينية من

طقوس وإحتفالات هو الملك ، إلا أن المشاركة الحقيقية فى مصر كان يقوم بها رجال الكهنوت. وفى هذا أيضاً فرق كبير بين الرهبنة التى لا تحتل أى مركز أو وظيفة ولا تمثل أحد الملوك كما كان الكهنة المصريون ، فى إقامة الشعائر والطقوس الدينية ، أيضاً الوصول إلى درجة الكهنوت فى الديانة المصرية القديمة قد يكون عن طريق الوراثة فيقول هيرودوت "أنه عند موت أحد الكهنة كان يخلفه إبنه فى مكانه " وقد يكون عن طريق الترشيح أو شراء الوظائف ، هذا إذا لم تستطع حقوق الوراثة الوفاء بحاجة العبادة من الكهنة .

وهذا أيضاً يختلف عن الرهبنة القبطية ، إذ أن الرهبنة ليست بالوراثة كما أنها ليست بالترشيح ، ولا تشترى بالمال ، إنما ينذر الشخص نفسه للرهبنة بدون وراثة أو شراء وبدون وساطات.

وكما ظهرت جماعات نسكية وأشكال مختلفة من النسك قبل ظهور المسيحية، كذلك نجد أنه حتى بعد ظهور المسيحية وجدت صور مختلفة من النسك ، وافضل مثل لذلك التصوف فى الإسلام. وهذا يوضح أن النسك ظاهرة دينية إجتماعية ظهرت فى كثير من المجتمعات وفى مختلف العصور وفى أماكن مختلفة ومتباينة .

مراجع

الفصل الخامس

١ – محمد احمد بيومي : مرجع سابق ، ص ٤٢ – ٤٤ ·

٢ – روجيه باستيد : مبادىء علم الإجتماع الديني ، ترجمة محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥١ ص ١٤ ·

٣ – المرجع السابق ص ٩١ – ٩٣ ·

٤ – المرجع السابق ص ٧٤ – ٨٧ ·

٥ – يسطس الدويري " القمص" : موجز تاريخ المسيحية ، الباب الثاني " الرهبنة " مطبعة ملجأ الأيتام الخيري بمصر ، ١٩٤٩ الفصل الأول ص ١٩٨ ·

٦ – يعقوب بطرس " القس " : الرهبنة بين الشرق والغرب ، المطبعة الفاروقية بأسيوط ، ١٩٥٣ ص ٢٠ ·

٧ – العهد القديم : التوراة ، الملوك الأول (أصحاح ١٧ عدد٦) ·

٨ – انجيل مرقس : أصحاح ١ عدد ١٦ ، أنجيل متى أصحاح ١٩ من عدد ١٠ – ٢٠ ·

٩ – العلامة يوحنا لورنس فان موسهيم : تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة ، ترجمة القس هنرى هرس جسب الأمريكاني ، المطبعة الأمريكانية في بيروت ١٨٧٥ الكتاب الأول – القسم الأول (الفصل الثاني) ص ٩ – ١٠ ·

١٠ – يسطس الدويري "القمص" : موجز تاريخ المسيحية ، ص ٣٩ ·

١١ – حكيم أمين : دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية ، ص ٣٩ ٠

١٢ – لبيب حبشى وزكى تاوضروس : الأديرة الشرقية، ص ٩ – ١٦ ٠

13 - Otto F. A. Meinardos Php. Monks and Nonastries of The Egyptian Deserts : The American Uni. At Cairo Press, U.A.R. 1961 P. 8 .

14 - Evelyn White ; The Monastries of the Wadi N Natrun ; Part 11 Walter Hauser, Arno Press , New York , 1973 . P. 7 - 8 .

١٥ – سليم سليمان الفيومى : مختصر تاريخ الأمة القبطية، المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة ، ١٩١٤ ج ١ ص ٤٨ ٠

١٦ – يوسابيوس منالقيصرى : تاريخ الكنيسة ، ترجمة القس مرقس داود ، دار الكرنك بالقاهرة ١٩٦٠ ٠

17 - Evelyn White ; The Monastries of The Wadi N Natrun : Op. Cit. P. 5 .

18 - Otto F. A. Meinardus : Monks and Monastries of The Egyptian Deserts ; Op. Cit. P. 7 .

١٩ – سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة، ترجمة زينب الكردى ، مراجعة احمدبدوى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ، ص ٣٩ ٠

٢٠ – ادولف ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة د٠ عبد المنعم أبو بكر ، ومحمد انور شكرى ، دار المعارف العمومية ، مطبعة الحلبى وأولاده بمصر ٠ غير مبين السنة ص ٢٠٨ ٠

الفصل السادس

السحـــر والديـن

١- مفهوم السحر

٢- التمييز بين السحر والدين " أوجه الاتفاق والاختلاف "

٣- المفهومات المرتبطة بالسحر

٤- المفهومات المتعلقة بالوسائل والاجراءات السحرية

٥- مبادىء السحر

٦- انماط السحر

٧- التمييز بين التفكير الخرافى والتفكير العلمى

الفصل الساس

السحـر والدين

يرى جيمس فريزر أنه لا يوجد موضوع إختلفت فيه الآراء مثلما إختلفت حول طبيعة الدين ٠ ومن هنا وجب تحديد المقصود بالدين وهو " التزلف والتقرب إلى القوى العليا التى تفوق الإنسان والتى يعتقد أنها توجه الطبيعة والحياة البشرية وتتحكم فيهما وعلى هذا التعريف يمكن القول أن الدين يتألف من عنصرين أحدهما نظرى وهو الإيمان فى وجود قوى أعلى وأسمى من الإنسان والآخر عملى وهو محاولة إستمالة هذه القوى وإرضائها ٠ إذن الإيمان أسبق العنصرين ٠ ولكن إن لم يترتب على الإيمان قيام شعائر وممارسات فهو لا يكون ديناً بل مجرد لاهوت Theology ٠

أيضاً الشعائر والطقوس المجردة من كل إعتقاد دينى لا تعتبر ديناً ٠ أى لابد من الإيمان والممارسة أو بالتعبير اللاهوتى العقيدة والشريعة ، وليس من الضرورى أن تتخذ الممارسات الدينية شكل شعائر أى تتألف من تقديم القرابين وتلاوة الصلوات وإراقة دم الأضحيات وترتيل الترانيم وتقديم الهدايا وحرق البخور والتسبيح بحمده أى الطقوس الظاهرة الملموسة ، فالهدف من الشعائر إرضاء الرب والآلهة ، والإله يجد الغبطة فى الإحسان والرحمة والتطهر وزيارة اليتامى والأرامل أكثر من الذبائح والقرابين (١) ٠

ويرى تايلور أن الشعوب الدنيا التى لم تحظ بنصيب وافر من حضارة العالم

لا تزال تتمسك بقوة ببعض الأفكار وبخاصة السحر . بالإضافة إلى أن السحر ما زال محتفظاً بمكانته دون أن يطرأ عليه تغير جوهرى ، كما أن ثمة طقوساً وممارسات أخرى كثيرة نشأت بمرور الزمن بجانب الطقوس والممارسات القديمة ما زالت قائمة بشكل ما فى الأمم الحديثة الراقية .

ففى كل المجتمعات فى العالم المتحضر نجد بقايا فلول الأجناس البشرية التى ما زالت تعيش فى حالة عزلة وإنزواء فهى دائماً عرضة لممارسة السحر .

وهناك العديد من الفنون السحرية تقوم على المماثلة أو الرمزية ، وهى كثيرة لا حصر لها فعلى سبيل المثال الرجل عند الزولو يمضغ قطعة صغيرة من الخشب لكى يلين بهذا الفعل الرمزى قلب الرجل الذى يريد شراء ماشيته ، أو قلب المرأة التى يريد الزواج منها . هذه أمثلة للسحر الرمزى عند الشعوب المتأخرة ولها ما يشابهها تماماً فى الخرافات التى ما زالت راسخة فى أوربا(٢).

مفهـــــوم السحـــــر

مفهـــوم السحـــر فـى اللغـــا ت :

فـى اللغـــة العربيــــة :

هو كل أمر يخفى سببه ويتخيله الإنسان على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع ، ويطلق لفظ ســاحر علـى الـذى يقـوم بهـذه الأعمـال سـواء كان رجلاً أم إمرأة ، محترفاً أم هاوياً بقصد ضرر غيره (سحر أسـود) أو فائدتـه (سحر أبيض) ٠

وفـى اللغـات الأجنبيــة :

ما يزيد عن العشر كلمات وكلها تعنى كلمة (الساحر) ومنهـا Wizard ، Magician ، Satanist ، Worlock ، Sorcer ، Conjurer ، Enchanter، Demonist ، Bedlam ، Witch، Sybil ٠

وثلاثــة مصطلحــات منهــا وهـــى Bedlam، Witch ، Sybil ، تطلـــق على الساحرات الأنـاث فقـط ، وبعـض هـذه الكلمـات مثـل كلمـة Satanist , وDemonist تحمل معنــى كلمــة (الشيطان) وذلـك للصلـة المتينـة بـين الأخـير والساحر ٠

وأول كلمة أطلقـت علـى السـاحر فـى اللغـة الأجنبيـة هـى كلمـة Magician مشتقة من الأصل اللاتينى Magus وتعنى الرجل الحاذق الأريب وتعنى رجـل الفكر والعلم والمعرفة والحكمة ، أى قادة الفكر ، كانوا موضـع تقدير وإحترام جميع الطبقات يغدق عليهـم الملـوك والنبـلاء الهبـات والهدايـا والعطايـا ٠

وبمرور الزمن إندست في زمرتهم النفوس الخبيثة وإدعوا العلم عن جهل وإنقلب Magus الرجل العاقل الحكيم إلى (Magician) وهو الساحر الخبيث المؤذي ٠ ومن هذا العهد صارت هذه الكلمة الأخيرة وقفاً على طائفة السحرة ٠

وقد ورد مفهوم السحر في القرآن الكريم والتوراة ٠

مفهوم السحر في العلوم الإجتماعية :

أثيرت العديد من النظريات عن السحر في الثقافات البدائية إشترك فيها الكثير من علماء الإجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا أمثال تايلور Tylor وفريزر Frazer ووستر مارك Wester Marck وموس Mauss وماريت Marett ومالينوفسكي Malinowiski وفرويد Freud ٠

السحر في المفهوم السوسيولوجي :

هو فن تترجم فيه النظريات والإعتقاد Dogma في كل خطوة إلى فعل ، وهو أيضاً شيء عملي جداً فلابد أن يأتي السحر للحبيب بمحبوبته وأن يتغلب على سوء الحظ ٠٠٠إلخ ، هو طريقة للسيطرة على قوى الطبيعة لمصلحة الإنسان وإرادته ٠

وهو فن إنساني يمارس فقط بواسطة الإنسان ، ويضفي السحر على ممارسيه قوة إجتماعية كبيرة ويمنحهم النفوذ والتقدير والسلطة ٠

وله من وجهة نظر سوسيولوجيا السحر أهمية إقتصادية لأن ممارسيه يكافأون من قبل هؤلاء الذين يقصدونهم يرجون خدماتهم ٠

ومن الناحية التقليدية يرتبط السحر بالميثولوجيا ، وبالماضى السحيق وعهود الآلهة الأبطال ·

السحر في المفهوم الأنثروبولوجي :

يشير إلى مركب المعتقدات والأفعال التى يحاول بها الأشخاص والجماعات على - أساسها وبواسطتها - السيطرة على بيئتهم بطريقة تحقق أهدافهم ·

ويطلق فريزر على السحر علم الإنسان البدائى لأن كلاً من السحر والعلم فى رأيه نوع من التكنولوجيا ·

ومالينوفسكى Malinowiski أول من ميز بين سحر العامة وسحر المتخصصين فى كتابه سكان جزر التروبرياند·

والسحر فى نظره يعد فناً عملياً يتعلق بتحقيق مطالب عملية بينما يتعلق الدين بمسائل عامة وبعيدة المنال ليس لها حل مباشر بل تقدم معنى للمشكلات التى يجابهها الإنسان فى حياته وما يتعلق بالقدر والموت ، والسحر عند مالينوفسكى لا يمثل العلم البدائى كما ذهب " فريزر" إلى ذلك ·

فالسحر ينفصل عن الفن العملى ولا يمكن أن يلتقيا أو يندمجا بعضهما فى بعض · فعندما يعجز الإنسان عن التحكم فى الواقع الموضوعى ، يبدأ فى اللجوء إلى السحر كبديل للفن العملى · وهذا معناه أن مالينوفكى يرى أن هناك مستويين للنشاط الإنسانى : مستوى عملى فى قدرة الإنسان ومستوى غيبى يلجأ إليه عند العجز فى السيطرة على الظواهر ·

ويرى مالينوفسكى أن كل عمل سحرى يتميز بأشياء تقال ، وأشياء تفعل ، وشخص يصنع هذه الأشياء ، وعلى هذا فإن التعويذة Spell والطقس Rite وحالة الشخص القائم بعمل السحر Performer تعد من أساسيات العمل الفعلى للسحر ٠

السحــر فــى المفهــوم السيكولوجــى :

السحر من وجهة نظر فرويد مرض نفسى يصيب بعض الأشخاص أو بعض المجتمعات ، وهو بمثابة ردة إلى التفكير البدائى ، أو هو ردة إلى مرحلة طفلية٠

ويرى رجال التحليل النفسى أتباع فرويد ، الإتفاق مع مالينوفسكى فى أن السحر فعال لأنه نوعاً من التفريغ الإنفعالى بلغة التحليل النفسى ٠

وبينما يرى فريزر أن الرمزية فى السحر تشير إلى إرتباط زائف بين الأفكار فإن المحللين النفسيين يذهبون إلى أن هذه الرموز لها دلالة لأنها تتجاوب مع المشاعر المكبوتة للساحر ، وجمهوره ٠

وكيمف Kemph حديثاً يرى أن المعتقدات السحرية تعد مجهودات نفسية علاجية لتخفيف الضغوط الفسيولوجية التى تحدث فى محيط إجتماعى ، إن الأساليب السحرية تعمل على ضبط الوظائف الفسيولوجية (٣) ٠

نظــرية فــريزر عــن السحــر :

حاول فريزر أن يربط بين السحر والعلم اللذين يقفان موقف التعارض مع الدين ٠ وقد أطلق كلاً من تايلور وفريزر على السحر " العلم الزائف " أو

الكاذب ، فالسحر مثلاً يقول أحياناً أن من يشرب دم ثور فإن قوة الثور تتحول إلى هذا الشخص ، وهذا يدخلونه تحت سحر التشابه أو سحر المحاكاة ، أيضاً مثال آخر أنه عندما تدق الطبول تتكون وتتولد البروق والرعود (٤) .

التمييـــز بيـــن السحـــر والديـــن :

ميز فريزر بين السحر والدين :

- فالدين يشترط الإعتقاد فى الكائنات الروحية أو الإلهية والأرباب .
- بينما السحر يتألف من الأعمال والمارسات والشعائر التى تتصل بالكائنات الأخرى .
- يتفق فريزر مع علماء القرن التاسع عشر فى أن السحـر أسبق فى الزمن من الدين ، وحتى تايلور كان يرى أن فكرة الله لم تظهر إلا فى حالة مرحلة متأخرة من تاريخ الإنسانية بعد تطور طويل فى التفكير الحيوى أو الأنيمى .

وقد شاعت فكرة أسبقية السحر على الدين بحيث ضاعت الآراء التى أرادت التدليل على أن فكرة الله كانت موجودة دائماً فى ضمير البشرية منذ أقدم العصور .

ولكن معظم الآراء إتفقت على عدد من الأسس للتمييز بين السحر والدين أهمها :

١ - أن السحـر له القدرة على إجبـار عالم ما فـوق الطبيعة أو عالم الغيبيات لتحقيق مطالبـه .

٢ - أن الممارسات السحريـة لا تفشل فى تحقيق النتائج المرجـوة إلا نتيجة

إرتكاب أحد الأخطاء أثناء ممارسة تلك الطقوس أو نتيجة لتدخل سحر آخر مضاد أقوى مفعولاً ٠

٣- أما الدين قد يفشل أحياناً في - رأي أنصار فريزر - في تحقيق النتائج لأنه يقتصر على التضرع والإبتهال والسؤال دون القيام بأي عمل إيجابي لتحقيق مطالبه ٠

٤ - أن الممارسات السحرية لا يمكن القيام بها على مستوى المجتمع كله أو الجانب الأكبر منه ، كما في الدين ٠

٥ - الممارسات السحرية كثيراً ما تمارس في الخفاء وقد لا يكون لها أي مظهر إجتماعي على الإطلاق ٠

٦ - يعتمد السحر على عبارات تعاويذ وصيغ كثيراً ما تكون غير مفهومة حتى للأشخاص الذين يستخدمونها ٠

٧ - بعكس الدين الذي يستخدم اللغة العادية السائدة في المجتمع ٠

٨ - يؤلف السحرة جماعة منعزلة عن رجال الدين ٠

٩ - نظرة المجتمع للسحرة تختلف عن نظرتهم لرجال الدين ، فهم في مرتبة أقل وأدنى من رجال الدين ٠

١٠ - يحتاج رجل الدين إلى فترة إعداد طويلة قبل أن يباشر وظيفته بعكس الساحر ٠

١١ - يعترف المجتمع بوظيفة رجل الدين ويقرها ، أما وظيفة الساحر فلا يعترف بها جهراً بل وتحاربها بعض المجتمعات وتعتبر أنها نوع من الخرافة والأباطيل ٠

١٢ - أن كلاً من السحر والدين يقتضي نوعاً مختلفاً من السلوك الإجتماعي ٠

التشابهات :

١ - أن كلاً منهما يتعلق بعالم الغيبيات ٠

٢ - يستعينان بالكائنات الروحية أو بالقوى الخفية الخارقة للطبيعة فهي أسمى من البشر تتحكم في هذا العالم وتسيطر عليه ٠

٣ - يعملان من أجل تحقيق الطمأنينة والهدوء وراحة البال والتوفيق بإسترضاء الكائنات الروحية والغيبية غير المرئية ٠

٤ - يقومان على أسس ومبادىء منطقية واحدة تعتمد على ترابط الأفكار وتداعي المعاني القائمة على ملاحظة ظواهر الحياة وأحداثها وتقلبات الفصول كلها أسس في قيام التفسير العلمي والعلم ومن هنا كان الربط بين السحر والعلم في كتابات فريزر (٥) ٠

- يحاول الدين إسترضاء الكائنات الروحية بالإبتهال والتضرع والرجاء والصلوات والقرابين٠

- السحر يحاول أن يجبر الكائنات الغيبية أو يقهرها بدلاً من إرضائها أو إستمالتها عن طريق التعاويذ الملائمة ٠

ويدعي السحرة أن لديهم القدرة على إخضاع الآلهة والأرباب والإستجابة لأوامرهم كما في الهند يرون أنَ الكون كله كل خاضع للآلهة وأن الآلهة خاضعة للتعاويذ وأن التعاويذ خاضعة للبراهمة(٦)٠

وتفترض الظاهرة الدينية قيام المحرمات أو التابو ، ولا يقتصر التحريم على مجرد اللمس فحسب بل يتعداه إلى الرؤية والكلام وتحريم تناول بعض الأطعمة ، والتحريم جوهر الدين (٧) ٠

مهنــــة الساحــــر :

يستخدم الساحر لغة غامضة مبهمة تزيد من فرص نجاحه ، قد يشغل وظيفة رجل الدين فيستعين بقوة الدين فى تنفيذ أغراضه وقد يتمتع أحياناً بالسلطة السياسية ويتقن تدبير المؤامرات فيمزج فن السحر بفن السياسة • وقد يكون الساحر طبيباً فيتمكن من تحقيق نبوءاته عن الحياة والموت بالإستعانة بالعقاقير أو السموم •

وما نسميه اليوم " بحيل المشعوذين " فى خفة اليد قد ساعدت الساحر على أن يحتفظ بسمعته الإعجازية •

والسحر لم يتولد فى الأصل من الخيانة والغدر وإن كان فيه شيء من الخداع والغش، فإن الساحر يمزج ثبات المؤمن وعزيمته بفن المداهن ونفاقه (٨) •

المفهـــومات المـــرتبطة بالسحــر

هناك مفهومات وثيقة الصلة بالسحر أهمها :

أ - الخــرافة :

(الخرافـة) و (التخريـف) و (مخـرف) كلمـات يتداولهـا النـاس فـي الأحاديث العادية وهي تشير إلى الكذب أو الخيال والبعد عن الواقع ، فقد يوصف شخص بأنه مخرف أي أنه يهذى بأقوال لا تحمـل معنـى الجـد ٠ وجميعها تعني البعد عن الواقع الموضوعي ٠

والخرافة في المصطلح العلمـي لا يقتصـر معناهـا علـى مجافاتهـا للواقـع فالخرافة في التفكير العلمي هي إعتقاد أو فكرة لا تتفق مع الواقع الموضوعي بل تتعارض معه ، وليس كـل إعتقاد أو فكرة تتعارض مع الواقع الموضوعي تعد خرافة ، إذ يشترط أن يكون له إستمرار وله وظيفة في حياة من يؤمنون به ويستخدمونه ٠

والخرافة تفسير يزود من يؤمن به بوسيلة ما لمواجهة مشكلة لا يعرف صاحبها طريقاً أفضل منها لمواجهة هذه المشكلة ٠

وهي إعتقاد خاطىء له إستمرار يفسر ظاهرة أو مشكلة ما يتكرر ظهورها فـي حياة الناس ٠ فهي تعد إعتقاداً إجتماعياً يشترك أفراد مجتمع ما أو جماعة ذات ثقافة فرعية في نطاق المجتمـع العام وعلى الرغم مـن أن الجماعة قـد تشترك في الإعتقـاد بخرافة ما ، إلا أن موضوعها قـد يتنوع مـن فرد إلى آخر(٩)

ب –التفكير الخرافى :

يختلف عن التفكير العلمى فى إفتقاره إلى العلية أو السببية العلمية فالتفكير الخرافى يستند إلى أسباب غير طبيعية لتفسير أو حل مشكلات طبيعية فيعزوها إلى علل غير صحيحة أو غيبية لا يستطيع تحديدها أو التحكم فيها ٠ والعلية أو السببية هى القانون الذى يربط سبباً معيناً بنتيجة معينة ٠

والتفكير الخرافى ليس قاصراً على البدائيين بل إن الإنسان المتمدين قد يفكر تفكيراً قريباً من التفكير الخرافى وإن إستند على حقائق علمية٠

والسحر نوع من الخرافة وهو يقوم على أساس التفكير الخرافى فهو من أبرز الأمثلة للتفكير الخرافى القائم على العلية الغيبية وهو لون من التفكير واسع الإنتشار بين كثير من فئات المجتمع يشمل العامة والمتعلمين ٠

ج – العرافة :

العرافة لغة هى حرفة العراف ، والعراف هو المنجم وطبيب العرب ٠ والعرافة Witchcraft هى فن التنبؤ بواسطة الإتصال بالأرواح الشريرة ٠ فلقد كان العراف هو الشخص صاحب الحكمة والبصيرة ، وقد إستمدت هذه اللفظة الإنجليزية Witch من كلمة Wit ومعناها يعرف ٠

ولكن منذ حوالى القرن الخامس عشر إقتصر إستخدام كلمة عرافة على الإشتغال بالسحر بواسطة التنجيم أو الرجم بالغيب سواء كان الممارس لها رجلاً أو إمرأة ٠

ويمكن القول أنه إذا ماتمّ ذلك باسم الإله المعترف به من قبل المجتمع

اعتبر نبوءة، وينال التقدير ، ويناط صاحبه بمسحة من التقديس ، فإذا ما تم عن طريق الإتصال بإله أو بروح غير معترف بها من جانب المجتمع عد التنبؤ إذن عرافة وضرباً من ضروب السحر . ولعل هذا التمييز بين الإثنين يظهر فيما قدمه موسى من معجزات وما قدمه السحرة أمام فرعون .

د – الكهانـــة :

الكهانة لغة هي حرفة الكاهن . والكاهن كل من تعاطى علماً دقيقاً . ومن العرب من كان يسمي المنجم والطبيب كاهناً .

وقد كان في بلاد العرب في الجاهلية نفر يعرفون عادة فيما قبل الإسلام باسم الكهان. وكانوا يدعون المعرفة بالغيب .

وتذهب الروايات الإسلامية إلى أن الكهانة كانت أصنافاً ، منها ما يتلقاه الكهنة من الجن . والنوع الثاني ما يخبر به الجني من يواليه بما غاب عن غيره . و الثالث ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس . والنوع الرابع ما يستند إلى التجربة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك .

والبعض يرى أن الكاهن هو من يدعي معرفة الغيب ، وينقسم إلى أنواع متعددة كالعراف ، والرمال، والمنجم ، والكل مذموم .

بين العـــرافة والكهانـة :

إختص بعض الدارسين العرافة بأنها التكهن بما خفي من أحداث الماضي، والتكهن بما عسى أن يحدث في المستقبل . إلا أن العراف كان أقل شأناً من الكاهن ، أما الكاهن فكانوا يلجأون إليه لمعرفة الحوادث ، ويعتمدون عليه في الفصل بينهم إذا ما إختلفوا .

٥ - الشعوذة : Sorcery

الشعوذة خفة اليد والقيام بعمليات من أجل خداع المشاهدين • وهى فن يستعمل قوة غير عادية ، يقوم المشعوذ بأعمال تظهر للمشاهدين على غير ما هو عليه فى الواقع • ومرجع ذلك إلى خفة فى اليد (Slight of Hand) وتعتمد على السرعة فى حركة الأصابع •

والشعوذة هى " تأثير فى القوى المتخيلة ، يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة • ويلقى فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده من ذلك •

فالشعوذة إذن تختلف عن السحر ، لأن السحر قد يهدف إلى إخضاع القوى الطبيعية لإرادة الإنسان •

وتبدو الشعوذة كنوع من الحيلة والخفة •

المفهومات المتعلقة ببعض الوسائل والإجراءات السحرية الهامة :

١ - التعويـــذة :

عبارة عن كلمات مفهومة أو غير مفهومة يقولها الساحر أو يكتبها بطريقة معينة ويؤمر الشخص الذى تعمل التعويذة لصالحه بأن يضعها فى مكان معين سواء فى جسمه أو فى مكان قريب من جسمه ، أو مكان قريب من عدوه •

إن التعويذة هى سحر فردى تجرى من أجل شخص واحد ضد شخص آخر يحاول أن يجلب على الطرف الآخر النوائب والمصائب بالمرض ، أو الفقر ، أو غير ذلك من أشياء مستكرهة (١٠) •

أما بول غاليونجى فيرى أنها الصيغة اللفظية التى يتلوها الساحر (١١) او يكتبها

٢ - الأحجبـــــة :

وقد إشتهر بـين العـوام المصريـين إسـتعمال الأحجبـة . وإشـتهر بعملهـا المغاربة من أهالى تونس ، والجزائر ، ومراكش ، ويليهم فى ذلك السـودانيون وبعض الفقهاء . وتكتب بحبر أحمر أو أخضر ، ثـم تطبـق الورقـة ، وتوضـع فـى جلد أحمر ، ويكون الحجاب تحت الثياب .

وبعضهـم يتحجـب بـالمصحف الشـريف، ، ويؤمـن المصريـون بالأحجبـة ومعظمها عبارة عـن تعاويذ ، أو آيات معينـة من القرآن ، وأسمـاء لله الحسنى وأسماء الملائكة ، وأسماء الأنبياء المشهورين . ويعتقد المصريون بقـوة تأثير هذه الأحجبة وقدرتها على حفظهم من الأمراض والسحر ، والعين وغيرها مـن الشرور .

٣ - التحويطـــــة :

يذكر محمـد الجوهرى فى كتابـه علـم " الفولكلـور " أنها حجاب للوقايـة يحمل تحرزاً من أى عمل سحرى ضار يوجه لإنسان .

٤ - الرقيـــــــة :

الرقية تعويذة يستعان بها من الشر ، وقدتكون الرقية من عين حاسـدة ، ومـن الرقى المسـتعملة كلمـات تقـال بعـد وضـع قليـل من الملـح فـى كيـس صغير ، ويعلق فى رقبة الأطفال . وهناك رقية خاصـة تقـال فـى أيـام عاشـوراء ، وهـى

فى العشرة الأولى من المحرم ، فتعدد الأشياء التى فى البيت وتضاف إليها التعويذة حتى لا تحسد ٠

٣- العيـــــن :

إذا رفت فإن المصريين يتشاءمون بهذا إذا حصلت من إحدى العينين (اليسرى)، ويتفاءلون إذا حصلت من (اليمنى) ٠ ويقولون إذا رفت أعينهم : اللهم إجعله خيراً ٠

وتطلق العين أولاً الحسد ، فيقولون للمحسود٠ أصابته عين٠ ويداوون ذلك بالتعاويذ والبخور والأحجبة ٠ ويقولون فى أمثالهم " عين الحسود فيها عود " ٠

٦ – الحســـد :

يعتقد المصريون كثيراً فى الحسد إذ أن بعض الناس عنده خاصية فى عينه، إذا نظر إلى شىء أماته أو أتلفه ٠

ويعتقد المصريون أن الحسد يكون على أتمه إذا نظر الحاسد وشفع نظرته بالشهيق ٠ ومن الشائع عند النساء أنه إذا نظر رجل تلك النظرة أسرعت المرأة وقالت له " وراك تعبان أو عقربة أو نار " فيلتفت وراءه لينظر إليه ، وبذلك يذهب سحر عينه ٠

٧ – المنـــدل :

يستخدم لإظهار السارق ويختار صاحب المندل طفل فى نحو السابعة أو الثامنة بواسطة رسم كفه ، فهم يعتقدون أنهم إذا كان كفهم يقرأ ٧١، أو ١٧ ، كان الأطفال أقرب إلى نجاح المندل ٠

ويصب في يدالطفل اليمنى نقطاً من زيت مع إطلاق البخور. ثم يسأل الطفل عما يراه ، ثم يطبقون هذه الأوصاف على شخص يعرفونه فيكون هو السارق وهو نوع من الإيحاء .

٨ - الربـــــط :

الربط هو عمل سحري يعمله الشيخ ويتلو عليه عزائم ، يزعم الناس أنه يعوق الرجل عن الإتيان بالأعمال الجنسية ، ولذلك يلجأ المربوط إلى الشيخ أو شيخ آخر ، يحل هذا الربط ، فإذا حل ، عاد الرجل إلى طبيعته الأولى ، ويكثر ذلك في القرى (١٢) .

مبادىء السحر وفروعه

مبادىء السحر لدى جيمس فريزر:

تنحصر في مبدأين :

الأول : أن الشبيه ينتج الشبيه أو أن المعلول يشبه علته ٠

الثاني : هو أن الأشياء المتصلة ببعضها تستمر في التأثير بعضها في بعض حتى بعد أن تنفصل فيزيقياً ٠

ويمكن تسمية المبدأ الأول " قانون التشابه " و الثاني "قانون الإتصال " أو " التلامس"٠

أنماط السحر :

ويرى الساحر أنه عن طريق قانون التشابه يمكنه تحقيق الأهداف والنتائج عن طريق محاكاتها أو تقليدها ويمكن تسمية التعاويذ والطلاسم التي تقوم على قانون التشابه بالسحر التشاكلي Homoepathic أو سحر المحاكاة Imitative أو التقليد ٠

أما المبدأ الثاني " قانون التلامس" فيرى أن ما يفعله بالنسبة لأي شيء مادي يؤثر تأثيراً مماثلاً على الشخص الذي كان هذا الشيء متصلاً به في وقت من الأوقات سواء كان يؤلف جزءاً من جسمه " كالشعر والأظافر " أو لا يؤلف " الملابس " وهو ما يسمى بالسحر الإتصالي ٠

يقوم السحر التشاكلي على تداعي الأفكار عن طريق التشابه بينما السحر الإتصالي يقوم على تداعي الأفكار عن طريق التجاور أو التلامس ٠

- السحر التشاكلى يقع فى خطأ إفتراض أن الأشياء المتشابهة متطابقة تماماً
- السحر الإتصالى يقع فى خطأ إفتراض أن الأشياء التى كانت متلامسة تظل متصلة بإستمرار.

ويمكن تسمية فرعى السحر التشاكلى والإتصالى بالسحر التعاطفى لأن الإثنين يفترضان إمكان تأثير الأشياء بعضها فى بعض من بعيد عن طريق نوع من التعاطف الخفى .

السحر التعاطفى

(قانون التعاطف)

السحر التشاكلى (قانون التشابه)	السحر الإتصالى (قانون الإتصال)

السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة

يستخدم لإلحاق الأذى والدمار بأعدائهم عن طريق إيذاء أو تدمير صورهم إعتقاداً أن ما يلحق بالصورة من شر وضرر يلحق بصاحبها . وحين يتم تدمير الصورة يموت الأصل بالضرورة .

وتنتشر هذه الممارسات منذ آلاف السنين فى الهند القديمة وبابل ومصر وبلاد اليونان وروما وما زالت شائعة فى أستراليا وأفريقيا واسكتلندا ، فرسم صورة الشخص فى الرمل أو الرماد أو الطين أو الحصول على أى جزء من ملابسه وإلحاق الأذى به يستتبع بالضرورة إلحاق الأذى لذات الشخص .

هذا لدى هنود أمريكا الشمالية أما إذا أراد قتل عدوه فى التو واللحظة فهو يصنع له تمثالاً ويحرقه أو يدفنه وهو يردد بعض الصيغ السحرية.

وفى الملايو تؤخذ أجزاء صغيرة من الأظافر والشعر والحواجب مع بعض الشمع من خلية نحل مهجورة ويصنع دمية أو تمثال على هيئته وتعرض الدمية كل ليلة لسبع ليال متتالية للهب مصباح كى تحترق ببطء ويردد الساحر أثناء ذلك " إننى لا أعرض الشمع للهب بل كبد فلان أو قلبه أو طحاله .. إلخ ، بعد الليلة السابعة يحرق التمثال تماماً فيموت صاحبه .

وهذا الطلسم السحرى يجمع بين مبدأى السحر التشاكلى والسحر الإتصالى.

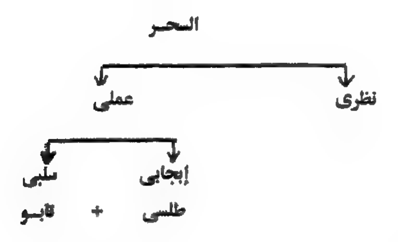
وكما يستخدم السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة لإلحاق الأذى والضرر يستخدم أيضاً لتحقيق النوايا الطيبة ومساعدة الآخرين ولكن بدرجة أقل بكثير ، فقد يستخدم لتسهيل عملية الوضع والولادة ومنح النسل والذرية للعاقرات ، كمايستخدم فى علاج الأمراض.

ويتألف نسق السحر التعاطفى من قواعد إيجابية وأخرى سلبية وهى التحريمات ،فهو يحدد للإنسان ما يفعله وأيضا ما يتحتم عليه تجنبه . فالقواعد الإيجابية هى التعاويذ أو الطقوس والقواعد السلبية هى التحريمات أوالتابو ، والمقصود بالتابو الأشياء المقدسة التى يجب ألا يقترب منها الناس خشية تدنيسها ، ويترجمها فرويد " بالخوف المقدس" لأنها تجمع خاصية القداسة وبين التحريمات والقيود المفروضة حول هذه الأشياء .

والتابو يعتبر تطبيقاً سلبياً للسحر العملى ، بينما السحر الإيجابى أو الطلس يقول "افعل كذا لكى يحدث كذا " والسلبى أو التابو يقول " لاتفعل كذا حتى لا يحدث كذا " ·

وبينما يهدف السحر الإيجابى لتحقيق شىء مرغوب فيه ، يهدف السحر السلبى أو التابو إلى تجنب شىء مرغوب عنه ·

فالقواعد الإيجابية نسميها " طلوس " بينما السلبية تسمى " تابو " والتابو هى الجانب السلبى للسحر العملى ·



ويرى إيفانز بريتشارد فى كتابه عن " الشعوذة والكهانة والسحر عند الازاندى " أن السحر يستطيع أن يتتبع فريسته حتى يؤذيه بصرف النظر عن المسافة التى تفصل بين الساحر والضحية · وحتى إذا لم يكن الشخص المقصود بالسحر معروفاً للساحر معرفة شخصية ، وإذا أخطأ الساحر نفسه فى الممارسات فقد يرتد السحر إلى الساحر نفسه إذ لابد للسحر أن يحقق هدفه بشكل ما (١٣) ·

السحـــر الإتصـــالى

يقوم على فكرة أن الأشياء المتصلة تظل - حتى بعد أن تنفصل تماماً - في علاقة تعاطف بحيث أن ما يطرأ على أحدها يؤثر بالضرورة تأثيراً مباشراً على الآخر •

وهذا يتطلب وسيط مادى من نوع ما يقوم بتوحيد وربط الأشياء البعيدة ونقل الإنطباعات والتأثيرات من أحدها للآخر •

وأشهر مثل للسحر الإتصالى هو التعاطف السحرى الذى يفترض وجوده بين الإنسان وأجزاء جسمه كالشعر والأظافر حتى بعد أن تنفصل هذه الأجزاء عنه، بحيث أن وقوع شعر شخص أو أظافره فى يد شخص آخر يجعله خاضعاً لإرادته مهما بعدت المسافة بينهما وتشيع هذه الخرافة فىالعالم كله (١٤) •

السحر الأسود والسحر الأبيض

السحر الأسود سحر ضار يمارس بقصد إلحاق الأذى بالآخرين أو لتحقيق نفع شخصى على حساب شخص آخر •

أما السحر الأبيض فإنه يخدم أهدافاً أخرى عملية تعود بالنفع على المجتمع ككل و لا تتعارض مع قيم المجتمع • بل تتبع الحياة الإقتصادية على الخصوص فهناك سحر خاص بصيد السمك أو فلاحة البساتين أو سقوط المطر ٠٠ إلخ •

ويجمع العلماء على أن أهم نوعين من السحر الأبيض فى كل أنحاء العالم هما السحر الخاص بالتنبؤ بالمستقبل أو التنبؤ بالغيب والسحر الخاص بالعلاج أو التداوى والتطبيب •

السحر الرسمى والسحر الشعبى

يفرق محمد الجوهرى فى مقال له بعنوان " السحر الرسمى والسحر الشعبى " بين قسمين أو نوعين من السحر : الأول هو السحر الرسمى ويخاطب فئة محدودة من الناس هم السحرة المحترفون .

أما السحر الشعبى فنحن نعيشه ونمارسه كل يوم .

فالسحر الرسمى هو سحر الخاصة أما الشعبى فهو سحر عامة الشعب ، ولذلك يحرص السحر الرسمى بشدة على أن يبقى على خصوصيته ، وعلى ألا يذاع (سر المهنة) مهدداً قارئه أو عميله فى أكثر من وموضع -على لسان ملاك أوخادم - بأن يبطل مفعول هذا التأثير إن هو باح به لأحد .

ويعد مالينوفسكى أو ل من ميز بين سحر المتخصصين ، وسحر العامة عام ١٩٢٢ فهو يرى أن السحر المتخصص قائم على المعرفة السرية ، أما سحر العامة فبنى على المعرفة العادية.

سحر التنبؤ وسحر العلاج

يذكر وليام هاولز أن أهم قسمين أو نوعين من أنواع السحر فى كل أنحاء العالم هما السحر الخاص بالتنبؤ والسحر الخاص بالتداوى والعلاج .

سحر الإنتاج والوقاية والهدم

يذهب البعض إلى تصنيف السحر إلى ثلاثة أنواع رئيسية :

سحر إنتاجى : يهدف إلى زيادة الإنتاج أو المحصول أو حصيلة الصيد .

سحر وقائى : يهدف إلى إبعاد الخطر وسوء الحظ أو المرض .

أما السحر التحطيمي أو الهدمي : يسمى بالإنجليزية Sorcery أي الشعوذة في مقابل Witchcraft الذي يعتقد أنه ينبع من هبة خاصة أو إستعداد معين لدى الفرد ٠

يسمح لأي شخص بأن يحطم عدوه في نطاق خياله ، دون أن تمتد إليه يديه ٠

ولهذا فإن السحر ظل محتفظاً بدرجة معينة من التأثير على الرغم من التحديات التي تصادفه اليوم في ظل الحضارة الإنسانية المادية ٠

أما ادوارد وليم لين فيذهب إلى أن هناك وصفين للسحر :
أحدهما روحي والآخر غش وخداع ٠

والسحر الروحي : يعتمد على بعض آيات من القرآن الكريم وعلى قدرة الملائكة والجن وهذا النوع من السحر نوعان : علوي وسفلي أو بعبارة أخرى " رحماني " و" شيطاني "

- السحر العلوي : هو علم سام رفيع يستخدم في الأغراض الطيبة ٠
- السحر السفلي أو الشيطاني : يعتمد على قوة الشيطان ونفوذ أشرار الجن(١٥) ٠

التمييز بين التفكير الخرافي والتفكير العلمي :

البعض يرى أن السحر نوع من التفكير الخرافي ويختلف التفكير الخرافي عن التفكير العلمي٠ إذ يعوزه العلية أو السببية العلمية ٠

والتفكير الخرافى هو أسلوب هام من أساليب الإنسان الأول فى ا لتحكم فى ظروف حياته وبيئتة وهو يتفق مع العلمى فى نقطة البداية وفى الوظيفة ولكن الفرق بين النمطين من التفكير هائل .

فالتفكير الخرافى يقوم على اساس عليه غير سليمة ويقتصر على الربط بين البدايات والنهايات كسبب ونتيجة دون ملاحظة أو تتبع العلاقات المختلفة المتضمنة فى الموقف فى تفاعلها وتغيرها .

اهم معالم الاختلاف والالتقاء بين التفكير العلمى والتفكير الخرافى فيما يلى :-

اولا : من حيث الوظيفة

يتفق كلاهما من حيث تفسير الظاهرات المحيطة بالانسان والسيطرة عليها وان كان الخيال قد اختلط بالواقع فى كثير من الاحيان وكان التفكير العلمى نتيجة حتمية لمحاولات الانسان الاول لتفسير ظواهر الكون .

وكلاهما له وظائف هامة فى حياة الانسان وهى :

١- بث روح الطمأنينة فى الانسان وتهيئته لمواجهة أحداث مستقبلية .

٢- تحقيق حاجة يرغب الانسان فى تحقيقها او جلب نفع .

٣- محاولة التغلب على الأخطار التى يتعرض لها الانسان او تجنب ضرر أو دفع خطر .

ثانيا : من حيث العليه

يقتصر التفكير الخرافى على الظاهرة المباشرة والخارجية للأشياء الا ان التفكير العلمى يقوم بتتبع الاحداث فى الزمان والمكان ويمتاز التفكير العلمى بالتراكم.

وتقدم التفكير العلمى يؤدى الى انكماش التفكير الخرافى وهو يعد انتصارا على الخرافات .

ثالثا : من حيث الملاحظة

يذكر جون ديوى (ان تقدم العلم والتفكير العلمى يرجع الى تنظيم الظروف التى تحدث فيها الملاحظة والاستنتاج ولم يأت نتيجة لتحسن التركيب البيولوجى للحواس ، كما لم يأت نتيجة لتحسن فى قدرة الانسان على فرض الفروض)

فالملاحظة العابرة او الحادثة الدرامية تكفى فى حالة التفكير الخرافى لإستخلاص النتيجة أيضا ملاحظة الحوادث الظاهرية دون تتبعها .

أما التفكير العلمى قائم على الملاحظة الدقيقة المنظمة ثم إستخلاص النتائج بعد تتبع العمليات التى تمر بها الظواهر .

رابعا : من حيث معنى الحقيقة

أهم الفروق الجوهرية بين الحقيقة الخرافية والحقيقة العلمية ان الأخيرة نسبية بينما الأولى مطلقة .

فالحقيقة الخرافية تقوم على الحركة الذاتية اى ان الظاهرة تفسر نفسها بنفسها. فإن العلة تحدث المعلول او توجده بما فيها من قوة فلا ضرورة للرجوع الى الوسط المحيط بالظاهرة او الظروف التى تكتنفها وهى لاتخضع للإختبار .

أما الحقيقة العلمية فهى نسبية حيث ترتبط بظروف الزمان والمكان تخضع للإختبار وقابلة للرفض او التعديل وهذا لا ينطبق على التفكير الخرافى فهو صحيح ومطلق .

تعتبر الحقائق الخرافية غير مترابطة فكل حقيقة قائمة بذاتها بعكس الحقيقة العلمية تقوم على الترابط بين الحقائق(١٦) .

مراجع

الفصل السادس

١ - سير جيمس فريزر : الغصن الذهبي ، ترجمة احمد ابو زيد ، الهيئة المصرية العام للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ص ٢١٨ - ٢١٩ ٠

٢ - احمد ابو زيد : تايلور ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ ٠

٣ - سامية حسن الساعاتي : السحر والمجتمع ، دراسة نظرية وبحث ميداني ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعة أولى ١٩٨٢ ص ٤٩ - ٦٣ ٠

4 - Cliford Geertz : International Encyclopedia of The Social Sciences : Op . Cit . P. 400 .

٥ - سير جيمس فريزر : الغصن الذهبي ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٤٤ - ٥٣ ٠

٦ - مرجع سابق ، ص ٢٢٠ - ٢٢٢ ٠

٧ - قبارى اسماعيل : علم الاجتماع والفلسفة ، ج ٣ ، ص ٥٨٩ - ٥٩٠ ٠

٨ - احمد ابوزيد ، تايلور ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ - ٢١٠ ٠

٩ - سامية حسن الساعاتي : مرجع سابق ، ص٨٠ - ٨٥ ٠

+ نجيب اسكندر ورشدى فام ، التفكير الخرافي ، ص ١٨ - ٢٢ ٠

+ أنس محمد الخطيب ، دراسة عن الخرافة في المجتمع المصري ، ص٢ - ٨ ٠

١٠ - سامية حسن الساعاتي : مرجع سابق ، ص ٨٦ - ٩٥ ٠

١١ - بول غاليونجي : طب وسحر ، دار النشر ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ص ١٠ ٠

١٢ - سامية حسن الساعاتي : مرجع سابق ، ص ٨٦ - ٩٥ ٠

١٣ – سير جيمس فيرزر : الغصن الذهبى ، مرجع سابق ،ص ١٠٤ – ١٣٩ ٠
+ سامية حسن الساعاتى : مرجع سابق ، ص ٨٥ – ١٢٠ ٠
١٤ – جيمس فريزر : المرجع السابق : ص ١٨١ – ١٨٢ ٠
١٥ – سامية حسن الساعاتى : السحر والمجتمع ،مرجع سابق ،
ص ١٠٠ – ١٢١ ، ص١٩٠ – ١٩١ ٠
١٦– انسى محمد حسين الخطيب ، دراسة عن الخرافة فى المجتمع المصرى من الناحية النظرية والتطبيقية – مايو ١٩٦٨ ، ص ٦ – ١٠ .
رسالة دبلوم معهد علوم اجتماعية غير منشورة ٠

* ملحوظة : غالبية هذا الفصل تلخيص لبعض أجزاء من " السحر والمجتمع " لسامية الساعاتى ٠

الباب الثانـــى

الأبعـــاد الإجتماعية والثقافيـــة والإقتصاديـــة
لظاهــرة المــوالــــد
دراسة مقارنة

الفهرس

الأبعاد الإجتماعية والثقافية والإقتصادية
لظاهرة الموالد

مقـــدمــة

مـــوضوع الدراســة :

تهتم هذه الدراسة بالتعرف على ظاهرة من أكثر الظواهر انتشاراً في المجتمع المصرى ألا وهى ظاهرة الموالد بأبعادها المختلفة وركزت على احتفالين أحدهما مسيحى قبطى وهو الاحتفال بعيد مارى جرجس بميت دمسيس والآخر مولد اسلامى وهو مولد السيد احمد البدوى بطنطا.

ولما كانت الموالد الاسلامية تتعلق بالأولياء، ورجال الجماعات الصوفية هم الذين يحددون مواقيتها، لذلك فمن الصعب أن نتحدث عن الموالد دون ان نذكر الولى الذى من أجله يقام المولد، ولابد أيضاً أن نتناول الشكل الصوفى لأنه الدافع الذى يدفع الزوار الى الموالد الاسلامية على نحو ما فعل نيقولاس بيجمان. وللموالد جذور تاريخية تمتد الى مصر القديمة.

أهميـــة الموضـــوع :-

ان الموالد تمثل ظاهرة تنتشر فى مصر و يرجع إنتشار الموالد فى مصر الى طبيعة المصريين، اذ تتغلغل القيم الدينية لدى الشعب المصرى بصفة خاصة منذ عصور سحيقة ويبدو حب المصريين للعبادة والحياة الأبدية منذ الفراعنه. والمصرى القديم لديه ايمانه واعتقاده الراسخ بفكرة الخلود والبعث بعد الموت، وتعبر الاهرامات عن مشاعر كل مصرى وطموحاته ورغبته

فى اكتساب الخلود وقضاء حياة أبدية سرمدية Eternity فى سلام . هذه الحياة الأبدية يتصورون انها تخلو من المشاكل التى واجهوها فى حياتهم على أرض مصرهم الحبيبه. وهذا لايعنى أن المصريين القدماء تكتنفهم الكآبه وأن تفكيرهم انحصر كلية فى حياتهم الأبدية بعد الموت بل على العكس فهم يحبون الحياة بالكامل ويكرهون تركها فقد واجهوا الموت ، وحاولوا أن يؤكدوا أنهم لن يكونوا منسيين ومجهولين ، ومن أجل تلك النهاية السعيدة التى يبتغونها ويأملون فى الحصول عليها بنوا مساكن لأجسادهم وأرواحهم ليقضوا فيها بقية حياتهم الطويلة وحاولوا أن يحفظوا أجسادهم داخل موميات [*] وأحاطوا بقاياهم بكل مايحتاجون اليه فى أبديتهم حسب تخيلاتهم فى ذلك الحين [1] .

والاحتفالات الدينية سواء كانت مسيحية او إسلامية ماهى إلاتعبير عن الإيمان الراسخ للمصرى بالآلهة والتمسك بالقيم والتعاليم الدينية أياكانت فى صورتها الفرعونيه قبل ظهور المسيحيه والاسلام أو فى صورتها السماوية .

وهناك دعوة فى العالم الغربى الى الرجوع الى القيم الدينية والروحية والتمسك بهما فنجد عالم النفس Adele Getty يقول أنه لابد من العودة فى حياتنا على هذا الكوكب الى وجهة النظر الشامانيه Shamanism وعالم الأنيميزم Animism كحقيقة بالمعنى الحرفى او اللفظى وليس كمجرد سلسة مجازية جميلة ، ولابد أن نبتعد عن التمسك بالماديات ، اذا ما أردنا البدء فى النظر الى الطبيعة المقدسة ، والشعور المقدس والحياة

---

(٨) المومياء عبارة عن جسم محفوظ إما كائن بشرى أو حيوان وهى راسب Survive من رواسب الثقافات القديمة .

الروحية التى تمتلىء بالشعائر والاحتفالات مبتدئين بالأنيميزم وهو أقدم الأشكال الدينية وأكثرها استمراراً فى عالم الروحيات اذ يجب ونحن شعوب متحضرة أن نعود الى الحقائق الأولية وللإحتفالات الشعائرية القديمة التى كانت سائدة وتنتشر بشكل كبير فى حياتنا وعائلاتنا ومجتمعنا[٢] :

ولا يقتصر التدين على الشباب وحدهم بل إن الكهول يشاركون فى التدين ، وهناك دراسة أجراها Young G. Dowling لمعرفة الأبعاد الدينية لدى كبار السن وقد ركز فيها على مدى تلازم المسنين ومداومتهم للذهاب إلى الكنيسة ، ووجد أن ذلك له أثر أكبر من أثر المعتقدات ، ذاتها وقد أجريت الدراسة على ١٢٣ مسن وتضمنت تسعة متغيرات ، ثلاثة منها أنشطة إجتماعية وثلاثة متغيرات دينية وثلاثة متغيرات شخصية هى (الصحة والعمر والدخل) ٠

وثبت من نتائج التحليل انه لم يدعم الإفتراض بأن النشاط الدينى الفردى ذو صبغة تعويضية ، أى أنه لا يسد الشعور لدى الكهول بالحرمان الإجتماعى والشخصى ، كما أن الصحة المعتلة والدخل المنخفض والحياة المنفردة عموما لا تفسر أو تتنبأ بالإتجاه نحو السلوك الدينى ٠

وإفترض البحث أن التفاعل المستمر فى شبكة العلاقات الإجتماعية يسهم فى إيجاد العادة الروحية للكهول حيث يؤكد لديهم الشعور بالإتجاه نحو مرحلة الكمال [٣] ٠

ترجع أهمية الموضوع ، لأن الإهتمام بالدين يؤثر فى نفوس البشر فى كل زمان ومكان فى الماضى والحاضر فى كافة أنحاء المسكونة ٠

وهذا يتطلب الرجوع إلى التراث المصرى القديم لمعرفة أصول وجذور ظاهرة الموالد.

ادوات جمع المادة :

١ - اعتمدت الدراسة على الملاحظة كأداة أساسية لجمع المادة عن الشعائر والممارسات الطقسية .

٢ - الوثائق التاريخية كالمخطوطات والكتابات الأثرية عل قباب الأضرحة والمقصورات وعلى جدران الكنائس والأيقونات الأثرية .

٣ - الاعتماد على الاخباريين وهم :-

أ - رجال الدين المسيحى و الاسلامى مثل :

- الخليفة وبعض رجال الجماعات الصوفية .
- المطران والكاهن الرئيسى فى كنيسة مارجرجس بميت دمسيس

ب - العلمانيون :

الاداريون المسئولون عن تنظيم الاحتفالات فى الجانبين .

جـ - زوار الموالد .

د - رجال الأمن ورجال الخدمات (كالكهرباء - والمياه والصحة) .

مناهج الدراسة:

(١) إعتمدت الدراسة على المنهج المقارن .

(٢) الإستعانة بالمنهج التاريخي للتعرف على جذور وأصول ظاهرة الموالدفى مصر.

(٣) إستخدمت المنهج الإثنوجرافى فى وصف الطقوس والشعائر والممارسات المتعلقة بالموالد .

(أ) المنهج المقارن:

استخدم المنهج المقارن منذ القرن التاسع عشر في الدراسات الأنثروبولوجية وهو يعد أقدم المناهج في ذلك القرن • واستخدم في المقارنة بين عقائد وعادات وتقاليد المجتمعات " البدائية " وبين عقائد وتقاليد المجتمعات الغربية •

ويعد فريزر من العلماء البارزين في إستخدام المنهج المقارن ، وإهتمت المدرسة الوظيفية بالدراسات الحقلية وبالتحليل المقارن للظواهر الثقافية ، فالثقافة تعد وحدة متكاملة تتألف من نظم مستقلة جزئيا ، ولكن بينها نوع من التنسيق كما فعل مالينوسكي•

ويؤكد براون على ضرورة إستخدام المنهج المقارن بجانب الدراسة الحقلية المركّزة حتى لا تصبح الأنثروبولوجيا مجرد وصف تاريخي •

ويرى أحمد أبو زيد أنه يجب دراسة أي نظام ضمن البناء الإجتماعي الذي ينتمي إليه حتى يمكن فهم وظيفته ثم تتم مقارنة هذا النظام في ضوء البناء الإجتماعي للمجتمع بالنظم المماثلة ذات الأبنية الإجتماعية المتشابهة ، قبل أن ننتقل إلى مقارنة النظم المتشابهة في المجتمعات التي تختلف في بنائها [٤]•

وإستخدام منهج المقارنة الثقافية والحضارية للدين يؤدي إلى إكتشاف أنماط إجتماعية مختلفة في عدد من الثقافات • وبه يتمكن الباحث من تفسير الإرتباط بين الأنماط هل يرجع إلى سمات معينة لثقافةواحدة أو يتعلق بكل الظروف الإجتماعية والثقافية •

وقد إستخدم ماكس فيبر المنهج المقارن عند إختبار نظريته عن العلاقة بين الأخلاق البروتستانتية والرأسمالية عن طريق دراسة الدين والإقتصاد في

كل من الهند والصين • كما إستخدمه تالمون في دراسته للعديد من الثقافات ليكشف أنماطا عالمية من الإرتباط بين المعتقدات الدينية حول (طهارة ونجاسة الأنثى) والتغير في أدوار النوع في المجتمع [٥].

وماك وروث وباجل ومارك Mac , Ruth , Pagel , Mark يرون أن الإتجاه الثقافي المقارن قائم على إختبار الإفتراضات عن العناصر الثقافية المتماثلة ، أو تكيف الممارسة الثقافية لبعض ملامح البيئة • ولأزمنة طويلة عرف أن الثقافات لا يمكن أن تكون مستقلة ، فقد تشترك في كثير من العناصر كنتيجة لإنتشار القرابة والأسلاف وبالتالي يصعب الحصول على عينة ممثلة للثقافات المستقلة •

ومع ذلك فإن أفضل طريقة لإختبار إفتراضات المماثلة في دراسات الإتجاه الثقافي المقارن قائمة على تعريف الأحداث المستقلة للتغير الثقافي وأن هذا المبدأ يكشف أن هناك في الحقيقة جماعات مغلقة مرتبطة بثقافات تلك التي يمكن أن تكون نواة لمعظم المعلومات التي تساعد على إختبار الإفتراضات الثقافية المقارنة [٦] •

وتعلق فولاند إيكارت على أن المنهج الثقافي المقارن لدى ماك وباجل يقوم على تعريف الأحداث المستقلة في التغير الثقافي وهذا يتطلب توضيح أكثر فيما يتعلق بجانبين :

الأول : التساؤل مما يتكون الحدث ، أو ماهي مكونات الحدث الذي يؤدي إلى التغير الثقافي •

الثاني : يجب أن يكون هناك تساؤلا عما إذا كان إستقلال التغيرات الثقافية حقيقي فيكون شرط أساسي للتعرف على المعاني عند تحليل الإتجاه الثقافي المقارن •

وتـرى فولاند إيكارت أن إفتراضاتهم بـأن نتـائج التحليل المقارن يمكن تعميمها فهـذا يتأكـد فقط فى حالة ما إذا كـانت العنـاصر المدروسة موجـودة ومتضمنة فى كل ثقافة وهـذا شيء مبــالغ فيـه [٧].

وإستجابة لهـذا التعليق فإن ماك ،روث ،باجل ومارك يرون أن المدخـل المقارن يمثل أهميـة عظمـى لدراسة للتغير فى السمات الثقافيـة ويمكـن أن يستخدم مع أى عينـة من القـوى البشرية من الثقافات سـواء تم إختيارهـا على المستوى الإقليمـى أو من العالم الواسع بالمعنى العلمـى [٨].

وتوماس Tohmas و Schweizer يحـدد أن نقطـة الضعف فى تحليـل مـاك وباجل فى أن المقارنة الإقليمية لا تصلـح للتطبيق العام، إذ أن كـل إقليم يكون محـددا فى إطار من المتغيرات وفى العلاقات بين المتغيرات التى تم عرضها ، وحينما نطبق الإختبـار الذى حصر فى الأقاليم المحـددة على الإفتراضات العالمية لا تكون كافيـة ، وهـذا يرجـع لإختلاف المضمـون الإقليمـى حتـى إذا كـانت الإفتراضـات المكانيــة المحـدودة مدروسـة ومبحـــوثة .

وعلى المستوى العملى ومستوى الممارسة ، من الصعب أن نتخيل دراسة للإتجاه الثقافى المقارن على مستوى العالم الكبير مستخدمين مدخل كل من ماك و باجل . ومثـل هـذه الدراسة قد تستخدم لتعميــق المادة التى تهتم بالتاريخ الثقافى العـرقى والخلفية الثقافيـــة للثقافات المــدروسة [٩] .

أنـــواع الدراسات المقارنة من حيث نـوع المجتمعات وترابطها التاريخى:

تنقســم إلــى قسمين :-

الأول : مقارنة المجتمعات المرتبطة تاريخيا والتي يوجد فيها عوامل مشتركة مثل اللغة والثقافة.

الثاني : مقارنة بين مجتمعات غير مرتبطة تاريخيا والتي يكون أوجه الشبه بينها في الشكل والبناء والعملية الثقافية أساسا لتعين الطراز والأنماط أو العلاقات بين مختلف جوانب الثقافة.

ويمكن تقسيم الدراسات المقارنة من حيث أهداف المقارنة نفسها إلى :

- مقارنة تاريخية : في حدود ثقافة واحدة أو بين مناطق أكبر.
- مقارنة طرزية أو نمطية : نقوم بالمقارنة للتعرف على الإختلاف والتباين بين الظواهر الثقافية.
- مقارنة إقليمية : وفيه يتم مقارنة الظواهر والعمليات الثقافية عن طريق تحليل البناء الإجتماعي والثقافات المختلفة التي تدرس.
- المقارنة عن طريق التقاطع الثقافي : Cross- Cultural وهي مقارنة بين ثقافات مركبة وتعتبر خطوة أولى في تنمية القضايا النظرية ومحاولة التعميم ويقوم على أساس بحث نسق ثقافي واحد ثم تكرار هذا البحث في المجتمعات المختلفة حتى نصل للتعميم وهذا يتطلب المسح الثقافي المقارن وإستخدام التحليل الإحصائي.

وساهم نادل Nadel في تطوير الدراسات المقارنة وصاغ نموذجه المنطقي للمقارنة بين ثقافتين، وهذا النموذج يعتمد على تحليل عناصر الثقافتين كل على حدة ومحاولة إكتشاف العنصر المغاير ثم إستنتاج أن الظاهرة ترجع إلى هذا العنصر.

ودراستنا الراهنة تلجأ للمنهج المقارن بجانب الدراسة الحقلية كما فعل براون حتى لا تصبح هذه الدراسة مجرد وصف وإن كانت تعتمد في بعض الأجزاء وبالأخص في الدراسة الحقلية على المنهج الإثنوجرافي في وصف الممارسات والطقوس الشعائرية المتعلقة بالإحتفال والمولد ·

وكما فعل ماك و روث و باجل في إختبار العناصر الثقافية المتماثلة ومحاولة إكتشافها في كل من الموالد الإسلامية والإحتفالات المسيحية ·

وأيضا نعتمد على ما نادى به نادل حينما صاغ نموذجه للمقارنة بين ثقافتين وإن كنا سنقوم بتطبيقه على عقيدتين هما المسيحية[١٠] والإسلام داخل نمط ثقافي واحد هو ثقافة للمجتمع المصرى ·

والهدف من المقارنة في هذه الدراسة أن نتبين أوجه الإختلاف وأوجه الإتفاق بين الأساليب التي يتم بها الإحتفال في هذه المناسبات الدينية الشعبية على نحو ما فعل فاروق أحمد مصطفى في دراسته للموالد ، أي نلجأ للمقارنة النمطية أو الطرزية ، أيضا هي مقارنة مرتبطة بالتاريخ والتي توجد فيها عوامل مشتركة مثل اللغة والثقافة الواحدة ·

إستخدامات المنهج التاريخي في دراسة الدين:

وقد تعرض له كل من بارسونز وبيلا عند دراستهم لتطور الدين ووضع بيلا خمس مراحل تطورية للدين ·

(١) مرحلة الدين البدائي :

تظهر عند القبائل البدائية لسكان استراليا الأصليين ولا يوجد إنفصال بين الأدوار الدينية والبناء الإجتماعي أو المنظمات في هذه المرحلة·

(٢) مرحلة الدين القـــديم:

وفيه نسق الرموز الدينية لا يستقل عن الرموز العلمية فهناك علاقة قوية بين الدين والسياسة فالدين يعمل على تقديس المحاكم •

(٣) مرحلة الدين التاريخي:

حيث يتم فيه الفصل بين المقدس والعلماني والدين في هذه المرحلة يعد مصدرا للتغير الإجتماعي والثقافي •

(٤) مرحلة الدين المعاصر المبكر :

تستمـــر ثنائيـــة المقدس والعلمـــاني •

(٥) مرحلـة الدين المعاصـر :

يمر الدين في هذه المرحلة بتحول نحـو الخصوصيـة وتظهـر أشكال جديدة من الدين تتميـز بإلغاء الرؤيـــة المزدوجـــة للعـــالم [١١].

وستعتمـد الدراسة على المنهـج المقـارن أيضـا وتأخـذ وجهـة نظـر شنايدر عنـد المقارنة بين الإحتفاليـــن •

وعند دراستنا للموالد اخذنا في الاعتبار وجهة نظر الناس انفسهم عن الشعائر التي يمارسونها ومعناها بالنسبة اليهم وامتثلنا لما يقوله Geertz انه يجب ربط الافعال بمعانيها من خلال الأنساق الرمزية التي ترمز اليها . وحاولنا معرفة التفسيرات والتعليلات التي قدمها افراد المجتمع لسلوكهم الشعائري مثل الذكر والمواكب المختلفة اي الممارسات الشعائرية حتى نفهم معناها .

ايضا حاولنا ان نعتمد على الاطار النظري الي جانب البحث العملي الحقلي ، فالفصل بينهما يؤدي كما يرى دافيد بيدني David Bidney الى تصورات وتخمينات غير محققة ، او الى تجمع غير مترابط من البيانـــات وبالأخص في الأنثروبولوجيا الثقافية [١٢] .

وبدأت الدراسة الحقلية بملاحظة وتسجيل أنماط السلوك والأفعال المشخصة والعيانية للكشف عن المعايير التى تدل عليها تلك الأنماط حيث ان شنايدر يرى ان المعايير تكون نسقا للرموز تتوسط بين الفعل وبين المستوى الرمزى للثقافة ومن نسق المعايير يتم تجريد رموز المستوى الثقافى.

فالانثوجرافى يلاحظ سلوك الأعضاء ويتعرف على الأنماط المتكررة من الأفعال ثم الاختلافات التى تطرأ على الفعل أثناء التكرار وبالتالى يتمكن من اجراء المقارنات بين فئات المجتمع وعن طريق التجريد يتم تحديدالاختلافات والفوارق والتنوعات فى المعايير بين فئات المجتمع [١٣].

وقد التزمت تلك الدراسة بآراء دافيد بيدنى فى الاعتماد على البحث النظرى الى جانب الميدانى ، وايضاً بآراء شنايدر فيما يجب أن يتبع عند اجراء المقارنات التى تتعلق بالمستوى الثقافى .

وهى ايضا محاولة لتسجيل الممارسات الدينية فى الاحتفالين بالاعتماد على المنهج الانثوجرافى . بمعنى آخر سنركز بصورة أساسية على نسقين متداخلين هما :-

نسق الشعائر والطقوس والممارسات ونسق التفاعل الاجتماعى.

واستعانت بالمنهج التاريخى فى التعرف على أصول وجذور الظاهرة واستندت الدراسة على نظرية الرواسب الثقافية كنظرية رئيسية . وعند التحليل لجأت الى البنائية الرمزية لفهم انماط السلوك فى المولد والمعانى الكامنة وراء هذا السلوك .

وكما قلنا هى محاولة لتسجيل بعض الممارسات الدينية اى السمات الثقافية للمظاهر المتعلقة بالاحتفال ، وتحليل للطقوس والشعائر فى

الاحتفالين والتعرف على التداخل والتشابك بين الأنساق الاجتماعية المختلفة .

ولن نهتم بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أفرزت وأنتجت الطرق الصوفيه على نحو مافعل شحاته صيام ، او نتطرق الى التصوف النظرى ، بل سنركز على صعيد الممارسة الفعلية للتصوف العملى ولن نبحث إبستمولوجية الطرق الصوفيه على صعيد الفكر ، بل نكتفى بدراسة مظاهر الممارسة الفعلية ولن نخوض فى النسق الاعتقادى او الفكرى فقد اسهبت الكثير من الكتابات في ذلك كما قال ادوارد وليم لين من قبل .

والهدف الأساسى هو الكشف عن التشابهات والاختلافات فى المظاهر الإحتفالية فيما بين مولد السيد احمد البدوى واحتفال مارى جرجس بميت دمسيس باستخدام المنهج المقارن .

نظـــرية الرواسب الثقافيـــة Survivals :

استخدم هذا المصطلح تايلور اذ ترى اميلى أوكسنبرج Rotry Amelie Oksenberg أن تايلور قد زودنا بدفاع بليغ عن الرواسب الثقافيـة [١٤] . ثم شاع إستخدامه فى الأنثروبولوجيا والاثنولوجيا ، ويقصد تايلور بالبقايا والرواسب تلك العمليات الذهنيـة والأفكار والعادات وأنماط السلوك والمعتقدات القديمـة التى كانت سائدة فى وقـت من الأوقات وما زال المجتمع يحافظ عليها ويتمسك بها على الرغم من تغير الظروف التى أوجـدتها ، أى أنها عناصر ثقافية تخلفت ولم تواكب التطـور ، وبعضها يستمرفي الوجود حتى لو فقدت منفعتها ، وكثير من العادات الراسخة المترسبة فى المجتمع الحديث لها أصول قديمـة ومعانى ثابتـة فى المجتمعات القديمة ، قد نسيت تلك المعانى تماما وظلت تمارس الأفعال

ذاتها كجزء من التراث الثقافي في المجتمع دون أن يفهم الناس معناها (١٥)
وقد يضفون عليها معاني أخرى تختلف عن معناها الأصلي ٠

وقد عرف هوبل Hobel الرواسب الثقافية بأنها عناصر أو مركب ثقافي تغيرت وظيفته الأصلية بمرور الزمن بحيث أصبح إستعماله مجرد إتفاق شكلي [١٦] .

وقد رفض مالينوفسكي فكرة الرواسب والمخلفات الثقافية، قائلا لا يمكن أن تستمر في الوجود أية ظواهر ثقافية أو إجتماعية بعد أن تختفي وظيفتها، ويؤكد أن المخلفات ليست في حقيقة الأمر إلا ظواهر وظيفية وأننا لن نلبث أن نفهم الدور الذي تلعبه في الحياة ٠ فكل ثقافة وكل عنصر يؤدي دورا معينا ويساعد بطريق أو بآخر على إشباع إحدى الرغبات البشرية الأساسية [١٧] .

والوظيفة في الإتجاه الأنثروبولوجي ما هي إلا إشباع للإحتياجات البشرية عن طريق النشاط الذي تتعاون فيه الكائنات البشرية ، بمعنى آخر الإنجازات والإختراعات الثقافية فهناك علاقة بين الإنجاز الثقافي والإحتياجات البشرية [١٨] .

والوظيفة الأساسية الإجتماعية للدين عند مالينوفسكي هي " خلق إتجاهات قيمية عقلية " والدين لا يستمد أساسه من المجتمع ولكن من الحاجة إلى مجتمع مستقر يشبع حاجات أفراده العاطفية ٠

وأيضا تركيز دوركايم على الشعائر والأفعال أكثر من المعتقدات وأشار إلى مجموعة العبادات التي تربط الأفراد ببعضهم أي تدعيم التضامن الإجتماعي ، وإن كان مالينوفسكي إهتم بشيئين هما : الموقف الذي إنبثقت منه الشعائر والوظيفة التي تؤديها الشعائر بمجرد إقامتها ٠

أما راد كليف براون فلا يهتم بالموقف الذى تولدت فيه الشعائر ولكن إهتمامه إنصب على كيف تـؤدى هذه الطقـوس وظائفها فى إثـارة وتهـدئة القلق بمجرد إقامتها [19].

والرواسب الثقافية هى المخلفات الثقافيـة " والتـى إستمرت حتـى العصـر الراهـن مـن ثقافات قديمـة ، وقـد طـرأ عليهـا بعـض التغيرات فـى الشـكل والمعنـى والوظيفـــة" [20].

وميـــز باريتـــو بـين الرواســب Residues والمشــتقات Derivatisny فالرواسب: ليست العواطف ولكنها حالات عقلية تتوسط العواطف والتعبيرات السلوكية ، وإن كانت متصلة بالغرائز ولكنها لا تشمل كافة الغرائز البشرية إذ يجب أن نخـرج عـن نطـاق الرواسـب كـل الرغبـات والأذواق والميـــول والإهتمامات الذاتيـة • فالراسب هـــو الدافع والمحرك وراء السلوك غير المنطقى ، وهى الجـــذور العميقـة الممتدة فـى ثنايا النفس البشريـة والتى تكمن وراء العـديد من أنماط السلوك والتعبيـرات •

وقـد صنف الرواسب بعضها فئات عامـة وبعضها الآخـر فئـات فرعيـــة وهـى :

(١) غـــريزة التكامل •

(٢) غـــريزة إستمرارالتجمعات•

(٣) الحاجـة إلى التعبير عن العواطف بسلوك خـــارجى •

(٤) راسب الألفـــة الإجتماعيـة

(٥) تكامل الفرد ومن يتبعـــونه •

(٦) راسب الجنس•

وإستخدم مصطلح غريزة التكامل للإشارة إلى الجوانب العميقة في الانسان مثل الدين والميتافيزيقا والعلوم التجريبية ، فهي مظاهر لحالة عقلية واحدة ألا وهي غريزة التكامل ، ولا يغفل أن غريزة التكامل هي مصدر السلوك غير المنطقي كالسحر ٠

والفئة الثانية من الرواسب وهي غريزة إستمرار التجمعات تعبر عن نزوع إنساني نحو المحافظة "على كافة " أشكال التكامل ومقاومة التغيير والمحافظة على مفاهيم معينة في التراث ، مثل إستمرار العلاقة بين الموتى والأحياء وتتضمن تلك الغريزة العادات والمعتقدات والتقاليد وتظهر بصفة خاصة بين الجماهير لأنها محكومة بهذا الراسب ٠

أما الفئة الثالثة متن الرواسب: فتشمل الحاجة إلى التعبير عن عواطف المرء بأفعالٍ خارجية ويأخذ هذا التعبير مظاهر مختلفة كالطقوس والممارسات السلوكية وينصب علم الإجتماع على دراسة هذه التعبيرات ٠

أما المشتقات : فهي العنصر الثاني من السلوك البشري وهو المشتقات أي المظاهر السلوكية المتغيرة أو التعبيرات اللفظية والصيغ والتركيبات التي يصوغها الناس في صورة منطقية وقالب متكامل يخفي ما يترسب في القاع من سلوك غير منطقي(٢١) ٠

ويستخدم قاموس علم الإجتماع الرواسب بمعان ثلاث رئيسية:-

الأول : يشير إلى إستمرار الحياة ٠

الثاني : له معنى بيولوجي إذ يرتبط ببقاء الأنواع بناء على مبدأ داروين " الإنتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح "٠

الثالث : إستمرار بعض العادات أو التقاليد كمخلفات ثقافية (٢٢)٠

وهناك العديد من الكتابات لا يخرج مضمونها عما ذكر ولذا سنكتفي بالآراء التي عرضت هنا.

التساؤلات:

طرحت الدراسة العديد من التساؤلات : -

- ماهي الجذور التاريخية للموالد ؟ ، وهل هي ظاهرة حديثة ام لا ؟

- هل الموالد تعد نوعا من الرواسب الثقافية البالية ؟

- هل هي حركة احياء للثقافة المصرية القديمة ؟

- هل هي حركة احيائية دينية ؟

- هل هي ظاهرة دينية لاهوتيه فقط ام هي ظاهرة ثقافية فولكلورية تحافظ على التراث القديم؟

- هل تؤدي وظائف وادواراً معينة (دينية ، اجتماعية ، اقتصادية ....) ؟

- هل تتوافق مع الدين الرسمي في كلا الاحتفالين ام تختلف ، وماهي أوجه الخلاف ، ولماذا ؟ بمعنى اخر ماهي نظرة رجال الدين الرسمي لهذه الاحتفالات ؟

- هل تتوافق مع الثقافة الكلية في المجتمع ، ام تختلف عنها ؟

- ماهي الفئات التي تقبل على تلك الاحتفالات ، هل هم طبقة معينة ام طبقات متنوعة ؟

- ماهي الاعتقادات التي تدور حول الاولياء والقديسين ، بمعنى اخر ماهي الأسباب التي تدفع الزوار لزيارتهم ؟

- هل هناك تشابه بين المولد الاسلامي والاحتفال المسيحي؟

وهي محاولة لتسجيل بعض مظاهر الحياة الدينية وإلقاء الضوء على الممارسات الثقافية والإجتماعية .

صعــوبات البحـــث :-

من الصعوبة طرح قضايا تتعلق بالدين ومعتقداتـه واخضاعهـا للدراسـة ، فالحقائق والافكار الدينية لاتقدم للباحثين بسهوله اذ يعتقد البعض انها أسرار خاصة لايجب افشاؤها وكشفها لدى الغرباء ، كما اختبرت الباحثة ذلك في دراستها السابقة عن البناء الاجتماعي للدير ومايقوله فاروق اسماعيل فـي دراسته للولنيه .

ولذا اكتفت الدراسة بالتعرف على المظاهر الاحتفاليـة التي تعبر عـن الظاهرة الدينية ، بمعنى آخر ممارسة الطقوس وآداء الشعائر .

الفصـــل الأول

الدراســـة النظـــريـــة

الفصـــل الأول
الدراســـة النظـــريـــة

بعض الدراسات السابقـة للمـــوالد:

هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضـوع الموالد سواء قديما أو حديثا سنذكر البعض منها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر:

- دراسة دكتوراه أجراها فــاروق أحمد مصطفى ، عـــن الموالـد فـى مصـــر عام ١٩٨٠ وظهرت في كتاب عام ١٩٨١ (٢٣).

- قدم عرفة عبدة على ، محاولة لمسح شامل لموالـد مصر المحـروسة وهـو رؤيـة شاملة للتعرف على عـالم متوهـج بألوان البيـارق والأعـلام والأضـواء والأساطير والمجاذيب والسلاطين والأقطاب ومجالس الإنشاد وموروث شـعبي هائل يلهب المشاعر وإنبهار لا ينقطع (٢٤).

دراســـة Nicolaas H. Biegman تناولت المــوالد في القاهـرة وكـل أنحاء جمهـورية مصـر ، وهـى تجميـع جوهـرى للإنطباعات ، ولا يدعـى أنها تعطى صورة كاملة للممارسات الدينيـة الشعبيـــة ، فهناك العديد من الكتب القيمـة عن الصـــوفية ، عاد إلى مصر عام ١٩٨٤ ومكث بهــا أربـع سـنوات ونصـف ، وينقسـم كتابـه إلى ثـلاثة اجـزاء رئيسـية " الموالـد ، والأوليـاء ، والصـــوفية " (٢٥).

ودراسة Arthur J. Arbery " مقدمـة لتاريخ الصـــوفية " تناول تاريخ الدراسات الصوفية في أوربا منذ نهاية القرن الثـامن عشر ، ويعـد أحـد رواد العالم الأكاديمى في تاريخ الإسلام والثقافة الإسـلامية فـى أوربا ، ورحل إلى

الشرق الأوسط بعد حصوله على الدكتوراه ، وقضى بعض الوقت فى الجامعة المصرية منذ عام ١٩٣٤ ثم عاد إلى الهند وأصبح محاضرا فى عام ١٩٤٢ فى جامعة كلكتا ٠ وتزيد مؤلفاته عن إثنى عشر كتابا عن الثقافة الإسلامية عامة وبالأخص الصوفية ٠

تناولت دراساته القانون الإسلامى للزواج والميراث ، تاريخ المؤسسات القانونية الإسلامية ، التطور التاريخى للقانون الإسلامى ، وكتب أيضا بعض الدراسات التاريخية والروايات عن الحياة الإسلامية ولكنه لم يذكر إلا كتابا صغيرا عن "أقوال الرسول" نشر أولا فى فبراير ١٩٠٥ (٣٦) .

- ومن أقدم الدراسات التى تناولت الإحتفالات الدراسة التى أجراها ادوارد وليم لين E. W. Lane فى كتابه " المصريون المحدثون " ويرى فيها إشتراك المسيحيين مع جيرانهم المسلمين فى الإحتفال بتلك المناسبات بإنارة واجهات منازلهم وحوانيتهم ٠

أما بداية الدراسات الأنثروبولوجية عن الموالد فقد قامت بها وينفرد بلاكمان Winifred Blackman حيث عاشت فى مصر ما يقرب من ست سنوات فى الوجه القبلى ، ونشرت كتابها عام ١٩٢٧ " بعض الإحتفالات السنوية Annual Vestivals Some " وترى أن الإحتفال بموالد القديسين لا يختلف فى الشكل عن الإحتفال بالأولياء (٣٧) .

- دراسة ماكفرسون J. W. Mcpherson وكتب مقدمته إيفانز بريتشارد وضم عددا من الموضوعات عن الموالد وأصولها وموضوعاتها بالإشارة إلى الشجرة الجينالوجية للأسرة التى إنحدر منها الرسول "صلعم" وأعد قوائم بأماكن إقامة الموالد وأوقاتها ومواسمها وحدد مواعيدها باليوم والأسبوع ، وتناول الجانب التطوعى والورع والتقوى والجانب المقدس

والسمات الفردية لأصحاب الموالد سواء كانت إسلامية أوقبطية كما ذكر أنها ١٣٦ مولدا قبطيا واسلاميا [(٢٨)] .

- دراسة شحاتة صيام " عن الدين الشعبى فى مصر نقد العقل المتحايل " صدرت عام ١٩٩٥ ".

- دراسة سعاد الحكيم " عودة الواصل ، دراسات حول الإنسان الصوفى " جمعت فى الكتاب أبحاثا ثلاثة تكشف عن هويات صوفية ، الصوفى فى مزاجه ، كيف يحب وكيف يكره ، كيف يصبح مصلحا ، وماذا يعتقد وإلى ماذا يسعى ، وتتعرض إلى جوانب الذات الصوفية كيف يتحرق شوقا إلى الخالق كحركة نحو الحق وحركة رجوع إلى الخلق ، وتظهر الصمت كنقطة الوصول وهذه النقطة ترسم نهاية التجربة الصوفية للسالك فتتحدد هوية السالك من حيث " حرب ، عاشق ، واقف ، عالم "[(٢٩)] .

وهناك العديد من الدراسات اكتفينا بما سبق .

الموالد ظاهرة ثقافية دينية

الثقافة عرفها تايلور بأنها ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والعرف والقانون وكل العادات التى يكتسبها الانسان ، وهى التراث الاجتماعى الذى يتراكم على مر العصور ويتمثل فى شكل تقاليد موروثة ، والتقاليد هى الإبداع او التراث الاجتماعى الشفاهى الذى يحفظ بالذاكرة والذى يستمر فى الوجود والذى يرثه أعضاء المجتمع ، وهى تتكون من سمات ثقافية لها قدرة على الانتقال عبر الزمن على حدتعبير لينتون ايضا تحتفظ بكيانها لعدة أجيال ومن هذه السمات الأفكار والعادات والتقاليد والعقائد والخرافات والأساطير [(٣٠)] .

والثقافة هى مخططات الحياة موجودة كموجهات ومحددات للسلوك وتشمل المعرفة وتتضمن أساليب السلوك أو هى تجريد للسلوك الفعلى ويجب أن نفرق بينها وبين الأفعال السلوكية ، فالأنثروبولوجى لايلاحظ الثقافة بل يلاحظ أفعال الناس وأقوالهم أى أنماط السلوك فالثقافة تتضح فى الأفعال والأشياء المادية كالسلال والأوانى الفخارية والأدوات واللوحات وغيرها ولكنها لاتتكون من تلك الأفعال والأشياء ذاتها [٣١] انما هى تجريد لها . ويعرف ريتشارد ماك كيون الثقافة بأنها مجموعة من العادات التى يعترف بقبولها فى جماعة بشرية معينة [٣٢] .

وهناك اتفاق على أن الثقافة تنقسم الى جزئين :-

١ - جزء يختص بالجوانب الروحية اللامادية ويشمل الأدب الشعبى بأنواعه والمعتقدات والعادات والتقاليد الشعبية بل والموسيقى والرقص وغيرها .

٢ - العناصر المادية الشعبية مثل الأزياء التى اغفلتها الكثير من الدراسات وركزت على الجانب الروحى فقط [٣٣] .

وعلماء الاتجاه الواقعى Realistic يعرفون الثقافة بأنها السلوك الإجتماعى للإنسان عضو المجتمع ، وهى العادات والتقاليد المكتسبة والنظم الإجتماعية . ولايمكن فصل الثقافة عن الحياة الواقعية للكائنات البشرية فى المجتمع ، فهى نموذج للحياة الاجتماعية وليس لها وجود مستقل عن الجماعات الفعلية التى تساهم فى تكوينها .

واختلف أصحاب الاتجاه الواقعى فيما بينهم عما اذا كانت الثقافة تعرف بمصطلحات اجتماعية ، أو أن الفروق الفردية تعتبر عنصر جوهرى فى أى ثقافة .

ويتمثل المدخل الواقعي في كتابات تايلور وبواز ومالينو فسكي والبعض يعرف الثقافة بمصطلحات علمية إجتماعية • ونجد بواز Boas وسابير Sapir وليند Lynd يؤكدون على دور الفرد في العملية الثقافية •

أما علماء الإتجاه المثالي Idealistic فيشيرون إلى أن الثقافة هي المجموع الكلي للنماذج والمثل والأفكار والتصورات في أذهان الأفراد أي كل ما يرتبط بالسلوك المجرد المثالي وليس الواقعي أو ما فوق العضوي ، ويعد التعريف الذي قدمه Osgood أفضل تمثيل لهذا النمط فهو يرى أن الثقافة تتكون من جميع المثل والنماذج والسلوك والأفكار الخاصة بالمجموع الكلي للكائنات البشرية التي ترتبط بفكر واحد •

وهذا الإتجاه تمثله كتابات Osgood ولينتون Linton وكلاكهون Kluchoon وجيلين Gillin •

والبعض الآخر يرى أنها مجموعة الأفكار المتناقلة وسلوكيات البشر ، أو هي تشير إلى المثل الفكرية من التراث ، فالثقافة تعني عملية التعلم ومحتوى التعليم وكل العالم الفكري والروحي ويمكن فهمها على أنها تراث إجتماعي ، أو مجموعة إنجازات تاريخية تنبع من الحياة الإجتماعية للبشرية والتي نقلت على شكل تقليد أو تراث تراكمي .

والواقعيون أمثال بواز ومالينوفسكي وديكسون Dixon يرون أن التراث يتكون من مظاهر مادية وأفكار ومثل مجردة ونظم وعادات •

أما المثاليين فيرون أن التراث هو كل ما يرتبط بما فوق العضوي من الأفكار وأن أي ثقافة هي تجريد لمركب تاريخي للتراث الفكري ، ويمثل هذا الإتجاه كروبر Kroeber وسوركن Sorokin وسبنجلر Spengler حيث يعتبرون أن الثقافة تراث فكري منقول لهم مستقلا عن الأفراد

والمجتمعات التى تمارسها • أو هى المثل والنظم المجردة التى خلقها الإنسان بنفسه وليس لها وجود بدونه ، أو هى أسلوب للحياة ، أو شىء يكتسبه الإنسان •

وتنقسم نظرية الثقافة المعاصرة إلى فريقين :

فريق يعرفها بأنها قدرات وإستعدادات فيزيقية وعقلية مكتسبة ، وفريق آخر يرى أنها أنواع مختلفة من الإنتاج المادى وغير المادى [٣٤]، وفسرت روث بندكت Ruth Benedict الثقافة على أساس فكرة النمط [٣٥] •

ومن هنا نستطيع القول أن الموالد ظاهرة ثقافية دينية لأنها عبارة عن عادات وتقاليد وهى جزء من تراث إجتماعى تراكمى موروث منقولة عن طريق التراث الشفاهى ، وهى تتضمن مجموعة من الأفكار والقواعد والقيم والمعايير وتتناقلها الأجيال جيل بعد جيل منذ عصور قديمة ، وإحتفظت بكيانها لعدة أجيال ، وما زالت مستمرة عبر العصور المختلفة ، وإن كانت مقبولة لدى هؤلاء الذين يمارسونها فقط فهى تعد ثقافة فرعية لجماعة فرعية التى هى جزء من البناء الإجتماعى للمجتمع المصرى الكبير والذى قد لا يرضى بعض أفراده عن إستمرار تلك الظاهرة ، كما أنها لاتعنيهم فى شىء •

وهذه الممارسات والطقوس مليئة بالرموز و لها معانى معينة فى أذهان من يمارسونها ومن يؤمنون بتلك الموالد• ونجد علماء الأنثروبولوجيا الغربيين المحدثين قدإتجهوا لدراسة الممارسات الكهنوتية والسحرية والعلاجية والعرافة وركزوا على الحقائق الإجتماعية والصور الرمزية المساعدة لها [٣٦] •

ولكل مجتمع مجموعة من الرمـوز لها دلالات معينـة ، إذ يستخـدم كافـة البشر الرمـوز (أى يضيفون معانى مختلفة على ظواهر مادية) فى كـل مجال من مجالات حياتهم اليوميـة تقريبا [٣٧] .

ويؤكد ليزلى وايـت أن السلوك البشرى بكافـة أنواعـه ينشأعن إستخدام الرموز ، فالرمز يحـول الطفل إلى كـائن بشرى ، والبشر يتعلمـون عن طريق ملاحظة وتقليد أفعال الآخـرين وأيضا عن طريـق الخبـرة التى تتراكم فى صـورة رمـوز ، واللغة أسلوب من أساليب التـرميز تمكن البشر من تلخيص أساليب السلوك التى تعلموها ونقلوها لكل جيل جـديد[٣٨] .

وقالت بيلا كولا Bella Colla أن الثقافـة تقوم على تعريف الرمز ، والرمز هـو القيمة الروحية للشىء [٣٩] .

والثقافـة مـن وجهـة نظر جيرتز Clibard Geertz هـى نسق المعـانى ومهمـة الأنثروبولوجى فهـم المعانى التـى تكمـن وراء الأفعـال الثقافيـة أو الأنماط الثقافيـة وهـو يؤكـد أن السلوك الإنسانى سلوكا رمزيا وله معنى لـدى الذين يشتركـون فيـه ، فالثقافـة لا تعـد القـوة التـى تسبب السلوك فحسب وإنما هـى السياق الـذى مـن خلالـه يمكـن فهـم السلـوك فالنظـرية الرمـزية تهـدف إلى فهـم وتفسـير الثقافـة [٤٠].

أيضا إسترشد كلـود ليفـى ستروس فـى دراسته للظـواهر الثقافيـة بمـا فيها الأنساق الرمزيـة بمنهج اللغويات البنائيـة لدوسوسير وكان يرى أنه عن طريق دراسـة أنساق الرمـوز يمكـن الوصـول إلى فهـم العقـل الإنسـانى ذاتـه ، وإهتمام ليفـى ستروس بدراسـة الفكـر الرمزى والأنساق الرمـزية يرجـع إلى

رغبته في الكشف عن اللاشعور عن طريق تحليل الأبنيــة التي يعكسها ذلك الفكر نفسه وعن طريق العلاقات القائمــة بين العناصـر التي تكـونها [٤١] .

وقد إهتم علماء الأنثروبولوجيا البريطانيـة مثل تـايلور بالجوانب الرمزيـة في الشعائر الدينية والممارسات السحرية ، وإرتبطت الرمـزية بالأكثـر بعلماء الأنثروبولوجيا الأمريكيـة وبالأخص David M. Scheider وكليفـورد دجيرتز Geertz واعتبر الاثنان أن الثقافة نسقا مـن المعـاني وأن العلاقـات الإجتماعية تعمل من خلال رمـوز ، وقد تأثر وا بكتابات روبـرت ردفيلـد ألـذى أشار إلى أن أنساق الرمـوز كالأساطير والرقص والدين تمثل الثقافــة فـي أبعادها الواقعيــة الشخصيـة والمثاليــة على السواء ٠

والرمـوز عند شنايدر هي الطريقة الى يتصور بها النـاس الأشياء في العـالم الـذي يعيشـون فيـه ، والرمـــوز تشـكل لديــه الأحـــداث والوقائـع الفيزيقيـة والسيكولوجية والإجتماعيـة والتي تساعد على فهم الواقــع ، فـالرمز إذن لـه وظيفة هي تفسير الواقع وليس فقط هـو الأفكار والمشاعر وغيرها من جوانـب المعنـــى ، بل ايضا الأفعال والعلاقات والخصائص والمعـــوقات ، أي الأشياء والموضوعات المشخصة عيانيا والتي تتضمـــن معنى٠أي أن كلمة رمــز مثـل كلمة ثقافة تشير إلىأشياء كثيرة ومتنوعة [٤٢] .

والبنائيـة أيضا تهتم بتحليل الثقافة بإعتبارها سلسلة مـن الأنساق الرمزيــة ، فالظواهر الإجتماعية والثقافيـة ليست مجـرد أحداث أو أشياء ماديـة وإنمـا بالأحرى مفعمـة بالمعاني، وهم يرون تعريف تلك الظواهر بالإشارة إلى شبكة العلاقات الداخلية والخارجيـــة وأن أي ثقافة تتألف من أنساق رمـزية وأي فعل أو سلوك أو ظاهرة أو حادثـة ذات معنى تدخل في(بناء) هـو الـذي

يعطيها معناهــا ، ولا يمكــن تعريفها إلا بالإشارة إلى موضعهــا فى بناء ذلك النســق [٤٣] .

وميلفورد سبيرو Melford Spiro يـرى أنـه يمكـن فهـم كثيرمـن مـن المعتقدات والممارسات والأساطيـر والشعائر المتضمنـة فى الأنساق الثقافيـة الرمـزية فى إطار فهمنا للأنثروبولوجيا البنائيـة الرمزية فهى تساعد فى توضيـح الجانب الخفى أو الكامن أو المستتر من الأنمــاط السلوكية الرمزية [٤٤] .

وهذا يعنى أن الإنسان هـو الذى يضفى الرموز والمعـانى على الأحداث والأشياء والمواقف وهـو الـذى ينقلها من جيل لآخــر ويمكن التوصل إلى تلك الرموز ودلالاتها من خلال إستعراض التراث الشعبى للمجتمـع موضـوع الدراسة ، ومن خـلال المأثـــورات الشعبيـة وخلاصـة القصـص والروايـات والأحاديث المتــــواترة التى قد تضم الأساطير وبعض الخرافات والحكـم والأمثال ٠

والموروثات الثقافيـة تتمثل فى الممارسات والعادات والأفكار التى تظل مستمرة بقـوة العادة ، وهى باقيــة كشواهد وأمثلة لثقافة إنبثقت عنها ثقافة أكثــر حداثـــة ، وتضـم الثقافــة الحضــرية Fossils والمخلفــات الثقافيـــة Cultural Ritices واستخدم مصطلح البقايا للدلالةعلى هذه الموروثات من العقائد والممارسات والمأثـورات الشعبيـة الشفـويـة ٠ والموروثات هى العناصر الثقافية ربما يكون لها وظيفة فى السياق الثقافى أكسبها صفــة البقاء والإستمــرار [٤٥] .

ويطلـق البعـض علـى تلـك العناصـر الثقافيـــة المتبقيـة لفـظ الرواســب والمخلفات الثقافيــة Cultural Survivals وهـى العـادات التـى يمارسـها المجتمـع دون أن يدرك سببا لوجـــودها [٤٦] .

وإهتـم علماء الأنثروبولوجيا والإجتماع والباحثين بدراسة الانسان والنظم الدينية سواء في الشعوب البدائية او المتحضرة في الماضي والحاضر .

وتطرح الظاهرة الدينية نفسها في المجتمع المصري في الآونة الأخيرة بإعتبارها نشاطا فكريا يظلل أركان الوجود ، وان كانت القواعد والتعاليم الأساسية للدين ثابتة ، اما الممارسات الإجتماعية للدين تتباين بتباين التفسير الخاص للدين ، وتتنوع الطقوس والممارسات بتنوع الزمان والمكان والأوضاع والنظم والظروف البيئية ووسائل المعيشة اى الآبنية الإجتماعية المختلفة التي تمارس فيها تلك الممارسات والشعائر الدينية .

مفهـــوم الديـن :-

اختلف العلماء في تعريف الدين ، ولكنهم لم يختلفوا في وجوده . لقد أجمعت الاراء على وجود قوة منفردة ، او قوى متعددة ، او قوة لها أشكال متعددة لها علاقات بالبشر تتمثل هذه العلاقات في مشاعر الخضوع والرهبة او الخوف ، في المناجاة والتخاطب بما يسميه البعض التضرع او الصلاة او الابتهال مع قيام بعض الممارسات والشعائر منها تقديم القرابين او الذبائح او اقامة الاعياد والمواسم .

ويرى جيمس فريزر أن الدين بدأ بظهور فكرة الالهة ، او ظهور فكرة أرواح الأفراد ، او أرواح الطبيعة ويعرف الدين بأنه التزلف والتقرب الى القوى العليا التي تفوق الانسان .

ورالف بيلز وهاري هويجر يقولان حينما يصعب تفسير الفشل في الحياة اليوميه يفسر على أنه نتيجة لقوى علوية وهذا هو الدين (٤٧) .

وقد أشارت ر. ماريت الى أن " الديـن فى كثير من الثقافات حركة أكثر منه فكر" اى أن الطقوس والعواطف تحتل المركز الأول فى الدين ثم يليها الإعتقاد ، واميل دوركايم يرى ان جوهر الديـن ينقسم الى مقدس وعلمانى وهـو عنـده نسـق موحـد مـن المعتقـدات والممارسـات المرتبطـة بأشـياء مقدسة(٤٨).

اهم النظريـات فى دراسـة الديـن :-

نظريـة المراحل :-

وهى أن البشرية مرت بعدد من المراحل و يرى أوجيست كونت أن الفكر الانسانى تطور من المرحلة الثيولوجية التى تفسر الاحداث بـالرجوع الى الأعمـال الخارقـة للطبيعة ، ثـم المرحلـة الميتافيزيقيـة اى الى القـوى غير المنظـورة أو العينيـة ثم المرحلـة الوضعيـة (٤٩) . ومـيز لويـس مورجـان بـين الوحشية والبربريـة والحضـارة الحديثة ، اما فريزر فيرى ان التطـور العقلـى انتقل من السحر ثم الدين الى العلم (٥٠) .

المدخل السيكولوجى : -

يرى فرويـد أن الممارسات الدينيـة هـى تعبير عـن قـوة سـيكولوجية غير واعية.

المبدأ الحيــوى أو الأنيميزم :-

اهتم كل من تايلور وسبنسر بتفسير نشأة الدين والتعريف البسيط للدين عند البدائى هو الاعتقاد فى وجود كائنات روحية وأن الصـورة النهائية بعد تعدد الالهه أخذت شكل الاله الواحد (٥١) .

والدين لايعدو أكثر من كونه ظاهرة أو فعل جماعي يرتبط بالقوة المطلقة (الاله) فهو يشتمل مجموعة من القيم والأحكام المرجعية والمعايير التى تحدد أنماط سلوك الفاعلين الإجتماعيين، أيضا يحدد ويرسم أنماط الشعائر والطقوس والممارسات التى تتم داخل إطار الواقع الإجتماعى ويقنن قواعد الشخصية .

خصائص المعتقدات الدينية :

هى التى يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي، وما فوق الطبيعى خبيئة فى صدور الناس، لا تلقن من الآخرين ولكنها تختمر فى صدور أصحابها وتتشكل بصورة يلعب فيها الخيال الفردى دوره ليعطيها طابعا خاصا، موجودة فى كل مكان سواء عند الريفيين أو الحضر، عند المثقفين أو غير المثقفين، لدى الطبقات الدنيا والشعبية، والطبقات العليا وحملة الثقافة الراقية، موجودة فى كافة الطبقات وعلى كافة المستويات بدرجات متفاوتة، وتتضمن أفكارا أساسية، والفكرة الأساسية فى رأى باستيان هى أن شكلا من أشكال الفكر شائع بين الناس ويمكن أن ينشأ آليا وبشكل مستقل عن أفكار أخرى مشابهة فى بيئات ثقافية أخرى وذلك بسبب الوحدة النفسية بين البشر [٥٢].

ويعد الشخص متمم ومتكامل مع الثقافة التى ينتمى إليها ومنظور القيم والمعتقدات التقليدية يعد أكثر دقة وكمالا فى وضع الإفتراضات بأن الشخص متمم ومتكامل مع الثقافة عن طريق معرفة نسق القيم والمعتقدات التى يعتنقها وهى التى تؤثر على تعريف الشخص للمشكلات التى يواجهها وأيضا كيفية إدراكه لها، وبالتالى يتمكن من التوصل إلى حلول لهذه

المشكلات عن طريق تتبع معانى القيم التقليدية المتتابعة والمتداخلة [٥٣] .

وتنقسم المعتقدات الدينية الى قسمين :

الأول رسمي : يستند إلى الأصول والنصوص والشرائع الدينية ويمارس من خلال المؤسسات التابعة للدولة ·

الثاني الدين غير الرسمى أو الدين الشعبى :

ويعبر عن التدرج والإختبار الروحى فى علاقة الله بالناس ، وكذلك تأويل الدين من خلال الرموز والصور بعيدا عن القواعد الأساسية ويسود بين البسطاء أو العوام أو الخاضعين [٥٤] .

التدين الشعبى :

و يرى الجوهرى أنه لا يهم إذا ما كانت المعتقدات نابعة من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف او الرؤى أو الأحلام أو أنها أصلا معتقدات دينية إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك ، ثم تحولت فى صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مر الأجيال فلم تعد بذلك معتقدات دينية رسمية بالمعنى الصحيح · وقد أطلق عليها رجال الدين الرسمى خرافات أو خزعبلات لأنها لا تتفق وتعاليم الدين الرسمى ولا تستحق من وجهة نظر رجال الدين" إسم معتقدات "[٥٥] .

والبعض يقصد به الكيفية التى تستجيب بها الذهنية الشعبية للدين وكما يتصور أصحاب الإتجاه الإسلامى أن تلك الشعبية مغرقة فى البدع ، وهناك الرؤية التقدمية التى ترى أن التدين الشعبى يغلب عليه طابع المحافظة بل التواكلية والقدرية والأسطورية ·

فالتدين الشعبى ليست ظاهرة قاصرة على مصر أو المجتمعات الشرقية فقط، وإنما توجد أيضا فى كل مجتمعات العالم الثالث ، وقد تصبح الممارسات الدينية والطقوسية أداة لدعم وتماسك الأوعية الإجتماعية الدنيا وغيرها من المؤسسات الإيديولوجية الرسمية [٥٦] .

خصائص التدين الشعبى :

يبتعد عن النص المكتوب ، وهو يضم الطبقات الشعبية التى تبتعد عن الإطار الرسمى وعن الحياة اليومية وتنغمس فى الحياة الروحية فى الشكل اللامرئى للطقوس والذى يدير ظهره للشكل الرسمى .

ويطلق التدين الشعبى الإسلامى على الطوائف الحرفية أو العوام وقد إستطاعت الطرق الصوفية أن تصبح الوعاء الذى يحتوى ويضم بين جنباتها أكثرية من الطبقات المتنوعة والطقوس والمعتقدات الشعبية الأسطورية حتى تلك التى كانت سائدة قبل ظهور الإسلام ، وايضا لم تجد غضاضة فى أن تجمع إحتفالاتها الفنون الجماعية التلقائية كالرقص والذكر والموسيقى ، وبدأت تظهر ممارسات دينية خاصة بكل مجتمع وظروفه وهو ما يسمى بالديانات الشعبية .

وإستطاعت الصوفية عن طريق تنظيمها الهرمى الخاص بكل طريقة إحتواء الشرائح الدنيا المصرية حيث كانت تعتبر " الفقر " شعار الصالحين .

أنمـــاط التدين الإسلامى فى مصـــر :

(١) التـدين النـصى المؤسسى الرسمـــى :

يرتبط بقوة بالنص الدينى وتحددالمؤسسات الرسمية للدولة وهى (الأزهر والمسـجد و وزارة الأوقـاف والمجلـس الأعلـى للشـئون الإسلاميـة) كيفيـة إستحضار النص وأساليب تأويله ٠

(٢) التـدين النصىالمؤسسى المعـارض أو الجهـادى :

يسميه البعض تـدين الفقهاء ، وهم أصحاب الإتجاه الإسلامـى " نمـوذج له الاخـوان المسلمين " ٠

(٣) التدين النصى الإنفصـالى الإستشهادى :

هـــو أعقد الأنـواع جميعا ويتضمن عاملين :

أ - الإستشهاد الفــــردى : أى المسلم الحـامل لقيـم المجتمـع الإسـلامى والقابع وحيدا ينتظر الشهادة ٠

ب- المضمـون الإنفصالى : وهو التدين الإستشهادى وفيه يعلن إنفصاله عن المجتمع الكافر ويهجــــره بعد أن يكفره مثل جماعة التكفيـر والهجـرة ٠

(٤) التـدين الشعبى الإسـلامى : كمـا ذكـــر ســـابقا [٥٧].

واعتبر شحاتة صيام الديـن الرسمـى ذهنيـة دينيـة مستقلة " أو العقل الفقهـى القــــديم " كما اعتبر الديـن الشعبى ذهنيـة دينية تابعـة " أو العقل الفقهـى الجــــديد [٥٨] .

الموالد ظاهرة إجتماعية

يقول ميلتون ينجر عن وظيفة الدين أنه يقدم للأفراد تفسيرا لمشاكلهم الحياتية ويمدهم باستراتيجية التغلب على القهر واليأس والشعور بالإحباط ، فهو يشمل الإعتقاد والممارسات التى تعد أنماطا إجتماعية ، فالدين ظاهرة إجتماعية (٥٩) والمعتقدات على حد تعبير بول رادين Paul Radin أشياء مختلفة لأناس مختلفين وهو يتكون من شقين الأول منها مشاعر محددة والثانى أفعال أى عادات وممارسات مرتبطة بهذه المشاعر (٦٠) .

سمات الدين:

(١) الدين سمة فردية وظاهرة جماعية :

فهو موضوع المعتقدات الشخصية البحتة ولذا فهو سمة فردية وأيضا ظاهرة جماعية ، فالفرد أو الشخص ينتمى إلى أحد الجماعات الدينية ، ولذا يرى رونالد جونستون Ronald L. Johousotone أن الدين له بعداه الفردى والجماعى ، وهو ظاهرة إجتماعية ، بمعنى أن هناك مجموعة من الأفراد تجمعهم رابطة معينة تفرض عليهم القيام بعدد من الممارسات المتماثلة .

ويرى دوركايم أنه ظاهرة إجتماعية موضوعية ، تتناقلها الأجيال من جيل إلى جيل ، وشيوع الممارسات والمعتقدات بين أفراد وجماعات متعددة و هى فى المجتمعات المغلقة شيئا إجباريا إلزاميا ، كما يتصف الدين بالعمومية .

(٢) يهتم بما هو مقدس وفائق للطبيعة .

(٣) يتضمن هيكل من المعتقدات •

(٤) يشمل مجموعة من الممارسات الطقسية [٦١] •

وقد طور جيرتز C. Geertz تعريفا رمزيا للدين بأنه ينطوى على رموز ، والرموز قوى جبارة فى السلوك الإنسانى وهى مركز الدين وتشتمل على أشياء مثل (الصليب – المصحف – نجمة دواود) وعلى سلوك (كالسجود والركوع واللمس والتقبيل) وعلى قصص أيضا ، واعتبر الرموز الدينية من أشكال المقدس، وميز بين الرمزية الكبرى وهى الرموز الدينية التى تنطوى على رموز تفسر النظرة الى الكون أو العالم ، أما الرمزية الصغرى فتتضمن رموزا غير دينية ، رموز للتفاعل اليومى والإتصال والتعاون [٦٢].

أوجه الشبه بين الظاهرة الإجتماعية والأساليب الشعبية :

هناك أوجه شبه بين خصائص ما يسميه سمنر بالأساليب الشعبية ، وخصائص علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا عن الظاهرة الإجتماعية وبالأخص دور كايم •

وينظر وليام جراهام سمنر للأساليب الشعبية على أنها قوة من قوى المجتمع أو كما يسميها قوة مجتمعية لها قوة " الإلزام " أو " الأمر المطلق " عمومية أو شمول هذه الأساليب ، تحمل جزاءات لمن يخرج عليها ، تتمتع بقوة الإستمرار وهى ذاتها الخصائص التى تتسم بها الظاهرة الإجتماعية •

وتتكون الأساليب الشعبية من عملية تكرار بعض الأفعال الصغيرة التى تصدر عن عدد كبير جدا من أفراد المجتمع فى مواقف معينة بالذات مما

يؤدى إلى ظهور العادة الفردية Habit عند الأفراد وظهور العادة الجمعية Custom عند الجماعات [٦٣] التى يتلقنها من الآخرين .

العادات والمعتقـــدات الشعبيــــة :

هناك عـدد من العلماء ركز إهتمامه على دراسة العادات والمعتقدات الشعبية فى مقدمتهم سيبوه وفارانياك وفان جنب [٦٤] .

العـــادة الشعبيـــــة :

يقصد بها السلوك المكتسب الذى يشترك فيه أفرادشعب معيـــن [٦٥] .

والعادات هى أساليب الشعب وعاداته بمعنى القواعد المستترة للسلوك التى يؤدى خرقها إلى الصدام ، فهى قوى أساسية داخل المجتمع كما يقول سمنر أول من قدم هذا المفهوم عام ١٩٠٦ ، وهـى تنمـو لاشعوريا وتتقبلها الجماعة لاشعوريا . ويعرف مالينوفسكى العادة بأنها أسلوب مقنن من أساليب السلوك ، ويستخدم سابير كلمة عادة للدلالة على مجموع الأنماط السلوكية التى يحملها التراث وتعيش فى الجماعـة [٦٦] .

يتضح من ذلك أن الموالد تعد ظاهرة إجتماعية تتميز بالعمومية ، ويشترك فيها عدد كبير من الأفراد والجماعات لها خارجيتها وهى شيئية ، إلزامية وقهرية لمن يؤمنون بها ، تناقلتها الأجيال كما يقول دور كايم .

المـــوالد ظاهـــرة فولكلـوريـــة

تعـريف الفولكلـــور :

اختلفت الآراء حول معنى الكلمـــة ، والفكـرة الشائعة هى أن الفولكلـور يعنـى المـأثورات الشعبيـة أو هـو التراث ، انـه شىء إنتقل مـن شـخص إلى آخروحفظ إما بالذاكرة أو الممارسة أكثر من حفظـه بالتسجيل والتـدوين ، ويشمل الرقص والأغانى والحكايات وقصص الخـوارق والمعتقدات الخرافيـة وأقوال الناس ، والعادات والممارسات الزراعية المأثورة والممارسات المنزليـة وأدوات البيت والظـواهر التقليديـة للنظام الإجتمـــــاعى ٠

ويـــرى بوتر Ch. F. Potter أن الفولكلور هـو الرواسب العلميـة الثقافيـة المتأخـرة للتجـربة الإنسانية والتـى تكونـت علـى مـدى العصـور ،وبـاليس Ballys وآرثر تايلـور A. Tylor يريان أن الفولكلور هـو الجـانب المأثـور من الثقافـة الشعبية ٠ ويرى البعض أنـه يشمل الفنـون والحـرف ويرى البعـض الآخـر أنـه ينحصـر فـى الحكايات الشعبيـة ومنهم مـن يقصـره علـى الأدب الشعبى والأقـوال الشفهيـــة ٠

ومن المأثورات الشعبيـة ، الأسطورة والملحمـة والحكايات الشعبية والرقى والتعاويـذ ، الأغـانى الشعبيـة ، المثل السائـر ، الأدب الدينـى الشعبى ، السير الشعبيـة ، النـوادر والأشعار البدوية ، والنداءات التى ينادى بها الباعـــة وهـم يروجـون سلعهم (٦٧) ٠

ويـرى Popple أن علمـاء الفولكلـور فـى العصر الراهـن قـد إنجذبـوا إلى دراسة المجتمع الحديث ، ووجدوا أن الأساطير الفولكلورية القائمـة اليـوم ، هى هى كما كانت فى الماضى ، وأنها إحتفظت إلى حد كبير بنفس شكلها ، وأوصافها وتخـدم العـديد من نفس الوظـائف ٠ وأن الكثيـر عـن الخـوارق تتداول شيوعا ، وقد تناول عـدداً من أعظـم الخـوارق والأسـاطير الأكثـر إنتشارا وكيف أن الأساطير المعاصـرة قد تشارك فى كيفيـة تعـلم العمل الإجتمـاعى (٦٨) .

ويرى فـوزى العنتيل أن الفولكلـور هـو دراسة مخلفات الماضى الذى لم يدون ، والمقصود بـه المأثورات والمعتقدات الشعبيـة ، ويتكـون المصطلح من مقطعين Folk بمعنى عامة النـاس أو شـعبى، Lore بمعنـى حكمـة أو معرفة ، أى حكمـة الشعب (٦٩) .

وترى علياء شكرى أن الفولكلـور صـدى للمـاضى - وفـى نفس الوقـت - صـوت الحاضـر المـدوى وتعـد بقايـا الثقافـات القديمـة بأبنيتهـا الإجتماعيـة والإقتصاديـة المبكـرة جـزء مـن مضمـون الفولكلـور وشكله ، وحتـى الحـرب العالمية الأولى كان مصطلح الفولكلور هـو مصطلح التقاليد الشعبية (٧٠) .

وقد اعتادت الانثروبولوجيا النظر الى الفولكلور لا بأعتباره علما مستقلا بل على انه مجرد فنون كلامية او فنون قول او أداب شفوية او حكايات واساطير شفوية .

وعلى الرغم مـن ان دراسـات تـايلور " للثقافـة البدائيـة " و جيمس فريزر " الغصن الذهبى " وروبرتسون سميـث عـن " الاديـان السماوية " تعد دراسـات فـى الانثروبولوجيـا الثقافيـة وهـى نفس الموضوعـات التـى يدرسها الفولكلـور ومع ذلك لم يرد فى كتاباتهم مصطلح الفولكلور .

وقد تم التوصل الى أن هناك اساسا أسطوريا وفولكلوريا وعقائديا ولاهوتيا مشتركا لأغلب الشعوب العربية ، بل والسامية منذ أكثر من الفى عام ق.م سواء فيما بين النهرين او فى الجزيرة العربية والشام ولبنان وفلسطين، فمنابع الميثولوجيا العربية تضرب بجذورها على مدى ستة آلاف عام اى منذ السومريين غير الساميين [٧١] .

وهنا تجدر بنا الاشارة الى تعريف بعض مكونات الفولكلور .

الاسطـــــــورة : MYTH

اشتقت من اليونانية Mythos والتى تعنى مجرد الكلام والبيان عند هوميروس منشد الالياذة والأوديسه، وهى تشير الى محاولة الانسان لتفسير أحداث الكون وظواهره . وكل الثقافات تشارك فى خوفها من المجهول ولجأت الى الخيال فتولدت الأسطورة وعادة ماتنتقل شفاهة من جيل والى جيل عن طريق التلقين ويقول ايفانز بريتشارد Evans Prichard لكى نفهم الدين البدائى لابد ان نبحث فى شعائره ، فهناك صلة وثيقة بين الشعائر Rites وبين الأساطير ، اذ تفسر الأساطير هذه الشعائر وتشرحها ويرى روبرتسون سميث Robertson Smith ان ثمة ارتباط وثيق [٧٢] بين الأساطير والمقدس. اى ان هناك ارتباط وثيق بين الأساطير والممارسات الدينية . والأسطورة بمعناها المحدد عند نبيلة ابراهيم هى وصف للطقوس الدينية او الحكاية التى ترتبط بالألهة او هى الكلمة المنطوقة ، اوهى وسيلة الانسان للتعبير عن تجربته باضفاء طابع فكرى لها . او هى عملية اخراج لدوافع داخلية فى شكل موضوعى والغرض حماية الانسان من دوافع الخوف والقلق الداخلى . وقد تتطور الأسطورة وتتخذ شكل حكاية خرافية أو شعبية .

أنــواع الأساطيــر :-

١- الاسطورة التعليلية: وهى وليد تأمل فى ظاهرة غريبة تحتاج الى تفسير وتعليل.

٢- اسطورة حضارية: تكشف صراع الانسان مع الحياه والوصول لمرحلة الحضارة.

٣- اسطورة رمزية : مزيد من التحديد للمفهومات الكونية واضفاء الرمزية عليها .

٤- اسطورة البطل المؤلة: الذى يمتلك قوة غير عادية مثل ملحمة جلجامش [٧٣].

اعتبرها البعض تنشأ من حادثة او احداث تاريخية ثم تحولت فى مخيلة الانسان الى احداث خارقة للمألوف وربطت بالدين ، ومن ثم خلع ابطالها رداءهم البشرى وباتوا الهة .

اما رندل كلارك فعالج الأساطير المصرية التى نقشت على جدران الأهرامات ودونت على التوابيت واوراق البردى والمقابر على أنها لغة وليست رواية لأحداث أو ليست رواية خرافية .

والأسطورة او الخرافة فى اللغة العربية هى الحديث الباطل الذى لاأصل له [٧٤].

الملحمـــة:-

طابع البطولة هو العنصر الأساسى المميز للملاحم رغم فوارق الزمان والمكان وفى الغالب تعبر عن عن آمال الشعوب ، وهى مزيج من التاريخ مغلفة بالخيال .

والرأى السائد انها تشير الى القصيدة الطويلة التى تسجل الأعمال البطولية الخارقة الصادرة عن أحد الأبطال الحقيقين او الأسطوريين وتمتزج فيها أفعال البشر وتصرفات بعض الكائنات الإعجازية الخفية كالالهة والشياطين والوحوش المخيفة .

وفى بعض الكتابات الحديثة أطلقت كلمة ملحمة على بعض الأعمال الروائية الكبرى او الأفلام السينمائية بل امتدت الى الشعر الملحمى بل وايضا المسرح الملحمى (٧٥) .

المثل الشعبـى:-

يرى آرثر تايلور ان المثل جملة مصقولة محكمة البناء وتشيع فى مأثورات الناس بأعتبارها قولا حكيما ، وانه يشير عادة الى وجهة الحدث او يلقى حكما على موقف ما وهو أسلوب تعليمى ذائع بالطريقة التقليدية .

ويرى سوكولوف ان المثل جملة قصيرة صورها شائعة تجرى سهلة فى لغة كل يوم ، اسلوبها مجازى ، وتسود مقاطعها الموسيقى اللفظية .

فهى عبارات متداولة يغلب عليها الطابع التعليمى فى شكل فنى (٧٦).

الحكايات الخرافيـة :-

مجرد خبر أو مجموعة أخبار تتصل بتجارب روحية ونفسية عن طريق الرواية الشفوية وكثيرا ما ترتبط بالأسطورة والبطولات . ويرى فون ديرلاين أنها أخبار مفردة نبعت من تصورات ومعتقدات الشعوب البدائية ثم تطورت على يد الراوى وأرجع أصولها الى الروحانية والطوطمية . وهى مليئة بالرموز وتعد صدى لتجارب اللاشعور وان كانت تستمد حوادثها من الخيال وليس من الواقع (٧٧) .

الحكايــة الشعبيــة :-

تعرفها المعاجم الألمانية بأنها الخبر الذى يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لأخر ، او هى قضية ينسجها الخيال الشعبى حول حدث مهم وشخوص ومواقع تاريخية ويستمتع بروايتها شفويا على مدى اجيال [٧٨] .

اما بعض علماء الأنثروبولوجيا والفولكلور يرون أن الحكايات الشعبية يمكن أن تضم قصص الخوارق Legends والاساطير Myths ، ويستخدم البعض مصطلح الأساطير للدلالة عليهما معا الا أنه يجب أن نفرق بينهما فقصص الخوارق Legends تتناول أحداث خارقة للعادة ، بينما الأسطورة Myth ترتبط بالشعائر والمعتقدات الدينية كما استخدمها مالينوفسكى [٧٩] .

ويؤكد هردر علـى أهمية الحكاية الشعبية والأساطير باعتبارها بقايا للمعتقدات القديمة ، فالحكاية الشعبية ليست ثرثرة عجائز بل هى نتاج للشعب وقواه الشاعرية المبدعة .

والحكايات الشعبية بأسرها الخرافية والأساطير بكل تأكيد بقايا معتقدات شعبية فهى بقايا تأملات الشعب التى تعبر عن روح الشعب الذى هو النبع الوحيد الذى يمكن أن تنهل منه كل ألوان الثقافة [٨٠] .

عناصر الظاهـرة الفولكلوريــة:

تستلزم وجـود جماعـة أو جماعـات شعبيـة ونجـد فـى الموالـد إهتمـام الجماعات بها حيث تحرص على حضور الموالد .

تعتمد على مجموعة من قواعد السلوك التى تحددها العادات والتقاليد السائدة فى الجماعة الشعبية والمرتبطة بمعتقد شعبى يغذيها ويعمل على

ترسيخها وهو الإعتقاد فى الولى أو القديس بالنسبة للموالد . وهذه الجماعات لها ثقافتها الخاصة وتشترك فى رصيد أساسى من التراث الشعبى وتتميز بنمط ثقافى معين يدور حول القصص والأساطير الإعجازية التى تتم عن طريق الولى أو القديس ، أى تتأثر بتراث المجتمع وتتمسك بالقديم وعلاقات الولاء والتجانس الفكرى ، فهناك وحدة فى الأفكار المتعلقة بالقديس والولى نابعة من المعتقد الشعبى ، والظاهرة الفولكلورية تعتبر أساليب للتفكير وقوالب للعمل ولها شيئيتها وخارجيتها وموضوعيتها وعموميتها مثل الظواهر الإجتماعة الأخرى ولها صفة الإلزام .

فكل ممارسة تعتبر تجسيد لمعتقد يكمن وراءها ، وقد اعتبر ريتشارد دورسون أن العادة ما هى إلا تعبير عن معتقد معين .

والجماعة الشعبية Falk لها نمط خاص من الثقافة ، وهى تعنى أسلوب مشترك فى الحياة سواء أكانوا فى المدينة أو القرية أو المجتمعات الصغيرة ، وإستمرارية الموالد ترجع إلى أنها ظاهرة فولكلورية ترتكز على جماعات شعبية لها تكوينها المستمر وتعتمد على العادات والتقاليد القائمة على معتقد شعبى هو الإحتفال بتقديس الولى أو القديس وعدم إقامة الإحتفال أو حضوره يعنى قطع الصلة بين الولى وأتباعه وبالتالى حرمانهم من كراماته و بركاته [٨١] . والموالد اذن ظاهرة فولكلورية وجزء من التراث الشعبى .

مفهوم التراث :

هو تارة " الماضى " بكل بساطة ، وتارة العقيدة الدينية نفسها ، وتارة الإسلام برمته عقيدته وحضارته وتارة " التاريخ بأبعاده ووجوهه" إذ لا يستخدم مفهوم التراث إستخداما واحدا أو بالمعنى نفسه دوما وإنما يستخدم بمعان متعددة ومختلفة .

طبيعــة التـــــراث :

هـــو كل ما ورثناه تاريخيا ، مـن الآبـاء والأجـداد و الأصـول أو هـو الأمـة التى نحن إمتداد لها ، وهو فى كل الأحوال عمل أو إنجـاز إنسانى خالص ، فالإنسان هـو الصانع وهو المورث للآتى من بعـده ويشتمل على العلوم سـواء دينيـة أو طبيعية والمصنوعات والحرف والقيـم العامة والعادات الخاصـة ونظم المعيشة وكل ما يخترعه أو يبتدعه الإنسان.

أهميـــة التـــراث:

ينطـوى على ماضى مقدس ولا يعنى الثـراء للمعرفـة فحسب وإنما أيضا السلطة والقهـر والقسـر [٨٢] .

وتعرض بدوى للتراث العربى الحديث من منتصف القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ، وكيف ان نهضة التعليم العلمانى الدنيوى بكل جوانبه من رسم وجرائد خلق جمهورا "جديدا" من القـراء وأفكاراً غريبة وأشكال تراثية مثل القصة القصيرة والدراما التى أصبحت تلعب دورا كبيرا فى التأثير ، وكيـف أن الشعوب العربية نسـاء ورجال يحاولون التكيف مـع الأنمـاط الثقافية الغربيـة بنفس القدر مع التراث العـربى ليواجهوا متطلبات العالم الحـــديث [٨٣].

وعلى الرغم من غزو الأفكار الثقافية الغربية للثقافة المصرية ومع ذلك فهناك تـوازن بين ما هو قديم وما هـو مستحدث ، يتضح هـذا مـن الدراسـة التـى أجراها Path Breaking لثقافة الشعب المصـرى والتى أمدتنا بوجهات نظـر حيوية وحديثة وكشفت عن النضال الطويـل لمصـر الحديثـة فى محاولتها لتعريف ذاليتها .

وقـد فحص Arbrust, Walter وسـائل الإعــلام المصـــرى مثـل التليفزيـون والموسيقى المسجلة والسينما وما يواجهه المصـرى من ضغـوط

موضحا أن هناك توازنا بين المحافظين والمتمسكين بكل ما هو من التراث القديم وبن الأخلاق والقيم المستحدثـــة [٨٤] .

وهناك دراسة أخرى أجراها كل من بريستيانى Peristiany وبيت ريفرز Pitt Rivers وجوليان Julian وجمعوا العديد من المقالات عن القوة وعلاقتها بالمقدس ، وهذه المقالات نصفها تاريخى يتناول ما ورد فى العصور القديمة والنصف الآخر معاصر ٠٠ وهى مجموعة مقالات عن المظاهر المختلفة للشرف والنعمة و النقاوة و الكهانة والعرافة و القضاء والقدر والنصيب الشخصى أى عالم المقدس وعالم الغيبيات وعلاقتهما بالقوة وكيف أ ن الشعوب تواجه مشاكل القوة والسلطة الرسمية بالرجوع إلى المقدسات والغيبيات وعالم ما بعد الطبيعة أى عالم الخـوارق [٨٥] .

الأصــول التاريخيــة للموالد فى مصــر :

يبــدو أن الفاطميين هـم أول من إبتـدع فكرة الإحتفال بالموالد وبالأخص المولد النبوى ، واعتبر العيد فى أيامهم عيدا رسميا قوميا شعبيا إسلاميا ٠ كما إحتفلوا بالمواسم والأعياد الأخرى ٠

والاحتفالات بالأعياد والمواسم ليست بدعة إبتدعها الفاطميون دون غيرهم ولكنها قديمة قدم التاريخ نفسه ٠إذ تكشف الآثار القديمة عن إحتفالات وطقوس مثل هـذه المواسم والأعياد ، ويحفل التاريخ المصرى بذخيرة حيةلمثل هذه الأعياد أيضا ، وتصف جدران المعابد والمقابر وأوراق البردى هذه الطقوس ٠

وقد أحيا الفاطميون هذه الأعياد وإن إتسمت فى عهدهم بمظاهر البذخ والترف والأجواء البراقة وتماثيل الحلوى المصنوعة من السكر ، وكان إبن طولون يقيم سماطا عظيما يهرع إليـه أبناء المجتمع المصرى لحضور تلك

الولائم • ويذكر المقريزى " فى الخطط " أن السماط كان يضم قصورا وتماثيلا من السكر ، بل يوجد شجرة كل غصونها وأوراقها وثمارها من السكر •

وقد تأسست الدولة الفاطمية فى المغرب وامتد سلطانهم على كثير من أمصار الدولة العباسية فاستولوا على مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها ، ورأسهم عبيدالله المهدى إذ ينتسبون إليه ، ولذا يقال لهم (العبيديون) تولى خلافتهم فى عام ٢٩٦هـ / ٩٠٨ م ، ودخلوا مصر على يد المنصور إسماعيل وولده المعز لدين الله الفاطمى عام ٣٦٢هـ / ٩٧٣ م وتوفى بها عام ٣٦٥هـ / ٩٧٥ م •

وقد فتحت مصر على يد القائد جوهر عام ٩٦٩م،فاختط القاهرة وشيد الأزهر ، وجاء المعز من المغرب إلى القاهرة وجعلها مقرا لحكمه ، وفكر فى كيفية إستمالة الناس وقلوبهم وعوطفهم نحو الحاكم ، ولمس بنظرته الثاقبة ميل الجمهور المصرى إلى حب آل البيت ، فقرر إقامة أعياد كثيرة لمناسبات متعددة أهمها المولد النبوى ، حيث يسبغ فيه الخيرات ويبذل العطاء والمنح للشعب رجالا ونساء وأطفالا ، وسار أولاد المعز من بعده على هذا المنوال • وكانت تلك الإحتفالات تزخر بألوان الطعام الفاخر ومظاهر البهجة •

ولم يكتف بالإحتفال بالمناسبات الاسلامية كعيد النحر (عيد الأضحى) وعيد الغدير وعيد الفطر والمولد النبوى بل احتفل بالأعياد المسيحية كيوم النيروز وهو عيد السنة القبطية وعيد الغطاس وعيد الميلاد وغيرذلك [٨٦] .
وهناك من يذكر أن ظهور الموالد فى مصر يرجع الى عصر الإخشيد .

وهناك من يذكر أن ظهور الموالد في مصر يرجع الى عصر الاخشيد ، حيث تقام وتمد الأسمطه (*) في الإحتفالات ويخرج الناس الى المتنزهات وهم يرتدون ملابسهم الجديدة .

وللأسمطة وظائف تختلف باختلاف العصر ، ففي العصر الاخشيدي هدفها تقديم الطعام ، اما في العصر الفاطمي أصبحت وظيفتها نشر الدعوة الفاطمية أي هدف سياسي والوصول الى قلوب الناس وكسب محبتهم وولائهم ونشر المذهب الفاطمي كما ذكر المسعودي في مروج الذهب والمقريزي في الخطط .

وفي العصر الاسلامي اقتصرت الاحتفالات على المناسبات الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى ، ثم تغيرت في العصر الفاطمي الذى اشتهر بالمبالغة في احياء المواسم والأعياد بل أدخل أعيادا جديدة بالاضافة الى الأعياد التى كانت موجودة [٨٧]. اى ان مصر توارثت عبر عصور تاريخية مختلفة ومتصلة الاحتفال بالأعياد الدينية والقومية من خلال طقوس شعبية ، وقد عرفت عدداً كبيراً من الأعياد والطقوس [٨٨].

وفي مصر يستخدم التقويم الهجرى لتحديد مواقيت الأعياد والطقوس الدينية الاسلامية وبدء الصيام والحج ، والتقويم الهجرى جاء به العرب المسلمون الى مصر وهو تقويم قمرى يبدأ من عام ٦٢٢ الميلادى وهو العام الذى هاجر فيه الرسول من مكة الى المدينة ، اما الفلاح المصرى فتمضى حياته على أساس التقويم الشمسي والقبطي [٨٩] .

(*)السماط : هو الساط الذى يمد أو يفرش على الأرض وتوضع فوقه الأطعمة والحلوى

موالـــد اســلامية ترتبط بالشهور القبطيــة :-

وجد ماكفرسون أن عدد من الموالد الاسلامية فى مصر يرتبط بالشهور القبطية فعلى سبيل المثال يحتفل بموالد السيد احمد البدوى وابراهيم الدسوقى فى شهر "بابه" وأن الاحتفال بمولد اسماعيل الامبابى يتم فى اليوم السادس عشر من الشهر العاشر القبطى " شهر بؤونه من كل عام [٩٠] .

واحتفالات المسيحيين بموالدهم تجذب الأنظار حيث تتم بعض تلك الاحتفالات فى الأديرة بعيدا عن المدن والقرى وليس هناك فصل بين ماهو دنيوى وبين العناصر الدينية فى الموالد اذ يختلط الجانبان معا [٩١] .

تعريـــف المولد:-

يعرف ماكفرسون المولدبأنه " عيد شعبى محلى ودينى للقديس او للولى الذى يتمتع بسمعة حسنه ومقام رفيع" . وكلمة "مولد " بمعنى " يوم ميلاد " تتناسب وتنطبق بالأكثر للتعبير عن الاحتفالات الاسلامية أكثر من الاحتفالات المسيحية فهى فى الاسلام تطلق للتعبير عن يوم ميلاد الشيخ الذى يحتفل به ويعتقد فيه ، بينما فى المسيحية تعبر عن اليوم المفترض فيه الوفاه لتخليد ذكراه ، وتعبير عن سيرته الحسنة أكثر من كونها تعبير عن يوم ميلاده وان كانت أحيانا تطلق على يوم الميلاد [٩٢] .

والموالد ظاهرة عالمية لها وجودها فى كثير من انحاء العالم وليست قاصرة على مصر وحدها .

العلاقـة بين الصوفية والأولياء والموالد :-

يمكن القول أنه لايوجد مولد بدون ولى ولايوجد حتى أولياء بدون موالد ولايستطيع شخص أن يرقى الى مرتبة"ولى" الابمساعدة الأولياء، ومن المستحيل أن يصبح صوفيا بدون أن يفعل مايفعله الأولياء وهذا ما ارتآه نيقولاس بيجمان.

والصوفية كظاهرة اسلامية تمتزج بالموالد المزدحمة، وهى غائبة كلية فى الاحتفالات المسيحية. وعدد كبير من الأولياء لديهم خلفية صوفية ولكن ليس للكل ، فهناك العديد من الأولياء عاشوا فى وقت ما ولم تكن الصوفيه وجدت بعد ، وآخرون اكتسبوا صفة الأولياء بدون أن يخطو أحد منهم فى طريق التصوف.(٩٣)

و يؤكد الجوهرى أن كثير من الأولياء نالوا شهرتهم وعرفهم الأتباع من خلال تشكيلات الطرق الصوفيه ، وهناك طرق صوفيه تدافع وتروج لتعاليم ومبادىء بعض الأولياء وتقيم لهم احتفالات سنوية ، بل أن كثيراً من الطرق الصوفيه الشهيرة تحمل اسم احد الأولياء كالقادرية والأحمدية والشاذلية ......الخ .

العلاقـة بين الأنبياء والأوليـاء :-

وهناك أولياء يستمدون مكانتهم من علاقتهم بعض الأنبياء وهم نسلهم او صحابتهم ورفاقهم واتباعهم . وهناك بعض الشخصيات تحظى بالتقديس والتكريم تقع على درجة بين الأنبياء والأولياء كالخضر فى مصر والياس فى فلسطين .

تعـريف الولـي:-

واشار دليل العمل الميداني الى أن كلمـة " ولي " تـدل عـل فئـة مـن الشخصيات الدينية التـي تحظى بتكريم خاص من جانب النـاس (مسـلمين ومسيحيين) ولكنها لاتنتمي الى فئة الأنبيـاء او غيرهـا من الشخصيات الدينيـة المقدسة [٩٤] .

والجوهري في موضع أخر يعرف الأولياء بأنهم هم بعض الصـالحين الذيـن يتميزون بـالتقوى عـادة ويظهـرون بعض الكرامـات ممـا يـدل على جدارتهـم بلقب الولاية.

وهناك أولياء من النساء وعلى رأسهم بنات الرسول وسيدات البيت النبـوي ومن أمثلتهم السيدة زينب والسيدة نفيسةوالسيدة سكينه في القاهرة [٩٥] .

مكـانـــة الأوليـــاء المسلمين والمسيحين :-

في الدين المسيحي لكي يتم الإعتراف بالشخص على أنه قديس يتطلب ذلك اعتراف الكنيسة بقداسته لكي يكتسب مكانته كقديس بعد مضي ٥٠ عاما على نياحته وهذا يختلف عن مكانة الأولياء في الدين الإسلامي حيـث لايحتاجون الى ترخيص من جانب القائمين على الديـن الرسمي كمـا يقـول الجوهري .

نظـرة الطرق الصوفيه الى الموالـــد:-

تري أن الموالد في مصر الأن من الحركات الاحيائية قـامت بهـدف احيـاء بعض العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية المتعلقة " بالموالد " والمقصـود بالاحيائية " هنا المحافظة على مظاهر الدين واحيائها باحياء ذكرى الأوليـاء

وترديد ماقدموه من أفعال لمجتمعهم ولمواطنيهم واضفاء كثير مـن الكرامات عليهم". وهي لايمكن ان تكون حركة احيائية بالمفهوم العلمي [٩٦] .

الموالـــد واحتفـــالات الفراعنه:-

اتخذ ماكفرسون من بعض مظاهر الاحتفـالات بالموالد فـى العصر الراهـن وتشابهها مع بعض المظاهر المصرية القديمة فى موالد ابى الحجاج الأقصرى ومولد عبد الرحيم القنائى مثـل حمـل المراكـب وركـوب النيـل بمثابـة إحيـاء لأعياد الإله آمون ، وأيضا الاحتفال بمولد السيد احمد البدوى انما هو احياء لعيد الإله شو الذى كان معبده بالقرب من طنطا .

كما يرى ايضا أن مواعيد اقامة بعض الموالد تتفق مـع مواعيـد الاحتفـالات المصرية ، وأشار الى أن مولد اسماعيل الامبابى انما يقام يـوم ١٤ يونيـو مـن كل عـام وهـو يـوم "النقطـه" التـى تشير الى الدمـوع المقدسـة لإيزيـس وهـى تبكى زوجها .

وخلـص الى أن المصريـين المحدثين انمـا يقومـون بحركـة احيـاء للثقافـة المصرية القديمة ممثلة فى الموالد ، وفاروق مصطفى يجيـب بأنه ليـس هنـاك دليل على أن الموالد حركـات احيائيـة [٩٧] ونحـن نـرى انها إمتداد للتـراث المصرى الأصيل .

أنتشار الموالــد:-

يوجد ما بين ٥٠٠٠ ، ٦٠٠٠ قرية بمصر ومن الصعب أن توجدقرية بـدون ضريح أو مقـام لـولى ، وتقريبـا كل قريـة فـى مصـر بهـا مقبـرة لـولى ، وبـالمثل المدن والمحافظات ، أما فى القاهرة بها العديد من مقابر الأولياءومعظم هذه

الأضرحة تعتبر مركز للموالد على الأقل مرة فى السنة . وبعض الموالد تجـذب ملايين الزوار ويتدفق الحجاج وأعضاء الجماعات الصوفية عليها [٩٨] .

التصـــــوف

يتبوأ التصوف مكانا هاما فى الدراسات التى تتناول الفكر العربى الإسلامى ، بعضهم يدينونه ويهاجمونه بضراوة وعنف ، والبعـض الآخـر يقـف بجانبـه ويدافع عنه باسـتماته وتعصب وهنـاك اتجـاه ثـالث معتدل يدرسه بموضوعية واتزان .

وهو يعد قطاعا رئيسيا مـن قطاعـات الفكـر العربـى الإسلامى ويشكل جزءاً اساسيا من تاريخ هذا الفكر [٩٩] .

تعريـف التصوف :-

هو الرغبة فى التقرب الى الله ،وهـو القوة المحركـة للمتصوفة والدراويش الذين يعتبرون " المظهر الباطنى للإسلام " على الرغم مـن انـه لارهبانيـة فـى الإسلام ، وحتى عهد قريب كان غالبية المسلمين ينضوون تحت ألوية الطرق الصوفية ،اما الأن فقد تدهورت الصوفية وإختفت تماما من بعض البلاد ، وفـى مصر مـازال ملايين المنـاصرين للصوفية يعلنـون عـن أنفسـهم فـى جماعـات ضخمة فـى مواسم موالـد الأولياء ،وتعـد المهرجانـات ذروة الطقـوس الدينية التى تمتلىء بالدراويش .فـالدراويش والمريديـن والمحاسيب يخلقـون حيـاة بديلـة ودينـا مختلفا وان كـان لاينقص دينهم الأصلـى ،انمـا تتداخـل الأفكـار والمعتقدات فيتشكل الدين الشعبى الممتزج بموروثات تضـرب بجذورهـا فـى أعماق تاريخنا [١٠٠] .

وتجمع كل تعريفات التصوف على أن أصل الكلمة تعود الى اليونانية صوفيا Sophes والتى تعنى الحكمة ، وتعنى كلمة " صوفى " الزهد فى الدنيا والإعراض عن أسباب زينة ومظاهر الحياة ، وهناك من يرجعها الى قبيلة بنى صوفة التى كانت تعيش حول البيت فى الجاهلية ، وتنسب الى رجل يدعى " الغوث بن مر " الذى علقت فى رأسه صوفه ونذرته أمه الى الكعبة اذا عاش ولم يمت كأخوته ،والبعض ينسبها الى قبيلة عربية عرفت الإستغراق والمحبة وطاعة الله ، وهناك من يرى انهم قوم انقطعوا الى الله و قطنوا الكعبة .

وهناك تعريفات أخرى تركز على الجانب الأخلاقى للتصوف ، وهناك من يركز على الجانب المعرفى فيه ومن يربط بين مفهوم التصوف والفروع الباطنية لحركة التصوف ذاتها .

والصوفى هو الذى يتمسك بالسنه والزهد فى الدنيا والإبتعاد عن زخارفها ، وهو الفقير والورع والتقى المتمسك بالنصوص الدينية والذى يقوم سلوكه على ضبط النفس ومجاهدة ميول ومتع الدنيا [١٠١] .

ومن هذا يتضح أن مفهوم الصوفيه والصوفى يكتنفهما كثير من الغموض .

نشـأة الطرق الصوفيـة :-

نشأت فى القرن الثانى عشر الميلادى وتتمحور حول شخصية رجل واحد يبث فى تلاميذه وأتباعه تعاليمه وأسلوبه ، وتظل هذه التعاليم والتوجهات مرتبطة بإسمه عقب وفاته يلقنها شيوخ ومريدين إعتبروا أنفسهم ورثته من الناحية الروحية [١٠٢].

وقد تنوعت الطرق الصوفية وتشعبت تبعا لتفسيرها للإسلام حيث كـان لكل شيخ طريقته ومنهجه سواء فى القيادة او فى ممارسة الطقـوس والشـعائر ، وكانت الطريقة تسمى بإسمه وعلى سبيل المثال الحلاجية نسبة الى الحلاج ، والقشيرية نسبة الى عبد الكريم القشيرى ، والقادريـة نسـبة الى عبـد القـادر الجيلانى والشـاذلية نسبة الى ابى الحسـن بن عبد الله عبد الجبار الشاذلى والأحمدية نسبة الى أحمد البدوى والدسوقية نسبة الى ابراهيم الدسوقى . اى أن هـذه الطرق نسبت الى أصحابها او شيوخها الذين اسسوها وبعضهـا اندثر ومازال البعض الآخر باقياً .

وقد افرزت الطرق الصوفية بعض من الأتباع والتلاميذ وكونوا جماعات صغيرة تلتف حـول الشـيوخ وكبـار النسـاك والأوليـاء وسـاهمت فـى ظهـور الإخوان فى الإسلام وبالتالى نشأت الزوايا والخوانق منذ نهاية القرن الثانى الهجرى ، وهـذا الطريـق يتطلـب مرشد او شيخ " فمـن لاشيخ لـه فالشـيطان شيخه" .

وازدادت الطرق الصوفية فى مصر فى القرن السادس للهجرة ، وظهرت مدرسة صوفية كبيرة بصعيد مصر أقامها الشيخ عبد الرحيم القنائى (٥٩٢ هـ) القادم من المغرب والـذى رعاها فيما بعد الصوفـى المصـرى ابـو الحسـن الصباغ (٦١٣ هـ) .

يعد القرن السابع الهجرى عصر إزدهار للطـرق الصوفية ، حيـث وفـد إلى مصر من العراق الشيخ أبـو الفتـح الواسـطى الـذى أقـام بالاسكندرية وأسس الطريقة الرفاعيـة ، وجـاء مـن المغـرب السيد أحمـد البدوى (٦٣٤)) وأسـس الطريقة الأحمدية وأقـام فى طنطا ٠ ثم جـاء أبـو الحسن الشاذلى (٦٤٢هـ) وأقـام بالاسكندريـة مـع مريديـه وكونـوا الطريقـة الشاذليةويعتبر أبـو العبـاس

المرسى (٦٨٦هـ) وابن عطاء الله السكندرى من أبرز من قام على منهج هـــذه الطريقة ٠

ويمكن القول أن الطرق الصوفية قد بلغت ٧٢ طريقة إما مستقلة أو فروع لها [١٠٣].

ويرى نيقولاس أن الصوفية والدراويش ينتظمون فى ٦٨ جماعةorders أو طريقة يرأس كل منها خليفة٠ وأن هذه الجماعات هى التى قادت طرق التفكير والتأمل والنسكيات الإسلامية لمئات من السنوات فى الماضى ٠

وهذه الجماعات هى التى تحدد مواعيد المـوالد ، فيزورون الموالد حتى وإن كنت لا تخص طريقتهم ، يغادرون منازلهم وقد يجـدوا منزلا أو جامعا أو يقيمون فى خيام بالشارع المتاخم أو الميدان يمارسون شعائرهم الدينية [١٠٤].

وفى أوربا وفدت جماعات الصوفية الإسلامية من العراق وتركيا وإيران وتركستان وافغانستان وجلبوامعهم الورع Devotion والتقـوى Piety النابعة من التلمذة والتدريب وضبط النفس بالإضافة إلى الخبرة التى اكتسبوها من خلال الترحال والحج إلى الأماكن المقدسة ، على الرغم من عدم وجود تنظيم مركزى لهم ولم يكن لهم مال يدعمهم من الأوقاف ومع ذلك عـزموا على العمل برغبة وحماس لذكر اللـه [١٠٥].

مراحل التصـوف أو مقامات التصـوف :

المقامات :

لابد من المجاهدة فى عدة مقامات للوصول إلى اللـه وهى على التـوالى ، التوبة ، الـورع، الزهـد ، الفقـر ، الصبـــر ، التوكـل ، الرضا والمقام الأخيـر يسمونه راحـة النفس أو السلام الروحـى.

وقد حـدد عرفة عبدة مـراحل التصـوف كالآتـــى :

(١) المـــــريد :

يستلزم طهـارة القلـب، يكبـح شهـوات النفس حتـى يـرى اللـه ، وعندمـا يكتمل تأهيله على يـد شيخ ، تعقد له جلسة خاصـة ، يقبـض فيهـا الشيـخ علـى يـــد مـــريده بما عـــرف.

" بالقبضـة " وتتلى بعض آيات قرآنيـة ، ويتعهـد المـريد بإتبـاع تعاليـم شيخـه وتوجيهاته وهو ما يسمى " بالعهــد " ثم يمـر بعدد من المراحـل ليصـل إلى مرحلة الفناء فى اللــــه.

(٢) مـــرحلة الفنـــاء:

بالإنتساب إلى اللـه والإندمـاج فى كينـونته وإلغـاء الصفات البشريـة[١٠٦] ، والفناء له عدة معان لدى عرفه عبده إذ يذكرالقشيرى ثلاث مراتب للفنا ء:

المعنى الأول : وهو المرتبة الأولى عند القشيرىالفناء عن النفس وصفاتها بالبصفات الحــــق .

المرتبة الثانية : الفناء عن صفات الحق بشهـــود الحـــق .

المرتبة الثالثة : الفناء عن شهود الحق بالإستهلاك فى وجود الحق .

المعنى الثانى : أن يشهد الله بقلبه وفق ما أخبر عن نفسه .

المعنى الثالث : عدم شعوره بوجود نفسه فتنتابه حالة من الغيبة [١٠٧]

أى أن للعارفين درجات ومقامات ، ويقول ابن سينا أن لهم درجات يختصون بها فى حياتهم الدنيا ، والعارفون بالله حسبما يرى ذو النون المصرى ، فانون عن أنفسهم لا قوام لهم بذوتهم ، فالمعرفة هى الغاية التى يرنو إليها السالك وهى بمثابة " النور الإلهى " الذى يشرق على قلب الواصل فيفنى به عما سوى الله حتى يملأ النور قلبه فيصبح عارفا حقيقيا يرى بنور الله وهو ما يسعى إليه المتصوفة [١٠٨] .

(٣) مرحلة البقاء:

تعرف بمرتبة " الإحسان " يتمتع فيها بصفات الولى " وعلم الله " وقد يبدو " ظاهرا " مع الناس ولكنه " باطنا " فى حضرة الإله وتسمى تلك الحالة " الحل" ويعرفها العامة بـ "الشهود "ثم يعود فيشارك الناس علاقاتهم .

(٤) حالة الجذب :

هى مرحلة على طريق بلوغ مرتبة الولاية ، وقد تستغرق سنوات طويلة يطوف خلالها المجذوب ببعض البلاد ، ويمكث كثيرا بالأضرحة ويأتى من الأفعال ما يشكك فى قواه العقلية وهو حالة إختطاف إلهية ، يمحو من قلبه كل شيء ، الأهل والأولاد عدا الذات الإلهية وقد يصل إلى الولاية [١٠٩] .

والبعض يحاول التشكيك في قواهم العقلية ، وما يسمى بحالة " الحل " نتيجةً لتعلقهم لشديد بالدين والقيم الدينية و نجد أن هناك إحدى الدراسات التي أجريت للتعرف على العلاقة بين الدين والصحة العقلية والقيم ،وأخذت عينة من دارسي الدين لمعرفة مدى تكيف هؤلاء وماهي أنماط أو أساليب حياتهم الدينية ، وقد تبين أن الذين ينمون ويتطورون في إكتساب الخبرات الدينية أكثر صحة من هؤلاء الذين لا يستمر نموهم وتقدمهم الديني ، أيضا وجد أن الخبرات الدينية المكثفة تساعد على تكيف هؤلاء الذين إختبروها واكتسبوها . ولا يوجد برهان سلبي للعلاقة بين الصحة العقلية والنواحي الدينية [110] .

وحدد بالمر E. H. Palmer ثلاث متطلبات للإستمرار في الطريق الصوفي :

١ - الجذب Attraction .
٢ - السالك Devotion أو الورع .
٣ - العروج Elevation .

(أ) الجذب :

أ - هو التفاعل مع الله ، وهو الشخص الذي ينسى كل شيء إلا الله وينمو في حب الله ، والشخص الذي يصل لهذه المرحلة ويقنع بما لديه ويترك العالم بدون أية طموحات يدعى المجذوب .

ب - ويواصل البعض الآخر من هذا الطريق إلى إختبار الذات ، وهذا يدعى مجذوب سالك Devoultry Attracted ، إذا مارس الورع أولا ، وكان الجذب نحو الله الخطوة التالية ، دعى هذا الشخص "بالسالك

المجذوب " Attracted Devote وإذا إنــدفع بـالجذب إلى اللـه يدعـى السالك Devote ٠

(٢) السالك Devotion ٠

وتعنى متابعـة الرحلة حتى النهايـة ، ويتـم هـذا بطريقتين إلى اللـه To God ، وباللــه In God ٠ وتكتمل الرحلة إلى الله حينما يتجه الراحل إلى معرفة اللـه وعنـدئذ يستكمل الرحلة " فى اللـه " أو باللـه وهى التى يصبح موضوعه معرفة طبيعة الله ورموزه وصفاته وخاصياتـه ٠

(٣) العـــروج : يترادف مع التقدم والإرتقاء [١١١] ٠

نقـــد التصـــوف :

هنـاك إتجاهات ترى أنـه لايوجـد أدنـى صلـة تربط التصـوف بالإسـلام ، فالتصـوف فى نظـرهم إفـراز بشرى [١١٢] ٠

ويرى نيقولاس أنها تجمـع الأرثوذكسية الإسلامية من جهـة، فهـى تضم أيضا المفكرون الذين يتميزون بالعنف من جهة أخـرى كما ينضـم إلى تلـك الجماعات جماهير ريفيـة غفيرة وفقيرة تعد صرحا منيعا جـدا [١١٣] ٠

والبعض منهم لا يدرك من تعاليم دينه سوى القشور أو الظواهـر السطحيـة والإسميـة فقط ٠ وكلمـا إزداد الانسان وتعمـق فى ثقافتـه الدينيـة الحقيقيـة كلما إبتعد رويدا رويـدا عـن تلك المعتقـدات الشعبيـة إذ يزداد وعيـه بهـا [١١٤] ٠

ولـذا حـاول المثقفـون المسـلمون المحـدثون أن يعيـدوا أسـس إحيـاء التشريـع الإسلامى ، بمـا يسمى الحركـات الإحيائيـة الإسلاميـة المعاصـرة ، وإكتشف بـراون دانييل Brown Daniel أن هنـاك تضـاد بـين إتجاهـات الحـداثة وإتجاه السلطة الدينيـــة على العمـــوم [١١٥] ٠

ويرى الجوهرى أن الدين الإسلامى الصحيح لا يعرف شيئا يقال له " مقامات الأولياء " وإن كان لهم درجات عند ربهم ، وأيضا لهم قبور كقبور سائر موتى المسلمين يحرم تشييدها وزخرفتها وإقامة المقصورات عليها وتحرم الصلاة فيها وإليها والطواف بها ومناجاة من فيها والتمسح بجدرانها وتقبيلها والتعلق بها ٠ ويحرم وضع ستائر وعمائم عليها أوثريات حولها ، أو إيقاد الشموع مما يتهافت الناس فى فعله ٠

وهذا يدل على مدى التباين فى التصور الشعبى للأولياء والتصور الدينى الصحيح لهم ولأسلوب التعامل معهم أحياءً أو أمواتاً . وكل ما فعله المصرى الذى يؤمن بضرورة التقديس والتكريم للأولياء هو أنه أضفى عليها ثوبا جديداً يتلائم مع مبادئ الدين حتى يضمن اقرار رجال الدين له .

وعلى الرغم من أن وليم لين يرى أن المسلمين والمسيحين واليهود يمارسون خرافات بعضهم البعض ولكنهم يمقتون العقائد الأصلية فالموالد إرث مصرى مشترك كجزء من معتقداتنا الشعبية[١١٦] . وكذلك النظرة ألى الأولياء تتشابه كثيرامع النظرة إلى القديسين . فكثير من التقاليد المسيحية والإسلامية تنظر إلى الأولياء والقديسين والمعجزات على أنها مشتركة بينها ، كما أن بعض المعتقدات التى تتعلق بالكون توجد جذورها فى الخلفية الفرعونية تلك التى يتقاسمها كل من المسلمين والمسيحين .

وتعد مصر مهد " التوحيد" أى الأيمان بإله واحد Cardle Of Monotheism منذ عهد إخناتون فرعون مصر ، فقد تطورت وإزدهرت بعد مرحلة الإيمان بعدة ألهة Polytheism وهى العناصر التى بقيت أجزاء منها فى الديانة الشعبية Popular Religion حتى اليوم [١١٧]. ونيقولاس يقصد

بذلك أن الديانة الشعبية مازالت تقدم تكريم وتبجيل الأولياء والقديسين على الرغم من الإيمان باله واحد .

وهنا تجدر بنا الأشارة إلى الشعائر والممارسات المرتبطة بالموالد.

الشعـــائر :-

تمارس فى الإحتفالات والموالد أنواع وأنماط متعددة من الشعائر والطقوس كنوع من التقديس للأولياء والقديسين ولكن هذه الشعائر لا ترقى إلى العبادة .

تعريف الشعائر:-

هى أفعال متكررة تأخذ شكل العادات التى ترتبط بالنسق الدينى قد تكون بسيطة أو معقدة ، جماعية أو فردية وهى ترجمة وأداء للإعتقاد [١١٨] .

وعلى حد تعبير جان ردهارت G. Redhart الشعيرة ماهى إلا تمثيل للحدث الأسطورى أو على الأقل محاولة لإستحضاره أو إستنباطه [١١٩].

ولقد ميز فاروق مصطفى بين ثلاثة عناصر شعائرية فى الموالد :

زيارة الضريح – الذكر – المولد

الذكـــــر:-

قد يكون تلاوة القرآن أو الصلاة أو الحج ، والذكر إما أن يذكر إسم من أسماء الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو فعل من أفعاله أو إستدلال على شىء من ذلك كما يحتوى على ذكر رسل الله وأنبيائه.

والذكر عدة أنواع منه ماهو ثناء على الله ، أو دعاء لله ، ومنه ماهو مناجاة مثل الصلاة ، ومنه ماهو للرعاية فى الدنيا ،أو الصلاة على النبى [١٢٠] .

وميز عرفه عبده بين عدة أشكال للذكر فقد تؤدى بصورة فردية أو جماعية بحركة أو بدون .

والذكر الجماعي يعد أبرز نشاطات الجماعة الصوفية ، وهو رقص شعائرى يؤدى على أنغام لحن يؤديه "قوال" أو منشد غالباً ما يصحبه قارعون للدفوف وعازفون على المزمار والناى ويطلق على الذكر الجماعى " الحضرة" وهو يختلف من طريقة لإخرى طبقاًلتقليدها [١٢١] .

الذكر السلطاني :

هو مجال لأداء المدائح الدينية ويؤدى خارج المساجد مستخدماً العديد من الآلات الموسيقية . وتتخلل حلقات الذكر وفي الحضرة الموسيقى الشعبية أو الفولكلورية وهى حصيلة تراث من الألحان والأدوات والآلات .

الموسيقى المرتبطة بموالد المشايخ والأولياء والقديسين :

أهم مظاهر الإحتفال للمشايخ والأولياء والقديسين التي تقام حول أضرحتهم سنوياً ، تبرز في الأداء الموسيقى الذى يتجمع له المنشدون والمداحون والشعراء وغيرهم ، وينشد في هذه الموالد المدائح والقصص التي تتناول سيرة الولى وتبرز كراماته .

ويطلق على المداح الديني "القوال " أو " الصييت".

والقوال أو الصييت تطلق على المنشد الديني الشعبى ، وهو مغنى محترف عرف بالغناء في الموضوعات الدينية وهو يختلف عن المغنى الذى يغنى للهو والتسلية . ويرتكز محفوظة على الأنواع الموسيقية التالية :

١- الطقاطيق والمواويل الدينية :

والطقاطيق هي أغان قصيرة تتناول الكثير من المناسبات والأحداث الدينية ، أما المواويل فهى من الأشكال الحديثة لدى المنشد ويبرز الموال بوضوح لدى المنشد في الذكر السلطاني .

٢- الغناء المقلوب :

وفيه يغير المنشد أو يعدل كل أو بعض الكلمات لتناسب المعنى الذى يساير مناسبة الأداء .

٣- القصص الدينى :

ويتكون من منظومات شعرية مطولة تغطى موضوعاتها سير الأنبياء والرسل ، وقدشاع هذا القصص بواسطة المنشد الدينى "الصييت" ومنها قصة أحمد البدوى وخضرة الشريفة وقصة مريم العذراء[١٢٢] . ويرى نيقولاس أن الصوفية والدراويش يزورون الموالد ويمارسون شعائرهم الدينية التى تتمثل فى الرقص الطقسى وهو الذكر[١٢٣] .

الكرامـــــات :

تطلق كثير من الأساطير على الأولياء ولايطلق عليها أسطورة وإنما تعتبر "كرامة" وقد نسب الناس كثير من الأعمال الخارقة للعادة لهؤلاء الأولياء وأسموها بالكرامات .

وهناك تقارب فى المعنى بين مصطلح كرامة ومصطلح "كاريزما" Charisma الذى أدخله ماكس فيبر ليدلل به على قوة بعض الأشخاص أو موهبتهم أو مقدرتهم غير العادية ، وهذه القوة تجعل الأفراد ينظرون إليهم على أنهم مقدسون ويتميزون عن البشر . فالكاريزما مجموعة من الصفات والمواهب الخارقة للعادة يمنحها الله لبعض الأفراد فيصبحون أهلا للقيادة والزعامة فيصبح بعضهم خطباء ، أو ثوار أو قادة إصلاح أو قادة أحزاب أو أنبياء ورسل[١٢٤] .

ويقول نيقولاس أنه تروى العديد من الأساطير والمعجزات أو الخوارق وكما يسميها البعض الكرامات التى تنسب للأولياء والقديسين وإن كان هو لم

يختبرها بنفسه ولكنه جمعها من أولئك الذين يعتقدون بصحتها وجمع هذه المعجزات في تجميعين أحدهما يرتبط بالشيخ أحمد رضوان المسلم والآخر المعجزات التى أجراها البابا كيرلس القبطى أى هؤلاء الذين مازالت ذكراهم مشرقة وحية فى قلوب الناس .

وهو يذكر أن لفظ "شيخ" يطلق لتبجيل الرجال المسلمين إما لكبر سنهم أو من أجل مكانتهم الدينية التى يحظون بها حتى لو كانوا صغار فى السن يقال لهم أيضاً لقب "شيخ" مثله فى ذلك مثل الرجال الذين حصلوا على تعليم دينى عال [١٢٥].

ويلجأ الناس إلى الأولياء لما يحظون به من كرامات وأيضاً لنوال بركتهم المقدسة إيماناً منهم بأن هذه البركات تعد دعامات تدعمهم فى حياتهم وتساندهم فى حل مشكلاتهم أو تحقق لهم الشفاء من الأمراض ، وتنير طرق حياتهم وتصبح نبراساً يضىء لهم سبل الحياة .

مفهوم البركة :

عرف نيقولاس مفهوم البركة " بإنه عبارة عن قوة خيرة أو مفيدة أو منحة من المنح الموروثة التى يتم الحصول عليهامن الأولياء والأماكن المقدسة وشفاعة الولى أو النبى وشفاعة القديس مع الله [١٢٦] .

وشوقى عبد الحكيم يرى أن مصطلح البركة مقولة يوتوبية ، تتمثل بشكل رئيس فى تراثنا وأساطيرنا العربية والعقائدية وله إستخدامات مختلفة وعبارات مثل بارك الله فيك ، وحصلت البركة .

فالبركة وما يرادفها من سعد ووعد وقسمة ونصيب ترد بكثرة فى تراثنا ولتبدى شعيرة البركة هذه خلال تبادل التحيات والأدعية " الله يبارك فيك ،وعند إتمام الصفقات " الله يباركلك" ، ومبروك مع كل جديد أو بدء أو أول ،

سواء حصاد المحاصيل أو إرتداء ملابس وأحذية جديدة ، أيضاً تبدو في الأسماء "مبروك وبركات وبركة" وبكثرة في الحكايات الخرافية العربية عامة والمصرية خاصة وهي حكايات أقرب إلى المأثورات ، ويقال روايات كثيرة عن أن هناك أولياء يتمتعون ببركات وأن هناك أناس بسطاء مبروكين وأن البركة تتلازم مع الشخص الصالح . وأن كان هناك أستخدامات أخرى تكتفي بما ذكرناه (١٢٧) .

وينظر الشعب المصري إلى الأولياء والقديسين على أنهم مبروكين وأيضاً لهم القدرة على منح البركة للآخرين ويطلبون منهم المدد عند الدعاء لهم .

والمدد :-

هي طلب المساعدة من الله عن طريق الأولياء المحتفى بهم ، حيث يتم التوازن بين قولين أحدهما قوة الله والثانية قوة الولي أو القديس (١٢٨) .

ومن الأقوال المشهورة "مدد يا شيخ العرب يا سيد" تقال للسيد أحمد البدوي بطنطا .

الفصل الثانى

الدراسة الحقلية

١ - "مـولد" السـيد أحمـد البدوى
بمـدينة طنطـا

نبذة عن محافظة الغربيـة: الأبعاد الايكولوجيـة:

تقع وسط الدلتا يحدها شمالا محافظة كفر الشيخ،وجنوبا محافظة المنوفيةوشرقا وغرباً فرعى نهر النيل، وترجع أهميتها لكونها مركزاً رئيسياً وهى ملتقى للطرق الحديدية والبرية.

تبعد عاصمتها طنطا عن مدينة القاهرة بمسافة ٩٠ كم، وعن مدينة الإسكندرية ١٢٠ كم، وتبلغ المساحة الكلية للمحافظة ٤٦٢٦٨٤ فدان ، يزرع منها ٣٩٧٧١٤ فدان أى بنسبة ٨٥٪ أرض زراعية والباقى منطقة سكنية وأرض بور، ومناخها بارد شتاءً حار صيفاً وتتمتع بمسطح عظيم من اليابس بجانب وقوعها على مستوى البحر.

وتضم محافظة الغربية تراثاً حضارياً رائعاً من مختلف العصور وتعد منطقة من أهم مناطق الجذب السياحى لتوافر مقومات السياحة بها[١٢٩].

وتعد محافظة الغربية أحد قلاع الصناعة بمصر ذات المنتجات عالية الجودة من غزل ونسيج و مفروشات وملابس جاهزة ومعدات كهربائية والكترونيةو آلات ومعدات زراعية، وموبيليات، ويتم تصدير العديد من هذه المنتجات[١٣٠].

وتعتبر محافظة الغربية من المحافظات التى تضم العديد من الآثار المصرية القديمة والمسيحية والإسلامية.

وتتميز دون غيرها من المحافظات بالسياحة الدينية حيث تضم بين جنباتها تراثاًحضاريا رائعاً وفيها العديد من المساجد الشهيرة والأثرية على المستوى الإقليمي والعالمي، ومن أشهرها وأبرزها مسجد العارف بالله السيد أحمد البدوى.

أولا : الأبعاد العمرانية للمسجد الأحمدى بطنطا:

يعد من أهم الآثار الإسلامية ومن المعالم البارزة بمدينة طنطا ، ملحق به مكتبة للمحفوظات ترجع الى القرن الثامن الهجرى وكذلك السبيل بجوار المسجد ، وتوجد عدة أضرحة لأولياء الله بمدينة طنطا منهم : عبد المتعال الأنصارى وعبد الرحمن نور الدين وعلى الحامولى ومحمد العمرى ونوار وعريف سالم المعزبى وابنته السيدة غنيمة ، وأحمد البابلى ، وعبد المتعال العطار ، العنانينة والظواهرى والرفاعى ، والقزازى ومجاهد ، والشيخة صباح ، عز الرجال المغربى و محمد البهى
يونس مضيها كما يوجد بطنطا عدد كبير من المساجد الاهلية [١٣١] ويضم المسجد عدد من الأضرحة لمريدى السيد أحمد البدوى وهم ضريح سيد مجاهد ،وضريح سيدى عبد المتعال واخوته وشقيقه سيدى نور الدينن ، وسيدى عبد الرحمن وأيضا يضم ضريح سيدى احمد حجاب .

ويرتبط بضريح مسجد العارف بالله سيدى أحمد البدوى اسم طنطا واسم المحافظة ، فمنذ ان وطأت اقدام السيد البدوى طنطا حتى أضحت مدينة لها شهرتها الدينية والتجارية، والمسجد الاحمدى بنى مكان زاوية صغيرة كانت مقر المدرسة الأحمدية التى علم فيها السيد البدوى أتباعه طريقته فى التصوف.

وبنى المسجدالأحمدى فى عهد قايتباى على الطراز المملوكى ثم كانت توسعاته فى عهد والى مصر علـى بك الكبير سنة ١١٨٦ م وتوالت التوسعات بالمسجد مع كل وال جديد لمصر. ويلحق بالمسجد قاعة شرقية وكذا بعض متعلقات السيد البدوى.

وكان المسجد مقراً للجامعة الأحمدية التى تدرس علوم الفقه والشريعة وألحق به سبيلان كبيران لسقى الطلاب والزوار ، الأول سبيل على بك الكبير الذى تم نقله الى مدخل مدينة طنطا والثانى السبيل الأحمدى الذى ظل فى موقعه وأعيد ترميمه وفتحه للزيارة.

وتعتبر المنطقة الأحمدية أحد أهم المعالم السياحية بمدينة طنطا وتم إدخال بعض التحسينات بما يتناسب مع مكانة المسجد المرموقة بإضاءة القباب والمآذن وفقاً لأحدث الطرق العلمية وتكثيفها بالساحة الأحمدية والميدان ، وأنشئت نافورة على أحدث الطراز الإسلامي فى مواجهة الباب الرئيسى للمسجد وأقيم سور على الطراز الإسلامى حول الساحة الأحمدية تعلوه وتزينه فوانيس على الطراز الإسلامى للإضاءة، وتم إنشاء أحواض زهور خارجية ومقاعد للزوار، وأقيمت قاعة مؤتمرات (صالةالإستقبـال كبار الزوار) تسع ٤٠٠ فرد مزودة بأحدث الأجهزة السمعية وأحدث الأثاث، ومصلى يسع ٣٦٠ سيدة. ورصفت الشوارع المؤدية إلى المسجد الأحمدى، وتم طلاء المبانى المطلة على الميدان باللون الأبيض.[١٣٣]

وحديثاً تمت بعض التوسعات فى المسجد وبالتحديد فى ١٣ مايو ١٩٧٩ بحضور فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر.

ويضم المسجد بالإضافة إلى ضريح السيد أحمد البدوى عدة أضرحة اخرى.

وقد ورد فى جريدة المساء الصادرة فى ٢٦ سبتمبر سنة ٩٧ أن المعهد الأحمدى بطنطا يعد منارة للعلم والإسلام بعد الأزهر، إذ تخرج منه الكثير من العلماء وشيوخ الأزهر و يقال أن المعهد الأحمدى تم بناؤه فى عام ١٩١١ م بأمر من الخديوى عباس باشا وتم افتتاحه عام ١٩١٣ م بحضور الخديوى ويوجد بالمعهد ٥٢ فصلا دراسياً ويضم بين جنباته مكتبة علمية نادرة تحوى ٤٥ ألف كتاب و ٥ آلاف مخطوط نادر ومن أشهر الخريجين فضيلة الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الراحل والشيخ الأحمدى الظواهرى وقام بالتدريس به فضيلة الشيخ محمد متولى الشعرواى. و المعهد له ٨٦ عاماً فى خدمة علوم الدين.

وتنتشر بين جنبات المسجد وحول الأضرحة التى يضمها المسجد عدد من صناديق النذور، ومن الآثار الهامة "قدم الرسول" فى أحد أركان القاعة التى بها ضريح السيد أحمد البدوى، وقاعة للسيدات ممنوع جلوس الرجال بها، وهناك أيضا مكتب للنذور بخلاف صناديق النذور.

ثانيا: الأبعاد ا لدينيـــة:

نبذة تاريخية عن السيد احمد البدوى :

هـو أحمد ابن على ابن محمد ابراهيم ابن ابى بكر ابن اسماعيل ابـن عمر ابن عثمان ابن على ابن الحسين ابن محمد ابن موسى ابن يحى ابن عيسى ابن على الهادى ابن محمد الجواد ابن على الرضى ابن موسى الكاظم ابـن

جعفر الصاد وابن محمدالباقر ابن زيـن العابدين بن الحسين ابن علي ابن ابى طالب ابن عبدالمطلب ابن هاشم بـن عبد مناف ابـن قصى ابن كلاب ابن مرة ابن كعب ابن لقاى بن غالب ابن قمر ابن مالك ابن النصر ابن كنـار ابن خزيمة بن مدرك ابن الياس ابن مضر ابن نذار ابن معد ابن عدنان (*).

هـــذا هو النسب الصحيح نسـب عليه من شمـس الضحى نـورا ومن فلـق الصباح فهو سيد ابن سيد حــاز المكارم والتقى والجود[١٣٣]..

هاجرت أسرته الحجازية إلى المغرب في مدينة فـاس ببلاد مراكش وهى الآن المغـرب سـنة ٥٩٦ هــ – ١١٩٩ م ، وقبيـل ولادتـه بقليـل رأت السـيدة الشريفة والدته من يقـول لها فـى الرؤيا (فقد ولـدت غلاما ليس كالغلمـان) ، وبعد مولده بقليل عادت الأسرة الكريمة إلى الحجـاز حيث انتقـل والـده السيد/ على إلى رحاب مولاه ومقامه هناك في باب المعلاه .

وفى الحجـاز عاش السيد أحمـد البدوى سبعة وعشـرين علمـا بـين مكـة المكرمـة والمدينـة المنـورة وحفـظ القرآن وهـو ابـن سبع سـنوات وتفقه فـى مذهب الشافعى ، وألف العديد من الكتب ، وقام أتباعه بمكافحة الصليبين .

رحلتة إلى العراق وإلى فاطمة بنت برى :

رحـل من الحجاز إلى العراق بنـاء على رؤيا ، وهنـاك زار مقام سيد عبـد القادر الجيلانى ومقام سيد احمد الرفاعى ، والتقى بهما في عالم الرؤيا حيث

(*) يلاحظ أن كلمة ابن مدونة على المقصورة بألف وليس بن .

عرضا عليه مفاتيح العراق واليمن والهند والسند والروم والمشرق والمغرب ، وقال لهما في أدب "أنا متكما ولكن لا أخذ المفتاح الا من الفتاح"وقد طلبا إليه التوجه إلى بنت برى بشمال العراق وكانت صاحبة جمال فتان وأموال وفي الوقت نفسه صاحبة ظروف وأحوال وكانت تسلب الرجال أحوالهم ، فذهب اليها السيد أحمد البدوى وسلبها حالها ثم تركها بعد أن عاهدته على التوبة ، وبعد ان اشترط عليها عدم التعرض الى أرباب الأحوال ، وقد تمت توبتها على يديه فتركها وعاد الى الحجاز من العراق.

الرحـــلة الى طنطا :

في الحجاز رأى في الرؤيا من يقول له "سر إلى طنطا فإنك تقيم بها وتربى أبطالا وأولاداً - رأى ذلك ثلاث مرات - فرحل إلى طنطا حيث تشرفت به ، وأقام بها مدة طويلة بلغت ثمانية وثلاثين عاما منها اثنى عشر عاما بدار الشيخ زكين ثم ستة وعشرين عاما بدار ابن شحيط وجميع هذه السنوات كانت فوق السطح ، وكان يصلي الفروض كلها في جماعة كما كان يحافظ على صلاة الجمعة .

- مدرسة الســـطح:

كان السطح هو الجامعة العليا التي تخرج على يديه منها أعداداً كبيرة من الأولياء والعلماء . امرهم بالتوجه كل منهم الى الجهة التي تناسبه لنشر العلم والآداب الإسلامية ، وكانوا من الكثرة بحيث انتشروا في بلاد كثيرة في طنطا وضواحيها وما حولها، وفي القاهرة والجيزة وامبابة وفي الحجاز. وقد انتقل سيد احمد البدوى إلى رحاب مولاه سنة ٦٧٥هـ في طنطا عن تسعة وسبعين عاماً مملوءة بالدروس النافعة.

- طـريقته ودروس من مدرسته:

كان يخاطب تلميذه وخليفته سيد عبد المتعال فيقول لـه " يا عبد المتعـال هذه طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة والصدق والصفاء وحسن الوفاء وحمل الأذى وحفظ العهود." ومن نصائحـه " ياعبد المتعال لا تشمت بمصيبة أحد، ولا تنطق بغيبة، ولانميمة ولا تؤذ مـن يؤذيك، واعف عمـن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك".

- كـــــراماته :

تفضل الله عليه بالرؤيا الصادقـة وكـان يمكث أربعين يوماً صامتاً لا يتنـاول طعاما ولاشراباً ولا ينطق إلا بذكر اللـــه.

كلما ذكر أحد مدينة طنطا يقال فورا " شلله يا سيد " وهي تعني شيءالله يا سيد. كما يقال البساط أحمدى وهو من الأقوال المأثورة وتعنى أن السيد البـدوى كان يجلس علـى بسـاط ، وكلمـا أقبـل عليـه ضيـف يمـد يـده ليفسـح لضيفه ليجلس بجواره على البساط فيتسع البساط لضيفه .

ويقال كان الرجال يعترضونه في الطريق فـي أسفاره ورحلاتـه فيومـيء اليهم بيده، فلا يقتربون منه ويعودون، ومنها مجيئـه بالأسرى من بـلاد بعيـدة وأيضاً إغاثته للملهوف.

وتروى بعض الكرامات للسيد البدوى منها :

أن أحدهـم وقـع خاتمـه فـي البحـر ، فقـال يا سيدى أحمد ما اعـرف رد خاتمي إلا منك، ثم إشترى حوتا مـن صيـاد فلمـا شقوا بطـن الحـوت وجـدوا ذلك الخاتم .

ويقال أن شخصا ضاعت حمارة أخيه فى أيام المولد ، فأتى قبر الأحمدى، وقال له لا أخرج حتى أجد دابتى ، فبينما هو جالس فى قبة الأستاذ حضر من أعلمه بوجودها .

ويحل الخلافات الزوجية ، ومشكلة الحمل، ويزور الطلبة الضريح قبل الإمتحانات أملاً فى النجاح .

هناك من سعى إليه لتحقيق الكسب الوفير ويلجأ إليه المظلوم لنصرته وحل المشاكل التى تواجهه وهو يسرع إلى نجدة من يستغيث به وشفاء الأمراض ووفرة المحصول وفك المربوط .

هـــذه نبذة صغيرة عن حياته، إذ يذكر الشيخ عبد الحليم محمود فى كتابه " السيد أحمد البدوى" أن الصوفى لا يتحدث عن نفسه، من أجل ذلك لا نرى تاريخاً للسيد أحمد البدوى، لم يتحدث عن نفسه متأسياً فى ذلك برسول الله.

فالصوفية لم يكن لهم تاريخ شخصى، وإنما هى متناثرات هنا وهناك نقلها هذا أوذاك من أتباعهم ومريديهم، كانت " الخلافة" شغلهم الشاغل والرسالة وبعثها فى النفوس همهم المقيم.

وعلى الرغم من أنه لم يكن للصوفية تاريخ شخصى ، وانما كانت لهم آثار إجتماعية ضخمة . فقد ترك البدوى عبيراً يتضوع بالطيب فى أكثر من إقليم ، وأريجا يتنسمه الالاف فى أكثر من بقعة وشعاعا من النور يتألق فى أكثر من مكان .

آثار السيد فى الهدايه :

بشر بالطاعة والسير فى سبيل الله وانتشر مريدوه فى شرق العالم وغربه وربوا بدورهم مريدين صار الكثير منهم فيما بعد شيوخا لقنوا العهد لمريدين وكانت آثار السيد فى الخير ضخمة .

كما انه شيخ استكمل صفات القيادة فى الطريق ،وهـــذا هو الطريق الذى ارتاده السيدأحمد البدوى.[١٣٤]

ألقابـــــه:

يطلق عليه العديد من الألقاب أشهرها ما يلى:

١ ـ السيد الشريف:

لأنه عاش وجيهاً عند ربه، مطاعاً فى قومه، والشريف لأنه منتسب لأهل بيت النبى

٢ ـ القطب النبوى:

لأن طريقته مبنية على الكتاب والسنة يقول رضى الله عنه، من كان ماشياً على الكتاب والسنة، فأنا مساعده فـى جميع أموره الدنيوية والأخروية، لابحولى وقوتى ولكن ببركة النبى صلعم.

٣ ـ أبـو فراج :

أى الكشاف للهموم والغموم، لأنه يحب الفرج والتوسعة على الأولاد والنفس والأهل والطير والحيوان وكافة الخلائق جميعها.

٤ ـ الملثـــم:

فقد كان يغطى وجهه بلثامين حتى لا ينشغل بسوى اللـه.

٥ ـ الســـطوحى:

فحينما نزل الى طنطا لزم السطح مدة طويلة وجعل منه مدرسة لتربية أولاده في الطريق.

٦ ـ أحمد البدوى:

حيث عاش محمود السيرة، والبدوى نسبة الى البدو من أشراف قريش المسلمين الذين نشأوا في البادية وسط الزى العربى والشمائل العربية.

٧ ـ أبو الفتيان:

أى سيد المتسامحين بين الإخوان، او مع الإخوان، والفتوة كما يعرفها سيد محى الدين بن عربى وهى "الصفح عن الإخوان".

٨ ـ العباس:

أى الأسد الشجاع، يقول عنه أخوه السيد الشريف حسن "كان أحمد أصغرنا ولم يكن في فرسان مكة أشجع منه".

٩ ـ بحر العلوم:

هو في العلوم بحر لا يدرك له قرار.

١٠ ـ الزاهد:

فقد زهد الدنيا وشهواتها وكان يقول لخليفته "سيد عبد المتعال" إياك وحب الدنيا، فإنه يفسد العمل الصالح.

١١ ـ العطاب:

يحمى من يحضر مولده.

١٢ ـ الصامت:

صامت عن الكلام أيام عديدة إلا من ذكر الله.

١٣ ـ عيسوى المقام:

لأن له كرامات نادرة اختص بها سيدنا عيس عليه السلام من معجزات باهرة.

١٤ ـ ولي اللـــــه:

كان متحدثاً بنعمة ربـه عز وجل، ولذلك لم تفرغ سواقيه من المياه.

١٥ ـ القـــدسي:

يعيش في حضرة القدوس دون سواه.

١٦ ـ جياب الأســـير:

كانت الأسرى تفك على يديه، هـؤلاء الذين جاءوا من بلاد بعيدة.

١٧ ـ العـــلوي :

حيث ينتهي نسبه الى سيدنا الحسين بن سيدنا الإمام على بن أبي طالب.

١٨ ـ العارف باللــــه:

أقام طريقته على كتاب الله وسنته وله كثير من الكـرامات وهو البرزخ، يربي أولاده في الطريق، كما يربيهم في حياته.

١٩ ـ شيخ العـــرب:

أشتهر بالسخاء والكرم وحب الخير، وقضاء حوائج الناس والسعي في مصالحهم.

ويعـد لقب شيخ العرب أشهر الألقاب جميعا ، بل أنه التصق بمدينـة طنطا، إذ كلمـا ذكر اسم "طنطا " أمـام أي شخص من خـارج طنطا سواء داخـل محافظة الغربيـة او الجمهورية أو خارجها تكون الإجابة الفورية "بلـد شيخ العرب" وهو يدل على أن مدينة طنطا اقترن اسمها بلقب "شيخ العرب" نسبة إلى "السيد أحمد البدوي"

٢٠ ـ خـدمة باب السر:

لأن له أســـرار عظيمة.

دور الخليفـــــة:

يقول محمد الخليفة أحد خلفاء الجامع الأحمدى "إذ يوجد خليفة آخر" أن أحد المهام الأساسية هى " أن نثبت ونرعى وصايا شيخنا صاحب المدرسة السيد أحمد البدوى سواء كانت وصايا بسلوكية أو وضايا نابعة من الكتاب والسنة. ويطلق على الشيخ لقب قطب ويعمل على فض المنازعات وحل المشاكل العائلية.

القطـــــب:

هو الشخص الذى يصل إلى مكانة رفيعة فى عالم الصوفية الإسلامية ، والخليفة يرعى هذه المبادىء ويحاول أن يبثها بهدف التربية المستمرة وليس بهدف التلقين كالمدرسة بل بهدف التربية.

فالطـــــرق الصوفية تقوم على العلاقـــــة بين شيخ ومـــــريد.

كيفية إختيار الشيخ:

التلميذ يتوخى عند إختيار الشيخ أن يكون مستطيعا بما عنده من مدد ربانى أن يرشد تلميذه على طريق اللـه من أقصر الطرق.

وقد أرسى الأجداد وهم الإمام الحسينى والسيدة زينب والسيدة نفيسة دعائم الطرق الصوفية، وسار على منوالهم السيد احمد الرفاعى ، والسيد الشاذلى والسيد الجيلانى والسيد احمد البدوى ويليه الإمام احمد الدسوقى.

ويلجأ الناس الى "الصوفية" ليست كجهات بركة فقط، وليس طالبو حل لمشكلة بعينها فقط وإنما كمدارس علمية تربى فيها رجال وأجيال كانو هم الجوهر وحجر الزاوية فى تكوين جيوش إسلامية تلك التى قهرت التتر

والصليبيين فمصر هى الصخرة التىتحطمت عليها فلول الغزاة كالتتر والصليبيين.

كانت طنطا تسمى طنتدا قديماً وهى قرية صغيرة، وكانت عاصمة محافظة الغربية هى مدينة المحلة الكبرى، أما محافظة كفر الشيخ كان يطلق عليها الفؤادية نسبة الى الملك فؤاد، ولم تكن محافظة الغربية منفصلة عن كفر الشيخ إلا منذ عهد قريب إذ كانت تجمعهما محافظة واحدة. وأصبحت محافظة الغربية المحافظة الثالثة بعد القاهرة والإسكندرية بفضل السيد أحمد البدوى.

وقد نشأ السيد/ محمد الخليفة فى بيت يقوم على خدمة السيد أحمد البدوى ورعاية وصاياه منذ ٧٤٢ سنة على حد قوله.

كيفية إختيار الخليفة:

يعد سيد عبد المتعال الأنصارى الخليفة الأول للسيد أحمد البدوى الذى لم يتزوج ولم ينجب، وبالمثل السيد عبد المتعال لم يتزوج ولم ينجب، إذ يذكر محمد الخليفة خليفة الجامع الأحمدى الحالى أن السيد أحمد البدوى ترك طريقة صوفية، وترك سيدعبد المتعال أبناء اى مريدين بالملايين، أو شيد الطريقة الأحمدية، فقد أخلف عبد المتعال ملايين من المريدين تربوا ونشأوا على يديه، ولم يترك طريقة صوفية بالمعنى المتعارف عليه وذلك لانشغاله أولا بوسائل شروقه الشخصى الى الله وتنميتها لم انشغاله بشئون التربية لمن كانوا يفدون عليه طلباً للتكمل فى طريق العقيدة والشروق.

بمعنى آخر أنه لم يتزوج لإنشغاله بإرساء دعائم الطريقة الأحمدية بمفهومها المتعارف عليـــه.

وسيـــد نـور الدين هـو الأخ الأوسط لسيد عبد المتعال الأنصـارى وهـو الخليفة الذى أعقب سيد عبد المتعال والذى تربطه بالخليفة الحالى الدكتـور محمد الخليفة صلة قرابة مباشرة وعلى حد تعبير د. محمـد الخليفـة صلـة الصلب المباشر.

وغالباً الابن الأكبر هو الذى يحتل مكانة الخليفة الجديد بعد إعداده علمياً ودينياً عن طريق والده الذى يخصص له عدد من المدرسين لتلقينه التفسـير ويتولون تزويده وتدريبه بكل ما يحتاج إليـه الخليفة من معرفة علـوم الظـاهر كالفقه والتفسير وعلوم الباطن .

إلا إذا كانت هنـاك شـواهد ورؤى وظهرت بوادرهذه الشـواهد علـى أحـد الأبناء غير الابن الأكبر، وتأكدت هذه الأمور بعلامات يقينية قاطعة كلها تـؤدى إلى اختيار أحد الأبناء (وليس من الضرورى فى هذه الحالة أن يكون الابـن الأكبر) فإن الأب يعهـد بالخلافة إلى من ظهرت الشواهد علـى صحة توليه أعباء الخلافة.

صيرورة ولاية العهـد: تولية الخليفة الجديد:

يختلف مركز الخليفة عن المراكز الدنيوية، فهو مركز دينى، لذا يتم إختياره عن طريق الأب "الخليفة" ويعرض الأمر على المجلس الأعلى للطرق الصوفية ويتم بحث المجلس للخليفة المتقدم وإقراره علـى من تم اسناد الخلافه لـه. وهنا يتم إختيار خليفة وليس مـريد، أى هناك فرق بينهما.

النــــــــذورات:

نوعيــة النـــذور:

فى الماضى كانت متنوعة إما ملابس أو ذبائح، كساء للضريح، ثريات للمسجد، تحف ثمينة تحفظ فى علب من الفضة، تقديم بعض الهدايا لشيخ المسجد وللخليفة.

معظمها حالياًتحول إلى نذور مادية توضع فى الصناديق أو المساهمة فى بناء أوتجديد مسجد، اوإيقاد شموع أو مساعدات عينية مثل "الفتــه" والأرز.

النظرة الى النذور :

هى من قبل تقديم الاجلال والتقديس للولى، ولذا يعد الإهمال او التقصير فى الوفاء بالنذر يجلب الكوارث واذا حلت بالشخص اى ضائقة من أى نوع يعزوها لاهماله فى آداء النذر .

البعض يرفض فكرة النذور للأولياء نهائياً بل يجب ان تقدم للفقراء والمساكين وليس للولى

حصيلة النذور :

تؤول حصيلة صناديق النذور إلى الدولة، وهناك وقف للاحمدى وكانت نظارة هذا الوقف تؤول إلى الخليفة الأحمدى وأسند حالياً الى وزير الاوقاف بصفته المالية .

ثالثــاً – الأبعاد الثقافيـــة

الموالــــد

يعقد للسيد البدوى ثلاثة موالد : المولد الرجبى، المولد الصغير، المولد الكبير والاخير يعقد فى أكتوبر من كل عام ويستمر أسبوعاً.[١٣٥]

موكب الخليفة:

هناك ثلاث مواكب للخليفة أثناء المولد الأحمدى ، يطلق على مصطلح الموكب بالعاميه "زفة" وهى التعبير الشعبى لكلمة موكب.

الموكب الأول

وهو موكب الخليفة الافتتاحى يوم الجمعة ١٠/١٠ وهو اعلان عن بدء المولد حيث يصطف جنود من قوات الشرطه اذ تتقدمه قيادة الشرطة ووحدات الأمن بأنواعها وكافة الأجهزة الأمنية السريه و البحث الجنائى وأمن الدولة وخلافه، يعقبه مباشرة موكب الخليفة وفيه يمتطى صهوة فرس يحيط به جمع حاشد من أبنائه الروحيين ومريديه وبعض ممثلى الطرق الصوفيه الأخرى .

ويعد هذا الموكب أصغر المواكب الثلاثه فهو لمجرد الإعلان الرسمى والشعبى بافتتاح المولد.

والموكب تقليد للأثر الذى أرسى دعائمه سيد عبد المتعال الانصارى الخليفة الأول للسيد احمد البدوى .

وفى المواكب الثلاثة يتجه الموكب اولا الى أحد الشوارع الضيقة المتفرعة من ميدان الأحمدى لقراءة الفاتحة حيث يوجد ضريح ولى من أولياء الله هو " سيدى سالم المغربى " وهذا الولى كان من أوائل من رحب بقدوم السيد أحمد البدوى الى طنطا ثم يتوجه الموكب إلى ضريح السيد احمد البدوى .

الموكب الثانى

يقع يوم الخميس الموافق ١٠/١٦ ، أى قبل الجمعة الختاميه، وفيه يغادر الخليفة داره حيث يصطف جنود الشرطة على جانبى الطريق صف عن يمين الشارع والآخر على اليسار يحملون بنادقهم، وتصدح الموسيقى العسكرية معبرة عن البهجة والسرور.

ويسير جملان وراء الخليفة يتم تزيينهم بألوان زاهية متنوعة أهمها الأحمر القانى يمتطى كل منهما شاب يدق على طبلتين أحداهما فى يمين الجمل والأخرى عن يساره ، وهذه الدقات لتناسق وتتناغم مع انغام وأصداء الموسيقى العسكرية . ويرمز الجمل الى السيد احمد البدوى فى قوته وصلابته وصبره وتجواله فى انحاء الصحراء . إذ جاب من المغرب إلى مكة والحجاز والعراق ويستقر أخيراً فى مصر.

ويتوجه هذا الموكب فى خط سير مختلف، حيث يسير فى منطقة شارع الحلو وشارع الجلاء، ثم شارع شوقى، حيث يوجد ضريح السيدة عارفة باللـه وهى "السيدة فاطمة العنانية" إشتهرت با لبركات والكرامات.

وهناك يجد فى إنتظاره وإستقباله الخليفة الشناوى الأحمدى وهو رئيس الطرق الشناوية الثلاث وهم " الشناوية فقط، والشناوية الأحمدية، والسادة الغباشية".

ويجد شيوخ هذه الطرق الثلاث فى إستقباله. وعند وصوله يترجل الخليفة ويهبط من فرسه ويحتضن الخليفة الشناوى الاحمدى الذى يعد شيخا للشناوية بأسرها كما ذكرنا. ويقرآون ما تيسر من الفواتح بطريقة جهريه ثم يجلسون أمام أحد المنازل التى استقر عليها العرف منذ مئات السنوات كعادة، ويأتى أحد أصحاب المحمود ويردد بعض الأذعيه، وتقرأ الفواتح فى هذه

الجلسة لكل أعلام خلفاء السيد احمد البدوى والسادة الشناوية، ويستغرق هذا اللقاء مدة ربع ساعة، ثم يختتم بقراءة الفواتح الجهرية ويغادر الخليفة المنطقة ويعود إلى الجامع الأحمدى حيث يجد جمعا غفيراً من مريديه فى إنتظاره لقراءة سورة " تبارك" وسورة "الملك" ثم ينصرف الخليفة الى داره .

الموكب الثالث

يغادر الموكب حيث يبدأ من منزل الخليفة قبل صلاة الجمعة، أى يوم الجمعة الختامية إلى ضريح سيدى سالم ثم الجامع الأحمدى وبعد صلاة الجمعة يكمل الموكب مسيرته تتقدمه كما ذكرنا قوات الشرطه وخلفه الجمال ثم المريدين والأتباع والزوار وتطلق النسوة الزغاريد وهى تسير مصاحبة للموكب.

وهذا الموكب هو الوحيد الذى يرتدى فيه الخليفة ملابس السيد احمد البدوى وهى عبارة عن قميص وعمامة وأيضا أحجبته.

أزيــاء السيد احمد البدوى:-

القميص:

وتمت حياكته على نظام "الدلق المغربى" لأن السيد احمد البدوى ولد بالمغرب ، ويتفق القميص فى شكله وتكوينه مع أشد انواع الملابس بساطة طلبا لستر الجسد لاأكثر ولونه احمر .

والقميص حاليا فى حجم غطاء الفراش "اللحاف" فمن أجل حمايته من الاندثار كان يغلف بطبقة أخرى من القماش، وكلما رث وبليت أنسجته يوضع له طبقة اخرى حتى صار سميكا وثقيلا للغاية.

العمامه:

وزنها يتجاوز ٨ كيلو، من الليف المغربي النادر، وبها اللثام لتغطية الجبهة .

الأحجبة:

اثنين من الأحجبة مغلفة بجلد سميك يربطهما شريط قيطان أحمر لربط الحجابين معاً، توضع على الكتف وتتدلى الأحجبة تحت الإبط من الأمام و الخلف .

هذه الملابس وهي القميص والعمامة والأحجبة يرتديها الخليفة في الموكب الثالث .

وهناك متعلقات أخرى باقية من السيد احمد البدوى وهي :

ـ مسبحة ألفية من خشب الصندل النادر، وكل حبة من حبات تلك المسبحة لا تتشابه مع الأخرى واللون البني هو الغالب عليها وهذا الإختلاف بين حبات المسبحة يرجع إلى طبيعة الممارسة التعبدية التي كانت تتم على حبات هذه المسبحة .

ـ "مشط" لتمشيط شعر الرأس، وآخر لتمشيط شعر الذقن .

ـ عصا من الأبنوس بآخرها رأس مستديرة يطلق عليها "المهراش" أي هراشة .

تظل هذه البقايا في حجرة المتعلقات الخاصة بالخليفة داخل المسجد الأحمدى لايستخدمها أحد حتى الخليفة نفسه، فيما عدا القميص والعمامه والأحجبة تلك التي يرتديها مرة واحدة فقط في كل عام حتى لا تستهلك وتحتفظ برونقها لما لها من قيمة دينية وروحية .

أزياء الطرق الصوفيــه

يطلق على أصحاب الطرق الصوفيه مصطلح "الدراويش" و"الدرويش" كلمة أنجيليزيه DERVISH تعنى متعبد او زاهد والمقصود بها الرجل الذى يصل إلى مرحلة رفيعة المستوى مع الله، بخلاف المعنى الذى يقصده العامه .

وهؤلاء كل منهم له حضرة ، تسمى الحضرة الإلهيه ويوصف بها الشخص الذى استنار عقله وقلبه واقترب إلى اللـه والتصق به.

وهناك العديد من الطرق الصوفيه، وفى كل يوم تنبع طريقة جديدة وتنبثق من هذه الطرق القديمة.

وأهم هـذه الطـرق هـى الطريقـة الرفاعيـه، الطريقـة الشـاذليه، الطريقـة الأحمديـه، الطريقـة الدسـوقيه "إبـى العينـان"، الطريقـة الجيلانيـه، والطريقـة البيوميه .

إشارات وعلامات تلك الطرق:

-الزى المحمدى: الذى يشمل جميع الطرق، اشارته او علامته هى باللون الأبيض او الزى الأبيض.

– زى الطريقة الرفاعيه: يتكون من اللونين الأبيض والأسود وأحيانا يغلب عليه اللون الاسود .

– زى الطريقة الدسوقيه: يرمز اليهل باللون الأخضر وبالمثل الحسين .

– زى الطريقة الجيلانيه: يشار اليها باللون الأصفر او البرتقالى .

–زى الطريقة الشاذلية: ينحصر فى اللونين الأصفر والأبيض .

– زى الطريقة البيوميه: أحمر قاتم .

– زى الطريقة الأحمدية: تتميز باللون الأحمر القانى.

تعريف الاشارة او العلامة:

او الوشاح عبارة عن شريط من القماش الحرير يلتف حول الصدر والظهر ويشير الى الطريقة الصوفيه التى ينتمى اليها الصوفى او الدرويش .

ويشترط ان تكون العمامة "الطاقيه" او غطاء الرأس من نفس اللون الخاص بالاشارة او العلامة . أيضا الجلباب الذى يرتديه الصوفى وكذلك المسبحة او ما يسمى بالمشرحه لو أمكن بنفس درجة لون الاشارة .

العادات الثقافيـــة المرتبطة بالمولـد:

- ولائـم الخليفة:

يعد الخليفة عدد من الولائم أثناء فترة الاحتفال، وأطلق على تلك الولائم قديما مصطلح "تكيــة" أى يصرح لكل أحد ومن يريد أن يشرب او يتناول طعاماً يجد المائدة معدة فى أى وقت وهى ولائم تقليدية حرص الخلفاء على مر الأزمنة على إقامتها.

وأصبحت هـــذه الولائم تقام فى أيام محددة.

ـ الخـــــدمة:

الخدمة معناها يؤدى فيه الطعام والشراب لمن يسلك الطريق ولمـن لا يسلكه، حيث يتساوى الفقير والغنى فى الجلوس والمأكل ويقدمها شيوخ الطرق الصوفية أو أتباعهم وقد تكون على نفقة الشيخ نفسه أو بتعاون مريديه فى الخدمة، وهذا التعاون قد يكون مادى أو عينى أو الأثنان معاً ، عمـلا بالمبدأ القائل " من خدم يخدم " والمقصود به من خدم الله وصار فى طريقه يخدم بتسخير من عباده بدافع الحب ودافع الأمر الباطنى.

والخدمة مظهر من مظاهر الطرق الصوفية يعبر عن مظهر إسلامي اجتماعي

وتتكون الوجبة الأساسية في الخدمة من "الفتــة" وهي عبارة عن أرز ولحم وحساء وخبز، وهناك من يقدم أنواع أخرى من الأطعمة كل حسب قدراته المادية وظروفه الأجتماعية.

وهذه الخدمة لا تقتصر على شيوخ الطرق الصوفية، بل نجدها تنتشر بين أهالي المنطقة بعضهم يقدم "الزلابية أو لقمة القاضي" أو "الفطير المشلتت" بل :ن زوار المولد بعضهم يحضر معه أواني الطهي ليهدى بقدر استطاعته علر سبيل نوال البركة.

وهناك من يربي عدد من العجول كخدمة للسيد أحمد البدوي تربطهم به علا، ؛ حب غامرة، فيقيم خيمة وينحر تلك العجول التي قام بتربيتها وتسمينها طوال العام ويطعم - وهذا يختلف عن الضحية التي تقدم في عيد الضحية، فنحر العيد أمر من اللــه، اما النحر من أجل ولى فهي خدمة ٠

- الســـــــقاة

من المظاهر التي تم ملاحظتها وجود بعض الشيوخ أو السيدات المتدثرات بوشاح أخضر يحملون على أكتافهم "قـــربة " عبارة عن جلد مملوءة بالمياه النقية المضاف إليه ماء الزهر أو ماء الورد له مذاق عذب وفي يدهم قسط مملوء بتلك المياه وفي الأخرى كوب يصب فيه من القسط كلما فرغ ، يقفون في مدخل الجامع أو في الساحة، يمدون أيديهم لكل قاصد للمسجد أو كل عابر سبيل ليشرب ويرتوي من تلك المياه. ويحرص بعض هؤلاء السقاة على زيارة موالد الأولياء لتقديم خدمتهم أينما كانوا.

ونجد هذا المعنى في المسيحية حيث قال السيد المسيح "كأس ماء بارد لايضيــع أجـــره ".

- طهارة الذكور:

يحرص بعض الزوار على اجراء عملية الطهارة خلال الاحتفال بالمولد وبجوار ضريح الشيخ السيد أحمد البدوى كنوع من البركة، أو وفاء لنذر، كأن تكون الأم لم يسبق لها انجاب ذكر بل كان انجابها يقتصر على الفتيات، او تكون عاقرا ورزقها الله بطفل بعد فترة طويلة من العقم، أو أنها أنجبت ذكوراً ولم يبق على قيد الحياة أحد منهم.

ولذلك أعدت مديرية الصحة ضمن خدماتها هذه الخدمة لزوار المولد باجر رمزى كما ذكرنا. وقال البعض من الإخباريين أن كلمة الختان لاتطلق على الذكور بل تناسب الاناث فقط .

- الشموع:

ومن الظواهر التى تلفت النظر اتجاه الزوار الى أحد أركان المسجد حيث يوجد آثار قدم الرسول يطلبون أمنياتهم، ودعواتهم يقفون لثوان أو لحظات، ويضعون أيديهم لينالون البركة ثم يتوجهون لإيقاد الشموع.

- مظاهر ثقافية إندثرت:

قامت المحافظة بالتعاون مع رجال الدين لتطهير الإحتفالات من البدع والخرافات حيث كان ينتشر بعض قراء الكف أو ضاربوا الودع الذين يهرع إليهم كثير من الجهلة، ولأن غالبية الزوار من الريف، أيضاً يقبل عليهم المتعلم والمثقف الشغوف بحب الفضول لمعرفة المستقبل، اختفت تلك الظاهرة وإن وجدت فهى نادرة جداً نظراً لانتشار الوعى الثقافى بل وأيضاً الدينى.

- مهرجان الخيالة أو الفروسية:

أقيم مهرجان للخياله ، ووجهت دعوة لكل الخيالة الذين يمثلون قيمة معينة فى عالم الخيالة وهم الذين ينحدرون من أسر لها تاريخ عريق فى هذا

المجال. من أشهر هذه الأسر عا ئلات عبد الغفار، وعطية، وبريق ونوير والمررة من الهرم من الذين يشكلون قيمة معينة في عالم الخيالة وهي قيمة الأصالة .

أقيم المهرجان في احدى الساحات الملحقة بدار الخلافة الأحمدية يوم الأربعاء الموافق ١٥ / ١٠، أبرزهم طفل لايتجاوز العشر سنوات ، من أسرة تشتهر بالفروسية، تربى الطفل واكتسب صفاتهم ومهارتهم وبرع في ادائه عن أقرانه.

بدأ المهرجان في السابعة مساءً وانتهى في الساعة الثانية عشر، ويتكون الفريق من ٣٠ خيالاً من أنحاء الجمهورية من طنطا والبحيرة والمنوفية والقاهرة وغيرها.

وسيتسع المهرجان فيما بعد وستوجه الدعوة الى الإخوة العرب في الدول العربية، وستقدم جائزة لثلاث فائزين كما ورد على لسان الدكتور محمد الخليفة.

الندوات الثقافيـــــة:

ـ ندوات وزارة الثقافة :

أعدت وزارة الثقافة ـ إقليم وسط وغرب الدلتا ـ مديرية الثقافة بالغربية ـ عدة ندوات بمناسبة الإحتفال بالمولد الأحمدى وبمناسبة انتصارات اكتوبر المجيدة والعيد القومي للمحافظة وأقامت عدة سرادقات في أماكن محددة، وحددت عددا من الموضوعات وقام بإلقاء المحاضرات أشخاص على مستوى رفيع وضمت أعلام الفقه والأدب، ناهيك عن رموز الفكر الإسلامي بحيث تليق بالاحتفال بقطب من أقطاب الطرق الصوفية بإحياء مبادئه.

- أماكن النــــدوات:

- الساحة الأحمدية.

- مبنى شروق بمنطقة الحدادين.

- ساحة المولد بحى سيجر

- موضوع النــدوات:

- الإيمان فى سبيل التقوى.

- أثر السلوك الإيمانى فى الإنسان

- سبيل التقوى فى الولى

ألقيت هذه الموضوعات فى الأماكن الثلاث فى وقت واحد وفى نفس الأيام وهى : السبت والأحد والاثنين.

وكان يتخلل هذه الندوات انشاد دينى، ومديح فى الرسول أو السيد أحمد البدوى، وألقيت بعض الأشعار التى أعدها أحباء السيد البدوى، وبمعنى آخر كانت أمسيات ثقافية ضمت متنوعات من شعر وزجل وانشاد دينى روحى بالأضافة الى الموضوعات الأساسية التى تم تحديدها مسبقاً

- مؤتمر وزارة الأوقـــــاف:

أعدت وزارة الأوقاف المؤتمر الصوفى الإسلامى الجامع الذى عقد بدار الخلافة الأحمدية فى الليلة الختامية للمولد وحضره أعلام الإسلام مثل شيخ الأزهر ووزير الأوقاف ورئيس جامعة الأزهر والشيخ محمد متولى الشعرواى، وجمع كبير من شيوخ الطرق الصوفية با لإضافة إلى الأعداد الهائلة من الزوار.

رابعاً ـ المظاهر والأبعاد الترفيهية:

مظاهر الإحتفال الاساسية باقية حيث تتلألأ الأنوار ذات الألوان المختلفة وتملأ أرجاء المنطقةعبيق البخور ، وتعلق الزينات والأضواء البراقة على واجهات الحوانيت.

ويلمح الزائر "صفوف متراصة في نصبات" باعة الحلوى بعضها مغلف بأوراق مذهبة او مفضضة تعكس الألوان الزاهية المتألقة فتزيد من بريقها ولمعانها.

ولابد أن يشترى الزائر السلال التى تصنع خصيصاً لتلك المناسبة وهى تعكس روعة الفن المصرى بألوانها المتنوعة، وإتقانه، وتنتشر الملاهى بكافة أنواعها سواء للأطفال أو الكبار كالمراجيح واللعب مختلفة كإطلاق المدفع ، أو البندقية، شد الحبل ،أو الكرة " "والأراجوز"، أو السيارات التى تسير بالكهرباء فى نطاق محدود، وأيضاً يوجد مسرح صغير.

المظاهر الترفيهية المندثرة:

اندثرت الملاهى الراقصة، ولعب القمار، أوشرب الخمر والسيرك التى كانت تعد سمة أساسية من سمات الموالد، واقتصرت الملاهى على الجانب الترفيهى للمحتفلين بالمولد، بما يتفق مع جلال المناسبة، وما ينبع من مصادر التشريع الإسلامى .

خامساً ـ الأبعــاد الإجتماعيــة:

الإقـــامة:

ـ يزحف ملايين من الزوار من كافة انحاء الجمهورية من الوجهين البحرى والقبلى الى طنطا بل وأيضاً من خارج الجمهورية من تلك الأمم والشعوب التى تدين بالإسلام، ولا ينقطع رنين الهاتف لدى الخليفة الأحمدى يستفسرون عن ميعاد الاحتفال بذكرى السيد أحمد البدوى.

وهناك أنواع متعددة لإقامة هؤلاء:

ـ الغالبية العظمى من الزوار الذين يحرصون على الحضور سنوياً لديهم خيامهم الخاصة بهم يحضرونها معهم.

ـ هناك خيام تتبع وزارة الأوقاف.

ـ أخرى للطرق الصوفية تنتشر فى كافة أنحاء المولد.

ـ الامتداد العمرانى فى المناطق المحيطة بالمدينة أدى الى استخدام هذه المبانى لإيواء الزوار، البعض يقدمها خدمة للسيد البدوى والبعض يقوم بتأجيرها.

ـ أما الإقامة فى الفنادق فطا قتها لا تذكر ، حيث أن عدد الفنادق بالمدينة محدود لا يستوعب العدد الهائل الوافد ، وحتى ما وجد منها نظراً لقلة عدد الحجرات وعدد الأسرة التى يمكن أن تشغل الزوار لذا يمكن إسقاطها وعدم أخذها فى الحسبان عند التحدث عن الإقامة.

ـ أما من ليس لديه القدرة على إستئجار الأماكن السابقة، نجدهم يفترشون الأرض حول المسجد وعلى الأرصفة، اويستظلون تحت شجرة أوعامود إنارة ، ولا يهتمون إن كانوا فى العراء أو داخل خيمة أو مسكن، فشغلهم الشاغل هو

الإحتفال بالمولد وقضاء هذه الأيام في رحاب السيد البدوي. مهما قاسوا من متاعب، أو تعرضوا لتقلبات الجو أو المطـر.

- وقد تميز هذا العام بفتح بعض المدارس لإيـواء الزوار في فنائها أو داخل حجرات الأشغال والموسيقى.

عـــــدد الزوار:

بلغ عدد الزوار ٣ مليـــون نسمة، وإن كانت زيارة السيد أحمد البدوي ليست شعيرة مقدسة، ولكن من أجل كرامة من أحب الله فما كان للـــه دام وإتـــل ، وما كان لغير اللـــه إنقطع وإنفصــــل.

نو يــــة الزوار:

ـريق هدفه إحياء ذكـرى الولي.

نوع يحرص على التبرك بالولي ويشمل البسطاء والفقراء والأغنياء، الأمي والمثـقف لافرق بينهما ويرى أنه إذا لم يتمكن من الحضـور لأي سبب سواء كان بإرادته أو رغماً عنه ، سيصيبه أذى أوضرر ويعتقد أن زيارته ستفتح أبواب الرزق أمامه بل تغمره بسعادة بالغة.

ومنهم من كان مريضاً جاء لطلب الشفاء، أو مـن كانت عاقرا أوعقيما تأمل في تحقيق أملها بإنجاب طفل.

وفريق يبحث عن الترفيه والسياحة وقضاء وقـت ممتع وهـم الفئة الشبابية حيث تتجمع الفئات العمرية المتقاربة وقد يكونـوا من بلدة واحدة أو قرية واحدة أو مدينة واحدة، وربما يكونون زمـــلاء مدرسة، او زمـلاء مهنـة، أو رفقاء ناد معين أو أبناء عائلة قرابية كبيرة، أو أصدقاء جوار منهم المسلم ومنهم المسيحي يتجمعون سنوياً لزيارة المولد ويتجولون معاً لايفترقون ليس

فى هذا المولد فقط بل ايضاً تتم المشاركة فى موالد المسيحيين.، فهى أيضاً تجمع بين المسلم والمسيحى مثل مولد مارجرجس والسيدة العذراء بالزيتون، إذا إحتك أحد بفرد منهم يلتف الجميع حوله يساندونه ويعضدونه الى أن ينتهى الموقف وينفض النزاع الذى نشب بين أحدهم وبين زائر آخر،إذا تألم أحدهم يسارعون لنجدته والبحث عن طبيب أو نقله للمستشفى، إذا فقدت حافظة أحدهم يمكنه أن يكمل رحلته معهم دون أن يشعر بأنه فقد شيئا .يشتركون فى الوجبات أو الإقامة وحتى العربة التى تقلهم ينتظرون الى أن يجدوا عربة يستقلونها معاً حتى لا يفترق أحدهم عن بقية الجماعة.

ونمط آخر من الزوار يهدف للتسويق والتجارة سواء للبيع أو الشراء.

بالإضافة إلى الجمع الغفير من الطرق الصوفية وما انبثق عنها من طرق فرعية هدفهم إحياء الذكرى ونوال البركة ونشر طرقهم الصوفية . وتظل المدينة مكتظة بالزوار لعدة أيام.

أما عن المشاركة بين المسلمين والأقباط فهى قديمة جداً ، إذ أن التاريخ يذكر أن ابن طولون كان يقيم الولائم وكان المسلمون يحتفلون بالأعياد القبطية مشاركة لأخوانهم الأقباط، وسار على نهج الطولونيين الأخشيديون فى الإحتفال بأعياد النصارى، حيث الإحتفال بعيد الغطاس إحتفالاً عظيماً كتب عنه المؤرخ الجغرافى المسعودى فى "مروج الذهب" بعد أن شاهده بنفسه حيث قال " إن الناس لاتنام فى ١١ طوبة، ٦من كانون الثانى" ، ولقد حضر بنفسه ليلة الغطاس عام ٣٣٠ هـ بمصر.

وكان المسلمون يشاركون الأقباط فى تلك الأعياد، بل إن بعض الولاة إشتركوا فى تلك الإحتفالات فى عهد الإخشيديين والفاطميين [١٣٩].

وهذه المشاركة ما زالت موجودة حتى عصرنا الراهن فقد يشعل المسلم شمعة فى كنيسة السيدة العذراء إذا ألمت به ضائقة، أو يوزع المسيحى صدقة عند مسجد أحد الأولياء وفاء لنذر كالسيدة المسيحية التى قدمت كبشاً للبدوى حينما رزقها الله بطفل(١٣٧).

ـ العلاقات الإجتماعية بين الزوار:

لا شك أن مولد الأحمدى يلعب دوراً هاماً فى تنشيط الزيارات وتوطيد أواصر الصداقة والحب، ويؤدى الى تقوية الروابط والعلاقات الإجتماعية بين الأقرباء بعضهم البعض، سواء داخل طنطا أو خارجها من المناطق المحيطة.

أيضاً يتيح فرص التعارف بين الزوار الذين يجاورونهم فى الخيمة أو فى موقع الإقامة المؤقتة سواء الذين وفدوا من مناطق قريبة من طنطا أو من مناطق نائية بعيدة فيؤدى إلى تقارب وجهات النظر وربما يجد البعض منهم عروسة لإبنه، أو زوج لإبنته من الأقارب الذين لم يرهم ولم يلتق بهم منذ زمن بعيد حينما كان الأبناء أطفالاً صغاراً يجدهم وقد صاروا شباباً يافعاً أو فتيات زهرات وربما يتم التزاور بين أقرباء لم يسبق لهم زيارتهم من قبل، فيتم العديد من الزيجات، وتقام الأفراح وتتوطد العلاقات وتتواصل تلك التى إنقطعت منذ زمن بعيد ، أو تنشأ علاقات جديدة لم تكن موجودة من قبل.

سادساً: الأبعاد الإقتصادية:

حتى عهد قريب كان المولد يقام لمدة شهر، ولكن نتيجة لتغير الظروف الإقتصادية إذ أن الميكنة الزراعية لم تعد تتيح للمزارع الوقت الكافى كما كان فى الماضى، فالمزارع قبل ظهور تلك الميكنة وانتشارها كان لديه فراغ اذا ما قام بزراعة القمح فهو يذريه ويدرسه وينتظر لحين إتاحة الفرصة لخدمة الأرض. حالياً تغيرت تلك الظروف ولم تعد تسمح بإقامة المولد لمدة شهر.

ومع ذلك يتجمع حول مسجد السيد البدوى العديد من الأسواق أهمها :
سوق النحاس، سوق الموبيليات، تجار الأقمشة والمنسوجات ، تجار الأخشاب، محلات النجف، مستلزمات المطبخ وتنتشر أيضاً فى طنطا العديد من مصانع الحلوى.

فكما أن ضريح السيد يعد مركز إشعاع ثقافى ودينى فهو أيضاً منطقة إقتصادية لها أهميتها إذ يحضر إليه أفواج من البشر إما لتصريف البضا ئع أو لشراء البضا ئع.

وتغمر المولد المواد الغذائية بأنواعها المجفف منها والمطهو والسندويتشات وإن كان الزائر وبالأخص العا ئلات يجلبون معهم بعض الأطعمة ويشترون البعض الآخر، ومنهم من يشترى من محل معين بالذات إشترى منه والده وجده.

تجهيز العرائس:

والمزارع يبيع محصوله من القطن ويسرع الى المولد لتجهيز ابنته من الحوانيت التى حول المسجد فينتقى ما يريد من ثريات أو أكواب وفناجين وكل مستلزمات المطبخ كل حسب طاقته، على اعتبار "أنها بركة" من صاحب المولد تغدق على العروسين وتمنحهم السعادة والإستقرار والإطمئنان، ويختار الموبيليات وأيضاً الأوانى النحاسية من سوق النحاس.

مصانع الحلوى و"نصبات" الحمص:

يتم تشغيلها لتسد حاجة الزوار وهى تصنع بكميات هائلة من الحلوى خصيصاً للمولد وتباع مقادير من الحمص، إذ يحمل الزوار ما يستطيعون

حمله، وما يقدرون على شرائه من حمص وحلـوى لهم ولذويهم ولأصدقائهم وجيرانهم.

ويزداد الإقبال على أعمال الفراشة بالذات للإحتياج الشديد لإقامة الخيام كمأوى لهم وحماية ودرءاً للمطر .

و تزدحم المنطقة بباعة القصب الذين يأتون من نجع حمادى بـالذات لرواج تجارتهم.

ويتقاضى أيضاً مجلس المدينة ايجار أرضية للخيام سواء الخاصة بالأهالى أو تلك التى تقيمها الطرق الصوفية.

رجـــال الأعمـــال:

يستغل رجل الأعمال الفرصة لدعوة رجال الأعمال من خارج طنطا أو من داخلها ويقيم لهم وليمة بمناسبة المولد، وقد يعقد صفقات إقتصادية جديدة.

التجــــــار:

نتيجة لإحتكاك أنواع مختلفة من البشر، تبزغ سلوكيات تجارية جديدة، مما يدفع التجار لإستحداث أنماط جديدة وأساليب جديدة تتوافق وتتلاءم مع التغيرات بما يحقق لهم مصالح ومكاسب تجارية أكثـــر.

المـــــواصلات:

تزداد حركة المرور، وتتكدس بصفة خاصة المواصلات العامة بكتل بشرية نظراً للتجمع الشعبى الهائل داخل طنطا، ويبدو للناظر للوهلة الأولى وبالأخص فى اليومين الأخيرين وهما مساء الأربعاء والخميس من أسبوع الإحتفال، أن الأفواج المتجهة الى المسجد تسير بانتظام وبحركات رتيبة

وهادئة، لايسبق أحدهم الآخر بل يسيرون فى تؤدة وروية وبالمثل وهم ينصرفون من باب المسجد.

الملاهى :

وهي متنوعة ويعد المولد موسم أساسي لها. وهناك كثير من الباعة يعيشون على مبيعا ت هذا الأسبوع يستعدون له قبل ميعاده، وحصيلته ربما تكفى الكثيرين فى الأيام التى تليه.

مولد سيدى ابراهيم الدسوقى:

يرتبط إرتباطاً شديداً بمولد السيد البدوى إذ أنه يتحدد بناء عليه وهناك زوار يأتون من مناطق نائية كأسيوط والمنيا وسوهاج والأقصر وأسوان يستقرون فى طنطا لمدة أسبوع حتى يتاح لهم حضور مولد الشيخ ابراهيم الدسوقى فى الأسبوع الذى يليه.

وبالمثل ينتقل التجار وباعة الحلوى والحمص والأدوات المنزلية والملابس الى مولد الدسوقى.

أى أنه موسم نشاط إقتصادى وتجارى غامر، فقد يرى أحد الزوار آلة غزل ونسيج، أو ترى سيدة ماكينة خياطة حديثة، أوجهاز كمبيوتر لا تتردد فى شرائه . وهكذا.

سابعاً : الأبعاد الصحية:

أعدت مديرية الشئون الصحية تعبئة شاملة طوال فترة المولد من ١٠ ـ ١٢ أكتوبر شملت:

- فرق أغذية للتفتيش على الباعة الجائلين، والحوانيت الخاصة بالمواد الغذائية، والأضطلاع على الشهادات الصحية، والتفتيش على جودة الأغذية وتاريخ صلاحيتها.

- فرق لمكا فحة الحشرات كالذباب والبعوض عن طريق السيارات التى تتجول فى أنحاء المنطقة ولا تتمركز فى مكان واحد لرش المبيدات وتطهير الجو وتنقية الهواء.

- أعدت ثلاث وحدات تنقسم كل وحدة منها الى أجزاء وهى عبارة عن "خيمة مقسمة" إلى ثلاثة أجزاء:

- قسم عبارة عن عيادة لإستقبال حالات الطوارىء والإسعافات الأولية وصرف علاج ومسكنات بسيطة ووخز الحقن.

- قسم لإجراء الجراحات البسيطة كطهارة الأطفال الذكور فقط وقد تحدد رسم الطهارة بمبلغ خمسة جنيهات كأجر رمزى حيث يتردد على المولد عدد كبير من الزوار الغرباء الوافدون من مناطق نائية أو قريبة يحرصون على إجراء عملية الطهارة بالمولد، ولذا رأت المديرية أن تقدم هذه الخدمة بصورة أفضل وتحت إشرافها بدلا من اللجوء لوسائل أخرى.

- القسم الثالث من الخيمة عبارة عن إستراحة للإدارة .

- أعد مرفق إسعاف يعمل طوال ٢٤ ساعة.

- كل موقع من الوحدات الثلاث مزود بسيارة إسعاف لنقل الحالات المستعصية إلى المستشفى.

وتقدم المديرية جميع الخدمات الطبية : الكشف، والعلاج، والأدوية، والغيار على الجروح البسيطة الحديثة بالمجان، أما الجروح القديمة فيتم تحويلها إلى المستشفى .

نــــوعية الحالات:

أكثر الحالات هي حالات المغص نظراً لإقبال الزوار على شراء الأطعمة المتنوعة وتناول كميات كبيرة منها دون تحفظ أو حذر، تليها حالات الجروح الخفيفة، وتنتشر بعض الأزمات الصدرية كالربو أو الإنفلونزا للإقامة في العراء أو داخل الخيمة والخروج فجأة في الجو الرطب.

النوبتجيات أو الورديات:

تعمل في كل وحدة ٦ أطباء ـ ٦ ممرضات يتم توزيعهم على ثلاث فترات "ورديات"

ـ الفترة الأولــى من ٨ صباحاً إلى الساعة الثالثة ظهــراً ٠

ـ الفترة الثانيــة من ٣ بعد الظهر حتى الساعة التاسعة مساءً٠

ـ الفترة الثالثـــة من الساعة التاسعة مساءً حتى الثامنة من صباح اليوم التالي.

ويتم توزيع الأطباء والممرضات على الفترات الثلاث ، بحيث يتكون الفريق الطبي من ٢ أطباء + ٢ ممرضة في كل فترة ، أما في الفترة المسائية تقتصر على ممرضين ذكور، والأطباء أحدهما لعيادة الإستقبال والآخر للجراحة ٠

الثقافـــــة الصحية:

أعدت سيارة مجهزة لعرض أفلام صحية لزوار المولد حيث أن الغالبية العظمى منهم من الريف، تعمل في الفترة المسائية وتنتقل من مكان الى آخر لتجول حتى يشاهد الأفلام أكبر عدد من الزوار لبث الثقافة الصحية لدى الجماهير الغفيرة ٠

- مـــركز طبى لتنظيم النسل:

أقيم بمنطقة سيجر " وهى المنطقة التى يتركز فيها زوار المولد بداية من كوبرى ستوته حتى سيجر " مركز طبىلتنظيم النسل ومنح وسائل تنظيم النسل كالأقراص وغيرها وتركيب اللولب بالمجان.

- دورة ميـــاه مؤقتـة:

يعـد مرحـاض ميدانـى لكـل خيمـة يحفر فـى الأرض، ويوضـع بداخـل المرحـاض جير حى من أجل التطهير، وهـذه الـدورة مؤقتـة تنتهى بانتهـاء المولد.

ثامنـاً: الأبعاد الأمنيـــة:

هناك تواجد من جميع فرق الأمن من قوات مديرية أمن الغربية لتشمل ادارات البحث، والدفاع المدنى والمفرقعات، أمـن دولـة، بحـث جنـائى، مباحث تموين، شرطة عسكرية، قوات مسلحة، إدارة صحية، قطاع التموين، قطاع الكهرباء وكذلك مجلس المدينة.

يهدف تحقيق السيطرة الأمنية على تجمع جمهور المواطنين بما يبعث الأمن والطمأنينة لزوار المولد الأحمدى.

وهنـاك عـدة نقاط أمنيـة ويرأس كـل نقطـة رئيس يباشر ثـلاث نوبتجيـات "ورديات" وكل نوبتجية تتكون من رئيس وعدد من الضباط بالإضافة الى قوة من القوات النظا مية. ويبلغ عدد أفـراد النوبيجيـة الواحـدة ١٥ فـردا، أى أن النقطة الواحدة التـى تعمـل ثلاث نوبتجـات تستوعب ٤٥ فـردا. تعمل على مدار ٢٤ ساعة.

ـ وأكثر الجرائم إنتشاراً هى جريمة التسول والتشرد، حيث يتم القبض علي المتسول وترحيله لمحل إقامته لمنع انتشار الجريمة، ويتخذ اللازم ضده قانونياً .

ـ يليها النصب الخفيف والغش، أى بيع شيء لم يكن هو المقصود شراؤه فالمولد فرصة لترويج السلع المغشوشة ، وهى من المخالفات المتواجدة بكثرة وهنا يأتي دور مباحث التموين ومفتش التموين بما لديه من خبرة تمكنه من إفراز السلع الجيدة من السلع الرديئة والمغشوشة.

ـ المعاكسات متواجدة وشيء وارد فى كل تجمع، حيث يتم تحرير محضر بالواقعة ويعرض على النيابة المختصة فى حينه.

الآداب منتشرة بين الجنسين

ونادرة الحدوث بجوار المسجد ولكنها تتواجد داخل الخيام فى سيجر.

ـ البلهاء والمجاذيب: يوجد بعض الأشخاص يفتقرون لرجاحة العقل، فيسلكون سلوكا إرتجاليا لقضاء حاجتهم. وقد يؤذى الآخرين بسلوكه أو أفعاله دون أن يدرك أويعى ذلك.

ـ النشل والسرقة: أكثرها انتشاراً سرقة الأحذية أمام المسجد أما بقية السرقات تقتصر على نشل حافظة نقود، أو ساعة، أوقرط طفلة أوسلسلة امرأة أو سرقة محتويات سيارة.

وحالة واحدة لريفية بهرتها ألعاب الملاهى والمراجيح وكانت تحمل طفلة لم تبلغ الأربعة شهور، لاحظت ذلك سيدة تقف بجوارها فعرضت عليها حمل الطفلة لحين انتهائها من التأرجح، وبعد تمتعها برغبتها لم تجد طفلتها أو حاملة طفلتها.

وفيما يلي بيان بالجرائم أثنـــاء المـــولد:

	عددالحالات
ـ الأسلحة الناريـــــــة	١٠
ـ الأسلحة البيضـــــاء	١٧١
ـ مخدرات: إتجار وتعاطى بانجو، حبوب مخدرة	٥١
ـ قضاياآداب متنوعة: تعرض لأنثى، أعمال منافية، هتك عرض. وفعل فاضـح •	٤٠٦
ـ قضايا مصنفات فنية: شرائط دينية منسوخة ومقلدة، كتب دينية بدون ترخيص	٥٥١
ـقضايا أحداث	١٤٣
ـ قضايا ضبط الهاربين من أحكام	٢٢٦
ـ الإشتباه الجنائي	٧٣٤
ـ فحص المسجلين	٢٢٦
قضـــايا متنوعــــــة :	
ـ نشل	٢
ـ سرقة محتويات سيارة	٢
ـ عصابة من ٤ أفراد لسرقة السيارات إرتكبت جرائمها فى ثلاث محافظات	١٥ سرقة سيارة
ـ جنايات	١١
ـ ضياع طفلة	١

تاسعــاً : الخدمات الكهربائية:

لما كان التيار الكهربائى هو أهم الأنشطة فى فترة "المولد" لذلك قامت شركة توزيع كهرباء جنوب الدلتا، ممثلة فى إدارة كهرباء أول طنطا بتوفير الآتى:

ـ توصيل التيار الكهربائى لجميع المرافق الموجودة بالمولد الأحمدى وتأ مينها.

ـ تدعيم منطقة المولد بمحولات جديدة ، وأسلاك جديدة وكابلات وقواطع، والعمل على إعادة توزيع الأحمال القائمة.

ـ تأمين واستقرار التيار الكهربائى عن طريق مولدات ديزل كافية لإحياء المولد بالكامل. إذ كانت ترتكز على حاجتين أساسيتين هما توصيل الكهرباء وتأمينها لكافة الخيام الموجودة فى الساحة والملاهى التى أتت خصيصاً من أنحاء الجمهورية للمشاركة فى الإحتفال، وبث السرور وإشاعة الفرح والبهجة بين الزوار وأيضا لتزويد ميدان المسجد بصفة خاصة.

ويقدر إستهلاك الكهرباء فى فترة المولد بحوالى ٨ مليون كيلو وات ساعة، أى أحمال إضافية للمولد، بخلاف الحمل الأساسى للمدينة.

ولذلك تم تشغيل ١٤ محول – ٥٠٠ كيلووات، ٤ محول – ٣٠٠ كيلووات يتم توزيعهم فى منطقة الميدان التى تنحصر فى الآتى:

خيام مستجدة ، زينات المحلات القائمة، مصانع الحلوى التى لتنتج أكثر فتستهلك كهرباء أكبر إذ تتميز المنطقة بمصانع الحلوى التى تعمل طوال العام.

والزينات والأضواء والأنوار التى تعلق على واجهة الحوانيت يتكفل بنفقات تلك الإضاءة أصحاب الحوانيت.

أما كهرباء المسجد ، وخيم الخدمات، والداخلية ومجلس المدينة فهي فقط على نفقة المحافظة.

أما الساحة في منطقة سيجر فهي تضم مجموعة من الخيام بعضها خاص بأهالي المنطقة والبعض يتبع الطرق الصوفيه، وأخرى خاصة بوزارات الأوقاف، حيث يتم حصر عدد اللمبات بكل منها على حدة ويتم ذلك بالممارسة وتقدر إستهلاكها بالتقريب. وهناك عدادات مؤقتة للملاهي المقامة بالساحة تستعيدها شركة الكهرباء بعد إنتهاء المولد.

ب - "مولد" مارجرجس

- مقدمة:

تقيم الكنيسة القبطية للقديسين أعياداً واحتفالات حيث تعيد للقديس يوم نياحته أو إستشهاده أو تذكار بناء كنيسة باسمه، أو العثور على رأسه، أو جزء من جثمانه، أو نقل جثمانه من مكان لآخر.

وهناك أعياد شهرية ثابتة مثل عيد القديسة العذراء مريم في يوم ٢١ من كل شهر قبطي. ورئيس الملائكة ميخائيل تعيد له الكنيسة القبطية في يوم ١٢ من كل شهر قبطي.

بالإضافة إلى أن رئيس الملائكة ميخائيل تعيد له أيضا في تذكار معجزة أجراها، أما القديسة العذراء مريم فلها أعياد كثيرة في مناسبات متعددة[١٣٨].

والمسيحية ليست لها "موالد" ولكن أعياد للشهداء والقديسين، كالآباء الرسل والشهداء الذين إستشهدوا من أجل محبتهم للسيد المسيح، وفي مقدمتهم أمير الشهداء مارجرجس الذي جاهد جهاداً دامياً وعذب بأنواع قاسية من العذابات، وإن كان المظهر العام للاحتفال ينطبق عليه مصطلح "مولد" وهذا يرجع لوجود الدير داخل القرية، بالإضافة إلى المظاهر الإجتماعية والإقتصادية التي تحيط بالإحتفال.

- نشأة القديس:

ولد الشهيد مارجرجس سنة ٢٨٠م بمدينة الكبادوك بآسيا الصغرى، وكان والده أنسطاسيوس من شرفائها وأمه ثاؤبستي من أغنياء اللد بفلسطين،ولقناه التعاليم الدينية المسيحية وعلماه الثبات عليها.

وحينما بلغ الثامنة عشر من عمره إنخرط في سلك الجندية بالجيش الروماني ورقي إلي رتبة قائد ثم إلي وزير ومنح الجنسية الرومانية طبقا للقانون الصادر في ٣١٢م الذي يقضي بمنح الجنسية لجميع سكان المملكة بدون استثناء ولهذا لقب بمارجرجس الروماني . وقد ثارت ثورته عندما رأى قسوة الملك دقلديانوس علي شعب المسيح وأخذ يدافع عنهم ببسالة وجرأة حتي تم إستشهاده. وأوصي قبل استشهاده أحد الأحباء أن ينقل جسده الي وطنه اللد بفلسطين تلك البلدة التي تربي فيها ونفذت وصيته وهناك بنيت كنيسة بإسمه ونقلوا اليها رفاته ووضعوها اسفل الهيكل وتم تكريس هذه الكنيسة.

- أعياد مارجرجس:

تحتفل الكنيسة القبطية بعيدين للقديس مارجرجس الروماني:

الأول : عيد استشهاده:

يقع دائما في أول مايو ويستمر الإحتفال به مدة ثلاثة أيام. وأحيانا يتأخر إذا جاء في الصوم المقدس فيكون عادة ثاني يوم عيد القيامة المجيد والأيام التي تليه. وفيه يتم تطييب رفات القديس بالحنوط والأطياب العطرية ويؤمه عدد كبير من الزوار.

الثاني : الثاني: عيد تكريس كنيسته في بلدة ميت دمسيس:

يقيم الدير إحتفالا كبيرا يستمر حوالي أسبوعين إبتداء من ١٥ ـ ٣٠ أغسطس من كل عام. وكان هذا العيد في الأصل هو عيد رأس السنة القبطية (النيروز) ومع مرر السنوات بدأ يتقدم سنة بعد أخرى نتيجة لوجود فرق حوالي ثلاث دقائق، في كل سنة تزيد دقيقة ونصف، ومع مرور السنوات

أصبح هناك فرقاً بين عيد مارجرجس والنيروز بلغ إحدى عشر يوما، أما العيد فقد ظل ثابتاً .

- الهدف من أعياد الشهداء والقديسين:

تكريم هؤلاء القديسين ودوام ذكراهم العطرة، هذا من جانب ومن جانب آخر تحتفل الكنيسة بأعيادهم ليكونوا قدوة ومنارة عالية لكل المسيحيين وعملا بقول الكتاب المقدس " أذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم " (عب ١٣ : ٧). بالإضافة إلى أن الكنيسة تصلى وتطلب شفاعاتهم فى الوقت نفسه، إذ أن وجود رفات القديسين أو الشهداء فى الكنائس له قيمة روحية عظيمة.

- قرية ميت دمسيس: عبارة عن قرية صغيرة تقع على بعد ١٥ كيلو متر شمال ميت غمر بمحافظة الدقهلية على الشاطىء الشرقى للنيل فرع دمياط. وقد لعبت دورا كبيراً فى التاريخ الكنسى والمدنى على السواء.

ميت دمسيس لها تاريخ عريق مثلها مثل البلدان القديمة، إذ أن موقعها جعل منها مركزا هاما منذ العصر الفرعونى وفى عصر الأحتلال الرومانى لمصر، وقد شيدت بها قلعة رومانية.

وفى المجال الروحى كانت مقراً لأسقفية ناجحة فى الوجه البحرى تكتظ بالإيبارشيات والكنائس القديمةو تعرفها معاجم اللغة القبطية باسم "تمسأوتى" وذكرت فى المعاجم الأخرى باسم "ميت دمسيس" ويقال أنها كانت تسمى طريق رعمسيس حرفت إلى دمسيس ، وكانت قبلا تابعة لسمنود غربية، أصبحت تابعة للدقهلية عند إفتتاح فرع دمياط.

وفى القرن الرابع تم تشييد الدير ويروى أن به بعض رفات القديس الذى جلبه البعض من أورشليم.

ـ ألقاب القديس:

يشتهر القديس بصفات عديدة ويطلق عليه العديد من الألقاب منها وأشهرها: البطل، الفارس، أمير الشهداء، شفيع الكشافة ، قديس كل العصور، سريع النجدة أي سريع الإستجابة لمن يلجأ اليه.

وأصبحت تبنى بإسمه الكنائس والأديرة، ويطلق إسمه على المعاهد والكليات العلمية والمجلات الدينية بل والمحلات التجارية والصناعية أيضا.

اولا : الأبعاد العمرانية :

والمقصود بها الديرومحتوياته:

ـ الكنيسة الأثرية: مارجرجس القديمة:

كنيسة أثرية بنتها الملكة هيلانة سنة ٣٢٠م على شاطىء النيل الشرقى (فرع دمياط) وبها بعض رفات القديس التى أحضرها أحد المصريين من مدينة اللد بفلسطين وسلمها لرئيس الدير آنذاك . بها ثلاثة مذا بح باسم العذراء مريم، والشهيد مارجرجس، والقديس الأنبا تكلا الحبشى، وحجابها قديم محلى بالصلبان والنجوم ومطعم بالعاج صنع سنة ٩٥٤ش وهى مستطيلة الشكل صغيرة الحجم.

وقد شيدت الكنيسة الحديثة سنة ١٨٨٠ بالقرب من الكنيسة القديمة التى شيدتها والدة قسطنطين والنقوش التى زينت واجهة كنيسة مارجرجس انجزت سنة ١٩٨١.

وعلى هذه الكنيسة أقيمت كنيسة أخرى باسم القديسة العذراء مريم إحياءً للكنيسة التى إندثرت منذ زمن بعيد.

وفي سبتمبر عام ١٩٧٤ عند إعادة الترميم تم إكتشاف أعمدة أثرية عددها ١٤ عموداً طول كل منها ١,٨ متر منها ١,٥ متر فوق سطح الأرض والباقي تحت أرض الكنيسة. ولم تصلح عملية إنشاء كنيسة جديدة فوق أساس جدران الكنيسة القديمة وتقرر أن تنشأ كنيستان إحداهما مكان الكنيسة القديمة وعلى غرارها باسم الشهيد العظيم مارجرجس والأخرى فوقها باسم العذراء مريم.

- كنيسة القديسة العذراء مريم:

كنيسة حديثة تأسست سنة ١٩٧٦ فوق كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس وهي مستطيلة الشكل تقريبا ومساحتها ١٢ x ١٩,٥ متر بمذبح واحد باسم العذراء مريم ويعلوها قبو مكسو بزخارف مصنوعة من المصيص.

وقد بنيت هذه الكنيسة لأمران: إحياءً لكنيسة العذراء القديمة التي اندثرت بمرور الزمن والتي ورد ذكرها في دليل المتحف القبطي الجزء الثاني ص ٢٢٦، والأمر الثاني توفير متسع للمصلين الذين تزايدت أعدادهم على مر العصور.

ويبدو أن كنيسة السيدة العذراء القديمة كانت قائمة حتى الجيل الثاني عشر للميلاد.

- كنيسة مارجرجس الثانية:

تأسست سنة ١٨٧٥ في عهد المتنيح الأنبا باسيليوس الكبير مطران أورشليم والشرق الأدنى والدقهلية ودمياط والشرقية وبعض بلاد الغربية. وهي مربعة الشكل وبها ثلاث مذابح باسم الشهيد مارجرجس والقديسين الأنبا أنطونيوس ورئيس الملائكة ميخائيل وتجددت عدة مرات الأولى في عهد الأنبا تيموثاوس والثانية في سنة ١٩٧٨.

ـ الديـــــــــر:

الدير الأثرى قامت ببنائه الملكة هيلانة والدة الملك قسطنطين فى القرن الرابع الميلادى.

وقد صدر القرار الجمهورى رقم ١٠٥ سنة ١٩٧٢ بانشاء الدير فأقيمت عمارة تضم عشرات الحجرات كما تضم مقرا لنيافة المطران وقاعات لإستضافة الزوار أثناء الاحتفال وطوال المولد.

وتم فتح البوابة الشرقية وبنى فوقها منارتين كبيرتين، ومبنى من طابقين ليكون معداً للشمامسة المكرسين على أن يستغل فى العيد السنوى الكبير كاستراحة للزوار.

أما خارج الدير الذى كان عبارة عن شارع ضيق لا يزيد عرضه على أربعة أمتار اتسع الآن وأصبح ميدانا كبيراً وتم بناء سور ضخم يستغل فى العيد السنوى ويتحول الى حوانيت لبيع الهدايا الكنسية كالأيقونات والسلاسل والصلبان، ومقهى تحت اشراف الدير وبقية أيام السنة فناء وموقف لسيارات الزوار.[١٣٩]

ـ كنيسة القديسة مريم الأثرية بدقادوس:

من الأماكن الأثرية التى زارتها العائلة المقدسة فى رحلتها إلى مصر وبها كنيسة أثرية ـ بئر مياه أثري ـ ومخطوطات أثرية وهى تبعد عن الدير ٧ كم فى طريق ميت غمر.

ثانياً ـ الأبعـاد الروحيـــــــة:

ـ القداسات:

لا تنقطع الصلوات طوال النهار ومعظم الليل، حيث ترفع القداسات الإلهيـــة فيقام فى كل كنيسة قداس يومى من الساعة الخامسة صباحاحتى

الساعة التاسعة صباحا بالكنيسة الأثرية، وقداس ثاني يبدأ في كنيسة العذراء مريم من التاسعة صباحا حتى الساعة الحادية عشر صباحا ، يعقبه ثالث من الساعة الحادية عشر إلى الثانية ظهراً بكنيسة مارجرجس الجديدة.

وبعد الظهر تقام العشيات والعظات الروحية من الثامنة مساء إلى الساعة العاشرة مساء، وتغطى الإذاعة المحلية بقية الوقت.

وهـذاالبرنامج يبدأ من ١٥ أغسطس الى ٣٠ أغسطس أي طوال مدة الإحتفال، وإن كان الإزدحام يصل إلى ذروته في الاسبوع الثاني.

ـ الكهنـة:

يتوقع الزوار من الأب الكاهن المكلف بالاحتفال أن يقدم لهم كل أنواع التسهيلات حتى عند شراء لحوم النذور التي تباع للتجار والجمهور يلجأون إليه ليصحبهم لشراء ما يريدونه من كميات.

وينتدب نيافة المطران الأنبا فيلبس بعض كهنة المنصورة يتولون الخدمة الطقسية الروحية أثناء الاحتفال.

ـ الصـلوات والألحان الكنسية:

على الرغم من الإزدحام الشديد ودرجة الحرارة المرتفعة جداً نجد الشعب لايتوقف عن الصلاة والتراتيم بأصوات مرتفعة وبحماس شديد منقطع النظير.

ـ المعمـودية والعمـاد:

يتم عماد مئات الأطفال يومياً في فترة الإحتفال حيث يتلو الكاهن صلوات محددة خاصة على المياه ، وتخلع كل أم ملابس طفلها وتسلمه للأب الكاهن الذي يقوم بتغطيس وغمر الطفل في جرن المعمودية المملوء بالماء ثلاث مرات، وحينئذ تنطلق الزغاريد مدوية في أنحاء المكان تعبر عن

الإبتهاج والفرح، وتلتقط آلات التصوير "كاميرات" وأجهزة الفيديو الخاصة بكل أسرة حسب إمكانياتها المادية والاقتصادية تلتقط تلك اللحظات الخالدة إذ أنها لا تتكرر فى حياة الإنسان المسيحى إلا مــرة واحــدة خلال دورة حياته.

ثم تستلم الأم طفلها من الأب الكاهن الذى يخرج من المعمودية وهو يصرخ من هول المفاجأة. وهذا علما بأن عملية التغطيس لا تستغرق إلا ثوان معدودة تتولى الأم تجفيف الطفل وتدثره بمنشفة جديدة ونظيفة وغالبا لم تستخدم من قبل. ثم يرتدى الملابس الجديدة والتـى أعدت خصيصاً لتلك المناسبة السعيدة ، وتقف جميع الأمهات بعد أن تحمل كل أم وليدها على ذراعها الأيمن فى مواجهة الكاهن الذى يتلو بعض الصلوات والقراءات وتعيد الأمهات ترديدها من بعده. وهى عبارة عن تعهدات تتعهد بها الأم أمام الكـاهن أن تتـولى تربيـة الطفـل وأن تلقنـه الميــادىء والقواعــد الدينيــة الصحيحة وأن تغرس فيه القيم والآداب والفضيلة.

بمعنى آخر تتعهد أن تسهر على تربية الطفل حتى ينشأ على الفضيلة ويبتعد عن الرذيلة ويتمسك بالقيم والمثل العليا ويلتزم بالتعاليم الدينية.

وليس من الضرورى أن يتم العماد فى "المولد" بل يمكن أن يتم فى أى وقت من العام وفى أى مكان سواء كان ديراً أو كنيسة أثرية لها قيمتها الدينية وشهرتها الروحية أو فى كنيسة حديثة ، فهو طقس كنسى أساسى من طقوس الكنيسة لابد أن تتمه كل أسرة لأطفالها بيد الكاهن وداخل الكنيسة وليس فى مكان آخـر.

والعماد فى الإحتفال با لعيد "المولد " قد يكون وفاءً لنذر نذرته الأم أو الأب أو أحد أفراد الأسرة من قبل ـ فهناك كثير من الأمهات قد يجهضن قبل

إتمام فترة الحمل ، أو ربما يلدن ولا يستمر الطفل حياً على قيد الحياه ، مما يدفعهن إلى هذا النذر.

وحالات أخرى تفضل أن يتم العماد أثناء الاحتفال على سبيل نوال البركة والحصول على نعمة خاصة وليس نتيجة لوجود مشكلة .

وتستعد كل أسرة لهذا اليوم مثل إستعدادها للزفاف أو إستعدادها لإستقبال طفل جديد ، فتدعو الأقارب المقربين والأصدقاء لمشاركتهم في هذه المناسبة . وأحياناً تستأجر الأسرة عربات أجرة لمصاحبة هؤلاء الأقارب والأصدقاء إلى المقر الذى سيتم فيه العماد سواء كان في دير أو في كنيسة أثرية بعيدة أو حتى داخل المدينة أو القرية التى تقيم بها الأسرة .

وبعض الأسر تقيم حفل غداء أو عشاء إبتهاجاً بتلك المناسبة .

أما الملابس التى يرتديها الطفل بعد التغطيس في المعمودية ،فهى متنوعة ولها طابع معين ،فإذا كانت طفلة أنثى قد يكون فستان زفاف أبيض وقد تزين رأسها بتاج من الورود أو غطاء أبيض أو قبعة بيضاء وفي بعض الحالات "طرحة عروس بيضاء "مزينه برسومات أو بتطريز يدوى وحلى.

أما الطفل أحياناً يرتدى زى كاهن أبيض مطرز بألوان زاهية وعليها صلبان، أو يرتدى جلباب أبيض ، وهناك بعض الأسر تختار زى كزى ضابط أو غيره .

أى أن الأسر تختار تلك الملابس بما يعبر عن رغبتها وأمنياتها في المستقبل الذى تصبو أن يصل اليه أطفالها . وليس هناك قيود طقسية أو كنسية على شكل تلك الملابس أو لونها .

ويستمر الإقبال على العماد في "المولد" طوال فترة الاحتفال ومنذ اليوم الأول له من الساعة السابعة صباحاً لحين انتهاء الصلاة بالكنيسة ، إذ لا يمكن للكاهن ان يتولى عملية العماد إلا إذا كان صائم، ولا يقل عدد الذين يتم

عمادهم يوميا عن ٣٠٠ طفل ، وفى نهاية الصلاة تحصل أسرة الطفل على شهادة موقعة من الأب الكاهن الذى قام بالعماد مدون عليها إسم الكنيسة التى تم بها وتاريخ ويوم العماد ومختومة ٠

- زفة العماد :

فى الماضى أيضا كان الطفل الذى تم تعميده يزف فى موكب يبدأ من داخل الكنيسة بالألحان والمزامير والدف الكنسى ثم من باب الكنيسة تتلقفه عربة مزينة يجرها جواد تطوف أنحاء المولد بين دقات الطبول العالية والمزمار تترنح وتتمايل أمامها الراقصات وحتى عهد قريب كما ذكرنا أقتصرت الزفة على داخل الكنيسة فقط بالألحان الكنسية ، وقد منعت تلك المظاهر منعا باتا ، وإقتصرت الزفة على الدورة التى تتم داخل الكنيسة ويقوم بها الشمامسة الذين يرتدون الملابس البيضاء ويرنمون وهم يدقون بالدفوف والقيثارات ويتم نثر الحلوى والشيكولاته على المصاحبين لهذه الدورة وهى تشبه الى حدما زفة الطفل المولود "يوم السبوع " مع فارق أنها تتم بالألحان الكنسية والترانيم الروحية وبدون رقص ، ويدور هذا الموكب داخل أرجاء الكنيسة مرة واحدة أو ثلاث مرات .

- التماجيـــــد :

التمجيد هى نوع معين يتلى فيها صلوات خاصة قد تقدم لقديس أو شهيد أو ملاك ، قد تمدح القديس ، أو تذكر معجزاته ، أو آلامه وإحتماله للضيقات والعذابات أو تروى قصة إستشهاده وتطلب شفاعاته أمام الرب الاله يتلوها الكاهن ومعه معلم الكنيسة يحمل "دف " تطلبها بعض الأسر ، أو الافراد تعبر عن الإيمان الوطيد والثقة بقدرة هؤلاء القديسين الذين تقدم لهم تلك التماجيد ومكانتهم العالية وقدسيتهم لدى الرب الإلـه .

ـ النـــذورات :

هناك العديد من النذورات :

ـ نذورات نقدية يتلقى الأب الكاهن النذور والتبرعات النقدية حيث يجلس بجوار الكاهن خادم يدون قيمة التبرع ويمنح أصحاب النذور إيصالات رسمية باسم الكنيسة نظير هذا التبرع .

ـ الذبائح التى تنحر أحياناً ، أو تقدم حية كنوع من أنواع النذور و القرابين.

ـ الشموع التى تقاد أمام أيقونات القديسين أو تقدم كميات منها لإستخدا مها حسب إحتياجات الكنيسة منها .

ـ أو تقدم بعض العا ئلات نوع من الفطير يوزع باسم القديس أو الشهيد على الأقارب والأصدقاء أو الغرباء داخل الكنيسة أو يرسل إلى بيوت الأيتام "الملاجىء" فيقال مثلاً فطير الملاك أو فطير السيدة العذراء أو فطير مار جرجس .

ـ معجزات القديس :

يذكر الأنبا فيلبس مطران الدقهلية أن هذا القديس إشتهر بعد إستشهاده أكثر مما كان فى حياته الجسدية ، وإحدى خصائص دير الشهيد مار جرجس هى إخراج الأرواح الشريرة من المرضى حيث يترك علامات تظهر واضحة وجلية على أحد أجزاء جسم المريض، أو بعض ملابسه تثبت معجزاته وأن الشفاء قد تحقق بالفعل .

ويشتهر المكان بإسم أبو جورج ، أما الإسم الذائع البسيط فهو " البطل " حيث يتوافد الزوار على الدير من كافة أنحاء القطر المصرى طالبين الشفاء . و يحضر المسيحيون و المسلمون المرضى ، والمصابون بأرواح نجسة يجلسون من الصباح ويسهرون فى المساء أملا فى ظهور القديس مار جرجس ، وهناك

العديد من الظواهر الروحية يذكرها الأنبا فيلبس منها ظهوره في شكل فارس يمتطي جواداً، أو سماع لأصوات أجراس الكنيسة بدون أن يلمسها أحد أو إمتلاء المكان بعبق من رائحة بخور زكية .

وهناك كهنة وخدام متخصصون في محاربة الأرواح النجسة ، ولذا يفد على المكان مئات من المرضى يلتمسون حدوث معجزة على يد القديس لا فرق بين مسلم ومسيحي ،وخاصة حينما يعجز الطب الحديث بكل أجهزته وأدواته التكنولوجية ولايجد المرضى وذويهم إلا الرجوع إلى الله والإيمان بقدرته وقوته وعظمته التي تفوق كل قدرة وكل علم وصل إليه العقل البشري .

وغالبية المرضى يغادرون الإحتفال وقد تحقق للكثيرين منهم نعمة الشفاء .

ثالثـا : الأبعاد الإقتصادية :

– الإقـامة : هناك نوعان من الإقامة :

١ – إقامة تابعة للكنيسة :

حيث يتم التأجير من الكنيسة غالبا لأسر معروفة تداوم على الزيارة السنوية، وتكاد تشبة الايجار الدائم ، ومستأجروها يجلبون معهم كل مستلزمات المنزل العصري من بوتاجازات وثلاجات وغسالات ومراوح ولا يحتاجون إلى نقلها سنويا اذ تظل بالعين المؤجرة.

٢ – اقامة لدى أهالي القرية :

يستضيف أهالي البلدة الزوار في منا زلهم نظير أجر للحجرة الواحدة يتروح من مائتين جنيها الى أربعمائة جنيه في الأسبوع للحجرة الواحدة ، وأحيانا يرتفع الأجر الى ألف جنيه في الأسبوع اذا كانت مجهزة ونظيفة وبها بعض الأثاث .

- تأجير الحوانيت وأكشاك البيع :

تكتظ المنطقة بالحوانيت والأكشاك وهى تقام بصفة مؤقتة ، أيضا يتم تأجير المساحات أمام منازل أهالى المنطقة لإقامة "الفاترينات والحوانيت والأكشاك بمبالغ طائلة سواء لبيع المواد الغذائية كالخضروات والفاكهة او الأطعمة المطهوة أو النيئة كالفريك والملوخية أو المجففة كالسردين والفسيخ والملوحة ، أو الحمص والفول السودانى والحلوى وهى من السمات الأساسية التى يتسم بها أى "مولد " أيضا ينتشر باعة الملابس والأدوات المنزلية .

- انتشار المقاهى :

وهى إما مقاهى شعبية "كالقهاوى" أو مقاهى عصرية "الكازينوهات " ولوحظ فى كل من النوعين وجود جهاز تليفزيون وفيديو لعرض الأفلام ولجذب أكبر عدد من العملاء .

وهذه المقاهى لا حصر لها فى المنطقة وأى مشروب بها سواء مثلج أو ساخن لا يقل ثمنه عن جنيهين ، وجميعها تزال بعد انتهاء المولد.

- مقهى الديـــــر:

نظرا لإرتفاع الأسعار بالمقاهى سواء الشعبية أو العصرية، حاولت الكنيسة أن تقدم خدمة لزوارها بأن أعدت تلك المقهى وحددت رسم الدخول به ١٢٥ قرشا للفرد الواحد يستطيع أن يستخدم المنضدة وكرسى طوال اليوم ومن حقه تناول مشروب ساخن كالشاى أو القهوة أوالنسكافيه أو مثلج. والمشروبات المثلجة تقتصر على المياه الغازية فقط.

- الوجبـــــات:

تقدم به وجبات غذائية لمن يرغب.

ـ مكونات الوجبـــة:

عبارة عن كفتة وكباب مشوى وسلاطات تقدم بأسعار التكلفة الفعلية مضافاً إليها نفقات النقل والفراشة فقط فهى لا تزيد عن سعر اللحوم، أى أن قيمة الوجبة الكلية لا تتعدى نصف قيمة الوجبة الغذائية بالمقاهى الخارجية، وجبة الكباب ٧,٥ جنيها ووجبة الكفتة ٦ جنيهات.

ويسمح للعا ئلات بتناول أطعمتهم التى معهم واستخدام المنضدة والكراسى طوال اليوم.

ـ خـــدام المقهى:

هم من الشباب المتطوع من طلبة الجامعات وفدوا من المراكز التى حول البلدة، كالمنصورة وأجا وميت غمر ، ويطلق عليهم خدام وليس خدم فهم لا يحصلون على أجور نظير خدماتهم تلك بل ينظرون على أنهم ينالون بركة تفوق فى مقدارها أية مبالغ حتى لو كانت طائلة. وهم من خدام التربية الكنسية، عددهم عشرين شخصا يتم تقسيمهم على مجموعتين، كل مجموعة مرتبطة بنوبتجية الأمن يبدأ عملها من الساعة الثامنة صباحا حتى الثامنة مساء ، تليها الوردية الأخـرى.

ـ هـدف مقهى الديـــر:

العمل على راحة الزوار وخدمة الضباط والقوى المرافقة المكلفة بحراسة الأمن وحفظ النظام.

فى الماضى كانت تنتشر المقاهى المصرح لها بالخمور، أما الآن فقد إندثرت تلك الظاهرة نتيجة لتعاون قوات الأمن مع إدارة الكنيسة، ولا يوجد بالإحتفال سوى من كان لديه تصريح بالخمور من قبل وما زال يحمله وقد يقتصر ذلك على مقهى أو عدد محدود لا يذكر.

- التجـــار والباعـــــة:

يتهافت التجار والباعة بكل نوعياتهم على المنطقة، التى تتحـول الى سوق تجارى ضخم، وترتفع الأسعار فوق العادة لأنهم كما يرددون "أنها أيام مفترجة" ويجلبون كافة النوعيات من مختلف الأماكن.

وتتزايد عربات الميكروباص وترفع أجرها لإضطرار الزوار لإستخدامها وكذلك العربات "الكارو" التى تجرها الجياد فى التنقل ما بين مارجرجس ميت دمسيس والسيدة رفقة على الشاطىء المقابل لدير مارجرجس ويتسابق سائقوا تلك العربات لاصطياد العملاء.

رابعاً - الأبعاد الصحيـــة:

نظراً للأعـداد الهائلة التى تتوافـد على المنطقة، ما بين زائر عابر أو زائر مقيم لعدة أيام أو أسبوع أوحتى طوال الإحتفال ، فلابد أن تكون هناك حالات تستدعى وجود أطباء وأجهزة طبية لمواجهـة بعض الحالات المرضية الطارئة والسريعة، لذلك أعدت بعض الإستعدادات أهمها:

عدد

٢ عيادة لأطباء ممارسين عموميين.

١ عربة إسعاف حكومية لنقل الحالات المستعصية العلاج إلى المستشفيات المتخصصة ونادراً ما تستخدم .

١ صيدلية تقع فى محور المنطقة التى يقام بها الأحتفال.

خامساً : الأبعاد الأجتماعيــة:

- المظهـر العام والعلاقات الإجتماعية بين الزوار:

تتميز بالإقبال الشديد وتدفق البشر من كل صوب وحدب يحدوهم إيما
ن وحب شديد للقديس، ويسلك الناس على سجيتهم وسط الضجيج
والموسيقى والترانيم الروحية والألحان الكنسية والعظات الدينية.

تمتلىء الكنائس و ساحة الدير من المصلين، ويتكدس الزوار في بيوت
القرية وشوارعها وأزقتها الضيقة ويختلط الوافدون من جميع البلدان المصرية
وهم من طبقات متنوعة فمنهم البسطاء والفقراء ومنهم الأثرياء والعلماء ،
ومنهم المثقف والأمي، وفيهم العامل والأجير والمالك والوزير.

لا فرق بينهم يجمعهم حب القديس يفترشون الأرض في صحن الكنيسة
وأمام أبوابها وفنائها بل في الطرقات والشوارع والأزقة الجانبية، وقد تحولت
المنطقة جميعها الى مهرجان كبير فيه جميع الأنشطة وتختلط صيحات
الأطفال مع نداء الباعة با لترانيم والصلوات الروحية.

ويحتشد الأطفال من سن ٤ سنوات الى سن ١١ ــ ١٢ سنة حول فرع
النيل الملاصق للدير ويخلعون ملابسهم ويقفزون الى المياه عراة تماما أوشبه
عراة، وتقف الأمهات على حافة الشاطىء يلاحظن أطفالهن.

ويتم التعارف بين الأطفال أثناء لعبهم ومرحهم ثم بين أمهاتهم وفيما بعد
بين الأسر بعضهم وبعض، تغمرهم البهجة كما تغمرهم المياه.

وبعد أن يتم التعارف عائليا بين الزوار لا يقف الأمر عند حد العلاقات
الإجتماعية السطحية بل يتم التزاور وقد تتوطد العلاقات أكثر وأكثر وتصل
الى المصاهرة والنسب وتتم حالات زواج من بين زوار الإحتفال .

أيضاً لا تنقطع العلاقات الإجتماعية بين بعض تلك الأسر، بل تستمر
المجاملات الإجتماعية في المناسبات المختلفة عند ميلاد طفل جديد أوفي
حفلات الخطوبة أو عقد القران فيما بعد الإحتفال، أو تبادل الزيارات في

حالة حدوث أحداث مؤلمة كالمرض أو الوفاة على الرغم من بعد المناطق التي يقيمون بها عن بعضها البعض فهم من بلدان مختلفة.

ـ العلاقات الإجتماعية مع أهالي المنطقــة:

يتكاتف أصحاب البلدة ضد أي سلوك مخل بالآداب، فإذا تصادف أن شاهد أحد أهل البلد حركة غير مضبوطة عند خروجه من منزله صدرت من شاب أوتحرش باحدى الفتيات أو الزائرات حتى وإن كان باللفظ وليس باللمس، لا يترك الشخص الذى ارتكبها وعلى حد تعبير أحد الزوار وهو مسيحى "إذ يقول ينزل فيه ضرب" ويتجمع أهل البلدة لمساعدته وينهالون عليه ضربا وركلا لا فرق بين مسلم ومسيحى حتى دون أن يدركوا سبب هذا الضرب، وبعد الإنتهاء من الموقف يتساءل هؤلاء الذين إحتشدوا وشاركوا فى عملية الضبط عن الموضوع والسبب الذى من أجله ضرب، وهذا يوضح أن أى انتهاك أو خرق للعادات والتقاليد يقابل بالرفض، فالمحافظة على الجار والصديق هى من أهم شيم المصرى الأصيل.

وعلى الرغم من تكدس الزحام عن أى عام مضى لم تحدث مشكلات تذكر وإذا حدثت بعض المشاجرات أو التوترات فهى بسيطة للغاية لا تعدى القول ويتم تصالحهم عند تدخل المجاورين لهم. وإذا تصعدت قليلا فيلجأون الى كاهن الكنيسة الذى يتدخل بصفته الكهنوتية وقدسيته التى تجعل كل طرف من الطرفين يخجل ويتراجع حتى إذا تمت بين مسلم ومسيحى فهم يثقون فى الأب الكاهن وفى حكمته ويعدل كل منهما عن موقفه. إلا فى حالات نادرة تلجأ للشرطة ، أيضاً يتم تصالح كثير من الحالات عن طريق رجال الأمن فيما عدا حالات نادرة.

والهدف هو المحافظة على أصحاب البلدة وعلى الزوار معاً لأن المحافظة على أصحاب البلدة تجعلهم هم أنفسهم يحافظون على الزوار (كما ورد على لسان أحد خدام المولد) .

من هذا يتضح أن العلاقات الإجتماعية تبتعد عن التوترات وأن الجميع يستمتعون بوقتهم سواء الزوار أو أهل المنطقة، الأطفال منهم والكبار.

ولا يفصل بين الجامع والكنيسة سوى أربعة أمتار ويقوم شيخ الجامع والعمدة وشيخ البلد وكبار الشخصيات من إداريين وملاك بالإحتفاء بأي زائر للكنيسة أو للجامع بإظهار الشعور الطيب:

- نوعية الــــزوار :

يعد يومي الجمعة والاحد أكثر ازدحاما عن بقية أيام الاسبوع إذ يتوافد على الدير ما يقرب من نصف مليون زائر فيهما .

أما عدد زوار الاحتفال فيقدر بمليوني زائر كما ذكر الأب مكارى راعي الكنيسة ، ويتنوع الزوار ما بين رحلات تعدها الكنائس من جميع أنحاء القطر المصرى او رحلات يقوم بها علمانيون ، أو مجموعات من الأسر ، أو أسر منفردة ، أو الأفراد .

منهم الذى يتمسك با لتعاليم الدينية والروحية ويحرص على ممارسة الطقوس الدينية ، ومنهم من أتى للشفاء من المرض أو لإخراج الشياطين . ومنهم من يهتم بالمظاهر الشكلية ويبتعد عن الجوهر ، وفئة جاءت للترفيه والاستمتاع والمزاح ولايقيم للمثل العليا وزنا . يمرح ويلعب ويقهقه بصوت مرتفع ولا يلتفت إلى الصلاة والألحان أو الوعظ وكل إهتمامه اللهو . وفريق آخر يثرثر ولا يتوقف لسانه عن الحديث وقد يتطاول على الآخرين ويتطرق حديثه ويخدش حياء السامعين ومع ذلك فهؤلاء يمثلون نسبة ضئيلة جدا إذا

ما قيست بالاعداد الهائلة للزائرين أيضا لا يستطيعون أن يعكروا صفو أو قدسية الإحتفال ولايؤثرون على روحانياته .

وتتزايد الرحلات في بقية العام وبالأخص أثناء الإجازات الرسمية ، كالمولد النبوى ، ٦ أكتوبر ، ٢٣ يوليو وغيرها ، أيضا المهاجر المصرى الذى يحضر لزيارة مصر يتلهف على زيارة الأماكن المقدسة ومنها مارجرجس ميت دمسيس وخاصة إذا كان قد اعتاد على زيارته قبل سفره ، ومنهم من له اشتياق شديد ورغبة عامرة فى حدوث معجزة له سواء بالشفاء أو الحمل إذا كان هناك عقم .

ونظراً لأن أى تجمعات لابد أن تكتنفها وتحيط بها بعض المواقف التى تتطلب حلولاً وتدخلاً سريعاً ، لذا أعدت الكنيسة بعض الإحتياطات اللازمة لتواجه تلك المواقف وتحاول التغلب عليها مثل :

- الإذاعة الداخلية :

تؤدى دور كبير فى الإعلان عن الأشياء المفقودة "مثل حافظة نقود ، أو فقدان بطاقة أو عائلية أو أوراق رسمية ، أو الإعلان عن طفل تائه إبتعد عن أمه وأسرته وسط الخضم الهائل من البشر ، أو مساعدة شخص فى العثور على مكان أسرته إذا تصادف وحضر إلى الإحتفال وحده بعد حضورهم وتخلف عنهم بساعات أو أيام .

- دور الكشافة :

يترواح عددهم ما بين ١٤-١٦ فرداً جميعهم من المنصورة ، يكلفون بتنظيم حركة المرور داخل الكنائس ، والإحاطة بنيافة المطران عند دخوله أو خروجه من الكنائس ومساعدة الزوار الذين يتهافتون على المطران لنوال بركته من تحقيق ذلك دون الزج به ومحاولة زجرهم إذا خرجوا عن النظام .

سادساً : الأبعاد الثقافية :

ـ الثقافة الفرعية :

للموالد ثقافة فرعية تميزها عن الثقافة الكلية التى تعد جزءاً منها والتى تنبثق عنها وفيما يلى أهم مظاهرها :

يقبل الأطفال على شراء اللعب و "الطراطير" الملونة وارتدائها فوق رؤوسهم وكذلك البالونات المزركشة بألوان زاهية متعددة ، والحلوى بكافة أنواعها ويمرحون ويتنقلون ويتصايحون بين الألعاب المختلفة .

كما أن الشراء بالنسبة للنساء يعد مطلباً أساسياً ومظهرا ضروريا لمجيئهن للإحتفال ، ويحرصن بالذات على شراء بعض الإحتياجات المنزلية مثل : "السمن البلدى والملوخية الجافة والفريك بل وبعض الطيور والدواجن الحية " بعضها يعد رصيد المنزل طوال العام ويرون أن لها نكهة معينة ، ومذاق خاص وطعم ألذ ، لأنهم يضفون اليها سمة البركة لمجرد أنه تم شراء هذه المتطلبات من " مولد مارجرجس" ويفتخرون بذلك أمام جاراتهن وقريباتهن ولا يجدن غضاضة أو إنقاصاً فى ذلك لقدسية المكان .

ولوحظ تزين بعض السيدات الثريات بقدر كبير من الذهب والجوهرات أثناء "المولد " كنوع من التباهى والتفاخر بالثراء .

أيضاً يتزاحم الزوار على شراء لحوم النذورات سواء المقدمة مذبوحة أو حية ، لأنها طازجة من ناحية ، ومن ناحية أخرى وهى القيمة الأهم والأكبر أنها نذر قدم لمارجرجس مما يضفى عليها سمة القداسة والبركة ويجعلها أكثر قيمة .

- المظاهر الترفيهية :

- الملاهى :

تنتشر جميع الألعاب الموجودة عادة فى كافة الموالد مثل : المدفع والبندقية لعبة الحلقة الخيرزان ، لعبة الحبل الذى يلتف حول بعض الهدايا ويتم سحبه فاما يظهر فارغا أو فى نهايته إحدى تلك الهدايا ، الألعاب الطائرة والبهلوانية - المراجيح وهناك أيضا مسرح صغير .

بالإضافة الى المقاهى التى ينتشر بها ألعاب الطاولة والكوتشينة على سبيل التسلية للكبار .

ونظرا لإقبال الأطفال ومصاحبة ذويهم لهم لممارسة تلك الألعاب ومشاهدتها يندس أحيانا بينهم بعض الفئات المنحرفة ومع ذلك يتم ضبطها والمحافظة على وقار واحترام الإحتفال .

- الرقص والخمر :

فى الماضى كانت تنتشر المقاهى التى تبيح مشاهدة الرقص وتسمح بتناول الخمور كالبيرة والويسكى والكونياك والطافية ، وقد تجىء بعض الراقصات من قرية سنباط بالذات ، ولم يستطع أحد فى الماضى أن يسيطر على تلك المواقف أو يغير من هذه الأوضاع حتى قامت إدارة الكنيسة بالإتصال بالسلطات الرسمية ، وأصدرت قرارا بعدم تواجد البرامج الترفيهية الخليعة والخارجة عن الأخلاق الدينية ، وتم التعاون والقضاء على تلك المظاهر ولكن كما سبق أن ذكرنا مازال يوجد مقهى أو أكثر ممن سبق لهم الترخيص بالخمر ، أيضا منعت الأغانى الخليعة والكلمات البذيئة ولعب القمار منعا باتا .

وهذه المظاهر لم تكن قاصرة على "مولد" ميت دمسيس وحده بل كانت تنتشر فى كافة الموالد المسيحية منها والإسلامية كنمط من أنماط الثقافة

الفرعية التى ترتبط بألوان معينة من السلوك الإجتماعى الذى يتميز به تلك الإحتفالات ويختفى كلية ويزول بانتهاء "المولد" ٠

- الباعة الجائلين :

يعبأ الإحتفال با لباعة الجائلين منهم الأطفال والصبية و الكبار الذين يطوفون فى المولد ويحملون "الترمس والحلبة " والبطاطا واللب والمأكولات الجاهزة كالسندويتشات وغيرها ويقبل كثير من أطفال الزوار على شرائها .

سابعا : الأبعاد الأمنية :

توفر الدولة الخدمات الأمنية وتستعين بقوات من المحافظات المجاورة حيث يوجد ثلاث ورديات ، تتكون من ٣ لوءات ومساعد مدير أمن ، مسطحات مائية - لنشات للانقاذ وكل لنش يضم ٤-٥ جنود .

وتتضافر جهود الأمن العام والمباحث بجميع أنواعها جنائية وأمن دولة وصحة وتموين وخمور وفرق لمكافحة النشل ومكا فحة الحريق حيث يوجد ٤ جنود حريق فى كل ٢٠٠ متر ولديهم الإستعدادات اللازمة لمواجهة أى حريق .

وتتنوع القوات الأمنية فى كل دورية كالآتى:

٧٠ ضابط تبدأ من رتبة لواء إلى أصغر رتبة.

٣ آداب

٥ مرور

٨ أمن مركزى

٣ مخدرات

٣ تموين وبحث جنائى (الإشراف على الباعة ومراقبة الأسعار)

وهناك سجل خاص يدون به حركة القوات الأمنية أثناء الإحتفال وآخر خاص بقضايا الأحتفال "المولد" كما هو فى اللغة الدارجة وتحفظ تلك السجلات بمركز أجا بالدقهلية لدى مأمور المركز.

وهذه القوات من مناطق ومحافظات مختلفة من طنطا والمنصورة ودكرنس والسنبلاوين وطلخا وميت غمر وأجا.

وقد تم التنسيق بين إدارة الكنيسة ومطرانها الأنبا فيلبس وبين قوات الأمن للمحافظة على قدسية الإحتفال.

نـــوعية الجـــرائم:

تنوعت وتعددت الجرائم التى تم إرتكابها أثناء الإحتفال وجميعها لم تتعد الجنح بعضها وإن كان ضئيلا بلغت عقوبته حبس أو غرامة وذلك فيما يتعلق بعدم حمل رخصة قيادة على سبيل المثال •

أما الغالبية العظمى من تلك المخالفات هى المشاجرات التى تنتهى بالتصالح

بين الطرفين

وفيما يلى نبذة مختصرة عن نوعية الجـرائم:

١ ـ مشاجرات ٢ ـ تعدى بالسب والضرب

٣ ـ تحـرى ٤ ـ تسول

٥ ـ نشل وسرقة ٦ ـ حمل سلاح أبيض بدون ترخيص

٧ ـ رخصة قيادة ٨ ـ فقدان بطاقة

٩ ـ إصابة خطـأ ١٠ ـ مخـــدرات

١١ ـ آداب

١ ـ المشاجـــرات: جميعها إنتهت بالتصالح بين الطرفين

اليـــــوم	عدد الحالات
٨/٢٤	٣
٨/٢٥	٢
٨/٢٦	٣
٨/٢٧	١
٨/٢٨	٣
٨/٣٠	١

غالبية المشاجرات وقعت بين الزوار من العمال وأهالى ميت دمسيس من الفلاحين ونادراً ما تقع بين الموظفين.

وتمثل الفئة الشبابية النسبة العالية فى تلك المشاجرات إذ أن الغالبية فى العشرينات فالأعمار تترواح ما بين سن ١٨ ـ ٣٠ سنة فيما عدا ٣ حالات تقريباً فوق سن ٣٠.

وبعض تلك المشاجرات تقع بين سائقى وسائل النقل الخاص مثل عربات الميكروباص وعربات البيجو لجذب العملاء ويتم فض النزاع والتنسيق بينهم عن طريق قوات الأمن إذا لزم الأمر فى حالة تعدى أحد السائقين على دور زميل له ، وهى حالات نادرة جداً فالجميع يحرصون على الإلتزام بدورهم حرصا على مصالحهم من ناحية وعلى علاقاتهم الإجتماعية من ناحية أخرى " فهم أولاد كار واحد" لهم قيم معينة يتمسكون بها.

٢ ـ التعــدى بالسب والضرب: فى الأيام التالية فقط :

اليـــــوم	عـــدد الحالات
٨/٢٢	١
٨/٢٤	١
٨/٢٧	١
٨/٢٨	١

وتم عرض تلك الحالات على النيابة للتعدى بالسب والضرب على بعضهم البعض وإحداث إصابات بأحد الأطراف أو كليهما .

٣- تحرى :

قام رجال الأمن بحملة واسعة النطاق على الشباب وتم ضبط العديد منهم ممن عليهم أحكام، ومنهم الذين لا يحملون بطاقات والبعض يحمل بطاقات شخصية ولكنه مطلوب للتجنيد.

وفيما يلى بيان بها بما فيهم بعض الباعة الجائلين:

اليـــــوم	عدد الحالات
٨/٢٤	١٥
٨/٢٥	٢٠
٨/٢٦	٢

والهدف من تلك الحملات كما ذكر رجال الأمن هو المحافظة على الإستقرار والأمن فى المنطقة، ومنهم من خرج بضمان رجال الإدارة والبعض الآخر يتم ترحيلهم إلى محافظاتهم وقراهم داخل الجمهورية.

وهذه الحملات تحقق الضبط الإجتماعى إذ بمجرد القيام بها يفر من المنطقة النشال والسارق وتاجر المخدرات وكل الفئات التى تسعى للانحراف

وتعيث في الأرض فسادا إذ يصابون بالذعر والهلع أو على الأقل لا يتوفر لهم المناخ الملائم لأعمالهم الإنحرافية .

٤ ـ التسول :

حالات بسيطة ضبطت إذا ما قيست بالأعداد الهائلة في الإحتفال :

اليوم	عدد الحالات
٨/٢٣	١ حالة فقط لشاب يبلغ ١٧ سنة
٨/٢٦	٤ ثلاثة ذكور تتراوح أعمارهم ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ سنة وفتاة تبلغ ١٩ سنة

٥ ـ نشل وسرقة :

اليوم	عدد الحالات
٨/٢٤	١
٨/ ٢٨	١ كانت حصيلة النشل ١٥١ جنيها وعرض المتهم على النيابة

ويقال أن هناك عدداً من النشالات غالبيتهن من بلدة طهواى مركز السنبلاوين يدخلن أثناء تناول السيدات وينشلن الأقراط والقلادات والسلاسل، ونظراً للإزدحام الشديد لايمكن التحكم في الزائرات داخل قاعة الكنيسة أو الهيكل، ولكن رجال الأمن يعرفوهن ، وقد اشتبه أحد ضباط البحث في إحداهن إذ الجميع لهن سوابق واقتادها إلى نقطة الشرطة وبالتفتيش عثر معها على بعض المجوهرات وأعيدت لصاحباتها . ولما كان رجال الأمن يفدون من مناطق متعددة هذا يمكن كل منهم من التعرف

بسهولة على النشالات التيتتبع منطقته بسرعة ويفرزها فوراً ويتابع تحركاتها إلى أن يتم القبض عليها.

أما بقية السرقات فهي اعداد بسيطة وغالبيتهم من الصبية الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٤ – ١٥ سنة ولا تتعدى نشل حافظة نقود وفي الغالب يتم ردها لأصحابها .

وهناك حالات لم تخطر بها أصلا رجال الشرطة لحرص الزائرة وأسرتها على الإستمتاع بالإحتفال وعدم السعي وراء المفقودات التي ربما لاتعود اليهم بسهولة وتضيع بهجة الإحتفال .

٦ – حمل سلاح أبيض بدون ترخيص :

اليـــــوم

٨ / ٢٤ تم ضبط حالة واحدة فقط لزائر يحمل سلاحا أبيض بدون ترخيص طوال فترة الاحتفال .

٧ – رخصـــة قيــــادة :

اليـــوم

٨/ ٢٦ حالة واحدة لسائق أجرة القاهرة لايحمل رخصة قيادة

وعقوبتها الحبس او الغرامة .

٨ – فقدان بطاقــــــة :

اليـــوم

٨ / ٢٦ حالة واحدة لزائر من القاهرة يبلغ من العمر ٢٢ عاما

فقد بطاقتة ومعها بعض النقود .

٩ - إصابـــة خطــأ :

اليـــوم	
٢٨ /٨	لم تحدث أية أصابة أو حوادث طريق إلا حالة طفلة واحـدة قيـادة سـائق اتوبيـس عـام بورسـعيد وتم

اسعافها.

١٠ - مخـــــــدرات :

اليـــوم	
٢٩ / ٨	تم ضبط موظف بالشرقية وبحوزته اثنى عشر شريط أقـراص مـن المـواد المخـدرة وتم عرضـه علـى

النيابة.

١١ - أداب :

اليـــوم	
٢٤ /٨	ضبط ٢٤ مقهى بدون ترخيص وفدوا مـن منـاطق

مختلفة من القـاهرة مثـل الـوراق وامبابـة والشرقية - منيا القمح المنصـورة - دكرنس - القناطر الخيرية

قيـدت جنـح حيـث تم عـرض أصحابهـا علـى النيابـة وأخلـى سـبيلهم وظـل المقهى مفتوحا ويحرر له محضر آخر اليوم التالى .

وهكذا يتضح من العرض السابق أن الإحتفال يسوده الهدوء والإطمئنـان والاستقرار على الرغم من الكم الهائل من الزوار لا يوجد الا شرزمة ضئيلة مـن المنحرفين لم تثـير اى نوع من الاضطراب أو التوتر .

نتائـــج الدراســـة

اتضح أن للمولد جذور تاريخية عميقة فى المجتمع المصرى تنبع من نظرة المصرى القديم وايمانه الراسخ بفكرة الخلود السرمدية عبر عنها فى احتفالاته الدينية حتى قبل ظهور الاسلام والمسيحية ، وأن الموالد الإسلامية فى مصر بدأت مع الدولة الفاطمية ثم الأخشيدية .

وبالنسبة للإحتفالات المسيحية بالقديسين فقد بدأت مع عصر الاستشهاد فى القرون الأولى للمسيحية ، اى أنها لم تكن ظاهرة حديثة . فالموالد إرث مصرى مشترك كما يقول الجوهرى :

وهى ليست حركة احياء للثقافة المصرية القديمة كما ادعى ماكفرسون " ان الاحتفال بمولد الحجاج الأقصرى عبد الرحيم القنائى ماهى الا احياء لعيد الأله آمون ، وان مولد السيد البدوى إحياء عيد الإله شنو " مستنداً فى ذلك الى أن مواعيد الاحتفالات المصرية تتفق مع بعض الموالد . وعلى حد تعبير الطرق الصوفية انها إحياء للتقاليد الدينية ، كما انها من وجهة نظر من يمارسونها نوع من التبجيل والاحترام للأولياء والقديسين لما يتمتعون به من كرامات وقداسة من جهة ولنوال بركتهم المقدسة التى ينظرون إليها على أنها دعامات تدعمهم وتعضدهم وتحل مشكلاتهم وتحقق طموحاتهم وآمالهم ، بل أنها تشفى أمراضهم المستعصية .

ومن وجهة نظر الدراسة أن الإحتفالات المصرية القديمة توجه لآلهة أما الموالد فتوجه إلى أشخاص توضح العلاقة بين الأحياء والأموات بين الأبناء والأسلاف على أنها أستمرار للصلات والعلاقات حتى بعد الوفاة وهذا الإستمرار يخص فئة معينة هم القديسون والأولياء فقط .

إذن هى حركة للمحافظة على التقاليد الدينية وليس إحياءً للتعاليم الدينية سواء الإسلامية أو المسيحية ، فالنصوص الرسمية للدين لاتتغير ولا تتبدل بتغير الأشخاص أو بتتابع الأجيال أو إختلاف الأزمنة . ولكنها محاولات لإستمرار التقاليد الدينية الشعبية والمحافظة عليها ضد التغيرات الثقافية المستحدثة فقد وقفت صامدة ضد الغزو الثقافى الأوروبى ، كما أن تعاقبها حتى اليوم يبرز كيف إستطاعت الحفاظ على العادات الشعبية الراسخة فى المجتمع ولم تستطع أن تنفذ إليه المؤثرات الخارجية الصادرة من الثقافات المتحضرة .

كما أنها ليست من الرواسب والمخلفات الثقافية البالية والتى ليس لها معنى لأنها مازالت مستمرة ولم تندثر ، وطالما هى مستمرة ، إذن ماهى إلا ظواهر وظيفية كما يرى مالينوفسكى وحتماً لها وظيفة ودور تؤديه .

وقد إنصب إهتمام الدراسة بها على أنها تشتمل مجموعة من العبادات والممارسات الطقسية كما يرى دوركايم تؤدى إلى تدعيم التضامن الإجتماعى لدى الجماعة التى تمارسها ، ولم تهتم الدراسة بالموقف الذى إنبثقت عنه الشعائر ولكن التركيز كما فعل دوركايم على كيف تؤدى هذه الطقوس وظائفها فى تحقيق آمال وطموحات الذين يمارسونها . فالممارسات الدينية والطقوس أداة لدعم وتماسك الأوعية الإجتماعية ولتحقيق التضامن الأجتماعى .

ومن جهة أخرى يمكن إعتبار موالد الأولياء وأعياد القديسين رواسب طبقاً للفئة الثانية من الرواسب لدى باريتو على إعتبار أنها غزيرة إستمرار التجمعات والتى تتضمن المحافظة على مفاهيم معينة من التراث، وأن الموالد ماهى إلا إستمرار للعلاقة بين الموتى والأحياء كما سبق أن ذكرنا وتشتمل على مجموعة من العادات والمعتقدات والتقاليد وتظهر بصفة خاصة لدى جمهور الموالد .

كما انها تعبير عن العواطف وهى الفئة الثالثة من الرواسب عند باريتو والتى تظهر فى أفعال خارجية هى الممارسات الطقوسية كالذكر والمدائح الدينية فى مولد السيد البدوى والشعائر الكنسية وفيها العماد والمدائح والألحان والترانيم فى إحتفال مارى جرجس .

أى أن الإهتمام إنصب على الشعائر والممارسات التى هى أفعال خارجية أكثر من المعتقدات .

أيضاً النظر إلى الموالد ليس بإعتبارها أحداثاً أو أشياء مادية وموضوعات شخصية عيانيا فقط بل بإعتبارها سلسلة من الأنساق الرمزية المفعمة بالمعانى بالإعتماد على البنائية الرمزية التى تكشف الجانب الخفى من الأنماط السلوكية .وتساعد على التعرف على شبكة العلاقات الإجتماعية الداخلية والخارجية طبقاً لما يراه ميلفورد سبيرو
. Milford Spiro

الموالد ظاهرة دينية :

لأنها تنبثق من المعتقدات الدينية ، وترتبط بأموات لديهم مكانة عند ربهم، وإن كانت النصوص الدينية ثابتةفالممارسات متنوعة ولكنها تعبر عن قوة

العلاقة بين البشر والآلهة وتتنوع مابين إبتهالات وتضرعات وصلاة وقرابين وذبائح ،وتحتل الطقوس والعواطف المركز الأول.

الموالد ظاهرة إجتماعية :

فهناك مجموعة من الأفراد تجمعهم رابطة تفرض عليهم القيام بمجموعة من الممارسات المتماثلة كما يرى رونالد جونستون **Ronald Johnstone** والمولد سمة فردية وظاهرة جماعية ، وهو ظاهرة إجتماعية تتناقلها الأجيال ، وشيوع الممارسات الخاصة بها ، وهي عمومية لدى جماعات معينة تحرص على أدائها سنوياً فلها صفة ، الإستمرار والدوام كما أنها الزامية وجبرية وهي خ الص أي ظاهرة أجتماعية كما حددها درو كايم .

وهي أيضاً ظاهرة ثقافية :

تضم مجموعة من القيم والأطر المرجعية والمعايير وترسم أنماطاً من الشعائر والطقوس داخل الواقع الإجتماعي وإن كانت تلك القيم خبيئة في صدور الناس ، كامنة في أعماقهم ولكنها محددات لسلوكياتهم وموجهات لمشاعرهم وعواطفهم .و هناك إرتباط بين الشعائر كممارسات وسلوك وبين الأساطير كما يرى ايفانز بريتشارد وروبر تسون سميث .

الموالد ظاهرة فولكلورية :

تحافظ على التراث القديم والمأثورات الشعبية من أناشيد ومدائح دينية وأساطير وحكايات شعبية تروى معجزات القديسين والأولياء وتنسب إليهم الخوارق والإعجازيات التي تفوق العقل والإدراك البشري ، وأنها هي كماكانت في الماضي على حد تعبير **Popple** فالموالد صدى للماضي وهي صوت الحاضر المدوى كما ترى علياء شكري ، وترتبط بجماعة شعبية ، وتعتمد على قواعد للسلوك ومعتقد شعبي ، لها خارجيتها وموضوعيتها وعموميتها .

وظائف ظاهرة المولد :

تؤدى عدة وظائف :

من الناحية الإجتماعية: تساعد على التكيف ، وتحقيق التضامن والتماسك الإجتماعى وإتساع شبكة العلاقات الإجتماعية ، وإعادة أواصر الصداقة والقرابة التى إنقطعت ، أو خلق علاقات إجتماعية جديدة ، عن طريق الزواج والمصاهرة ، كما أنها تعمل على إشباع إحدى الرغبات الأساسية كمايرى مالينوفسكى .

من الناحية الإقتصادية : تؤدى الى خلق أسواق جديدة ، وتنشيط حركة التجارة وتوفير الدعم المادى للمساجد والكنائس بالنذور.

من الناحية الثقافية لها وظيفة ظاهرة: هى تكريم الأولياء والقديسين بالإحتفال بموالدهم تخليداً لذكراهم .

الوظيفة الكامنة : غرس القيم الدينية وتدعيمها فهم قدوة للإحتذاء بهم والتمسك بالفضيلة ونبذ الرذيلة وتعميق القيم الروحية .

وظيفة فولكلورية : هى التسلية والترويح حيث تشتمل على الموسيقى والأناشيد الدينية ونقل التراث الشفاهى إلى الأجيال الجديدة .

التشابهات والإختلافات

التشابهات فى النواحى الدينية :-

ليس هناك تفاوت كبير بين شرائح وفئات المجتمع اذ تتشابه النظرة الى الأولياء مع النظرة الى القديسين فى ضرورة تقديسهم وتبجيلهم ، والاعتقاد فى الأولياء وقدراتهم الخارقة هو ذاته الإعتقاد فى القديسين فهم الواسطة

بين الإنسان وخالقه كما ان لهم سلطان لاحدود له ، يجسدون الأحلام وامال ورغبات واحتياجات المصرى فى مختلف العصور كما يقول عرفه عبده .

والعلاقة بين الزوار والولى لاتختلف عن العلاقة بين القديس والزوار وكما يذكر ابوزيد فالعلاقة بين الطرفين نوع من التعاقد لتبادل المنافع والفوائد والمكاسب ، التى تتمثل فى منح البركة مقابل العطاء .

وبالنسبة لمظاهر الإحتفال بالقديسين فهى واحدة مثل الاحتفال بموالد المسلمين من حيث الشكل والأضواء البراقة والأنوار المتوهجة والسرادقات وغيره كما ترى وينفرد بلاكمان.

ويشترك المسلمون مع جيرانهم المسيحين فى الإحتفال بالمناسبات الدينية فى الحاضر كما كانوا فى الماضى وكما روى ادوارد وليم لين فى دراسته ، وتتداخل الأفكار وتمتزج بالإعتقادات فى كل منهما ويشتركون فى بعض ممارسات بعضهم البعض فيتشكل الدين الشعبى ويختلط بموروثات ثقافية قديمة وحينئذ تتشابه الممارسات لدى المسلم والمسيحى ولايفصل بينهما سوى النصوص الدينية لكل منهما . مثال قد يشعل المسلم شمعة فى كنيسة او ينحر المسيحى ذبيحة مولد .

ومن امثلة الممارسات والطقوس المتشابهة نجد الأتى :-

"زفة العماد " هى طقس شعائرى يشبه موكب الختان ، والتمجيد قد يروى قصة استشهاد القديس او يذكر معجزاته ، يقابلها الذكر والمدائح الإسلامية والصييت والقوال الذى يعدد كرامات الولى ومعجزاته .

ايضا النذور ونوعياتها لاتختلف فى كل منهما فهى تنحصر فى نوعين اما عينية كالشموع او الذبائح ، او تقديم ستر للضريح او للمذبح اونقدية.

والولائم التى يقيمها الخليفة تقابلها الخدمات التى يقدمها مقهى الدير وخدامه وانارة الشموع عند قدم الرسـول فى المسجد يقابلها ايقاد الشموع امام أيقونة القديس .

التشابه فى اندثار بعض المظاهر الثقافية :-

تطهير الموالد والأعياد من البدع والخرافات وقراء الكف وضاربو الودع واندثار الملاهى الراقصة ولعب القمار أو شرب الخمر والسيرك فى كلا الاحتفالين .

واصبح كل من المسجد والكنيسة مركزا للاشعاع الثقافى والدينى .

التشابه فى الأبعاد الترفيهية:-

من حيث الألوان الزاهية والزينات والمهرجانات والندوات الثقافية وانتشار الملاهى واللعب المختلفة للأطفال والمقاهى للكبار .

تشابه فى الابعاد الجتماعية :-

من حيث الإقامة سواء فى خيا م خاصة او مؤجرة او افتراش الساحات والميادين المحيطة بالمسجد والكنيسة والنوم فى العراء بدون خجل كنوع من البركة أو استئجار حجرات بالمنازل او الإقامة فى الفنادق بالنسبة لمولد البدوى ، اما ميت دمسيس فليس بها فنادق .

تشابه فى نوعية الزوار :-

حيث تضم جميع الطبقات والمستويات والفئات المثقف والأمى ، الأغنياء والفقراء ، ايضا تشابهت أسباب زيارتهم لتلك الموالد .

ومن حيث الأبعاد الصحية والأمنية والخدمات الكهربائية ، فلايوجد فروق جوهرية وانما كل منهم طبقا لإحتياجاته ، فالإستعدادت فى تلك الجوانب بنفس الكفاءة فى العيدين وايضا لاتختلف فى نوعية الجر ائم .

من حيث الأبعاد الاقتصادية :-

انتشار الباعة الجائلين وتجمع العديد من الأسـواق وهـي مجـال لعقـد الصفقـات التجارية ، وفرصـة لتقابل رجـال الأعمـال وبزوغ انمـاط استهلاكية جديدة وتنشيط حركة المرور والمواصلات .

الإختلافـــات :-

لم يكن هناك موكب فى ميت دمسيس مثل موكب الخليفة بخلاف زفـاف العماد للأطفـال ولم يقام مهرجان للفروسـية والخيالـة كمـا اقيـم فـى مولـد البدوى.

والفرق الجوهرى الوحيد هو اختلاف العقيـدة فقط ، وهنـاك اختـلاف اخر فالعماد هو طقس او ممارسة فعلية مرئية تعبر عـن رمـوز ثقافية غير مرئيـة وغير منظورة فالعمـاد لـه معنى محدد وهـو الميـلاد الثـانى للطفـل " وهـى ولادة روحية جديدة " حيث يخلع الطفل الانسان العتيق الذى ولد به ولادة فيزيقية . وبالمثل اقامة الذكر مع انه ممارسة سلوكية ظاهرة تبدأ حركتها الأولى فى هدوء وروية ثم تأخذ رويـدا رويدا فى الإنفعال الـذى يتراءى فـى التمـايل يمينا وشمالا ، وحينما يبلغ ذروته تشتد الحركة بحيث يصعب على الناظر اليها ان يتابع تلـك الحركـات ولـه معـان خفيـة كامنـة تعـبر عـن مـدى التبجيـل والاحترام للولى الذى يقام الذكر من اجله .

وهناك تداخل فى الوظائف التى تؤديها الموالد داخل الأنسـاق المختلفة بحيث يصعب فصل احدى هذه الوظائف لدراستها بل يجب النظـر اليهـا فـى سياقها الاجتماعى داخل البنـاء الـذى تنتمـى اليه حتى يسهل التعرف علـى

الدور الذى تؤديه فى النسق الذى تنتمى اليه . فحينما نعرض للأبعاد الاقتصادية لابد أن نتطرق الى الترفيهية والثقافية والاجتماعية وهكذا .

الخـــلاصـــة:-

ان هناك تشابها فى الأبعاد المختلفة سواء الإجتماعية او الإقتصادية والترفيهية والأمنية فى المولدين والاختلاف الرئيسى يكمن فى الأبعاد الدينية فقط على الرغم من أن الثقافة الكلية للمجتمع المصرى ثقافة واحدة ، ولهذا يعد كل مولد منهما يمثل ثقافة فرعية داخل الثقافة لكلية له ممارساته وطقوسه وشعائره التى تنبثق من مفاهيم معينة ورموز معينة ترجع الى تفسيرات محددة للنصوص الدينية لدى كل منهما ، وان كانت تلك التفسيرات تختلف فى بعض جوانبها عن الدين الرسمى ولذا قد تتخذ اشكالا بعيدة كل البعد عن القواعد الأساسية والرسمية للدين ، بل قد يرفضها أصحاب الاتجاه الرسمى وينظرون اليها على أنها بدع وخرافات وأساطير يجب التخلص منها على اعتبار انها شوائب ورواسب بالية . ولكنها من وجهة نظر من يمارسونها ضرورية وهامة ويحرصون على آدائها والا لحق الأذى والضرر بهم . ويطلق البعض عليها التدين الشعبى او الدين الشعبى .

وقد قامت الدراسة الراهنة بتحليل العناصر والأبعاد المختلفة لكل مولد على حدة ومحاولة اكتشاف العنصر المغاير كما فعل نادل ، وهو العقيدة الأصلية كما أن استخدام المنهج الثقافى المقارن للدين ساعد على اكتشاف أن الارتباط بين الأبعاد المختلفة يرجع الى سمات معينة لثقافة واحدة هى ثقافة المجتمع المصرى التى ترتبط بالظروف الإجتماعية والإقتصادية لذلك المجتمع .

المراجـــــع

1- Christine El Mahdy ; Mummies , Myth And Magic In Ancient Egypt ; Thomas And Hudson , Ltd . London . 1993 P.P. 9 - 10 .

2 - Adele Getty ; Asense Of The Sqcred ; Finding Our Spiritual Lives Through Cermony ; Http // Www. Amazon - Com /Exec / Obidos/ Isbn 12 / 15 /97

3 - Young G . Domling ; Dimensioms Of Religiosity In Old Age ; Accounting For Variation In Types Of Participation ; Journal Of - Gerontology ; 1987

٤ – فاروق احمـد مصطفى : الموالد ، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٨٠ ص ٢٣٧ – ٢٤٠.

٥ – سامية الخشـاب : دراسات فى الاجتمـاع الدينـى ، الكتـاب الأول دار المعارف ، ١٩٩٣ ص ٣٦ .

6 - Mac ,Ruth , Pagel - Mark ; The Comparatine Method In Anthropology ; Current Anthropology V. 35 Dec . 1994 P.p. 549 - 57

7 - Voland Eckart; The Comparative Method In Anthropology,Comment On Mac & Pagel In Current Anthropology V. 35 1994 . P . 561 - 2

8 - Mac , Ruth , Pagel . Opcit . Response To Comments ; V. 35 1994. P.p. 562 - 3 .

9 - Schweizer , Thomas ; The Comarative Method In Anthropology . Comment On R . Mace & Pagel Opcit . V. 35 P. 561 .

١٠ – فاروق احمد مصطفى : الموالد – مرجع سابق ، ص ٢٤٠ – ٢٤٦ .

١١ – سامية الخشاب : دراسات فى الإجتماع الدينى ، ص ٣٤ – ٣٥ .

12 - David Bidney ; Theoritical Anthropology ; Columbia University Press ,Newyork . 1949 . P. 23 .

١٣ – احمد ابو زيد : الرمز والرمزية ، المجلة الإجتماعية القومية ، مايو ١٩٩١. منشورات المركز القومى للبحوث ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

14 - Rorty Amelie Oksenberg ; The Hidden Politicals Of Cultural Identification , Political Theory ; V. 22 Feb .1994. P.p. 152 - 15

١٥ – احمد ابو زيد : تايلور " دار المعارف بمصر ١٩٥٧ . ص ٦٣ –٦٤ .

١٦ – فاروق احمد مصطفى : الموالد : مرجع سابق . ص ٢١٤ .

١٧ – احمد ابو زيد : البناء الاجتماعى : المفهومات : الجزء الأول – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١١٤ .

18 - Bronislow Malinowski ; A Scientific Theory Of Culture And Other Essays ; Agalaxy Book . Oxford University Press, 1960. P . 38 .

١٩ – سامية مصطفى الخشاب : دراسات فى الإجتماع الدينى ، مرجع سابق ص ٦٤ –٥٦ .

20 - Encycloedia Of Anthropology ; Harper & Row Pub . Inc 1976 . P. 326 .

٢١ – محمد على محمد ، تاريخ علم الاجتماع ، الرواد والاتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨ . ص ٢٥٧–٢٦٤ .

٢٢ – نخبة من أساتذة علم الإجتماع : قاموس علم الإجتماع ، تقديم محمد عاطف غيث دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٠ . ص ٤٧٨ – ٤٧٩ .

٢٣ – فاروق احمد مصطفى : الموالـد ، دراسة للعادات الشعبية فى مصر ، مرجع سابق.

٢٤ – عرفه عبده على : موالد مصر المحروسة بين الماضى والحاضر ، مجلة القاهرة ، العدد ١٥٦ ، نوفمبر ١٩٩٥ . ص ٢٧ .

25 - Nicolas H. Biegman ; Moulids , Saints,Subis,Gray Schwartz /Sdu & Kegan Paul , International Ltd 1990 . P. 7.

26 - Arthur J. Arbery; Litl .D; An Introduction To The History Of Sufism , Longmans , Green And Co, Ltd London . New York . 1942 .

٢٧ – فاروق احمد مصطفى : الموالـد ، مرجع سابق ، ص ٨ .

28 - J. W.Mcpherson , The Moulids Of Egypt; Egyption Saints - Days , 1947.

٢٩ – سعاد الحكيم : عودة الواصل ، دراسات حول الإنسان الصوفى ، مؤسسة دندرة للدراسات والطباعة والنشر ، ١٩٩٤ . منطقة الظريف – بناية سنو ، ص ٨٠ – ٨١ .

٣٠ – احمد ابو زيد : البناء الإجتماعى : المفهومات : الجزء الأول – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٧ . ص ١٩٢ – ١٩٧ .

٣١ – محمد محمود الجوهرى : الأنثروبولوجيا ، الكتاب الثالث والثلاثون ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦ . ص ٦٣ –٦٩ .

٣٢ – فوزى رضوان العربى : المأثورات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٦ . ص ١٦ .

٣٣ – رجب عبد المجيد عفيفى ، الدراسة العلمية للثقافة المادية الريفية ، الجزء الخامس من دليل العمل الميداني لجامعى التراث الشعبى ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣ . ص ١٥ –١٨ .

34 - David Bidney ; Theoritical Anthropology ; Op.Cit - P.p. 23 - 27 .

٣٥ – محمد عباس ابراهيم : الثقافات الفرعية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ . ص ١١١ .

36 - durand , jean ; traditional culture and knowledge whither the dialogue between western and postsoviet anthropology current anthropology v. 36, 1995 . p. 326 .

٣٧ – رالف بيلز ، هارى هويجر : مقدمه فى الأنثروبولوجيا العامة ، ترجمة محمد الجوهرى والسيد الحسينى جـ ١ ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٦ . ص ١٦٥ .

٣٨ – محمد محمود الجوهرى : الأنثروبولوجيا ، " أسس نظرية " الكتاب الثالث والثلاثون ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦ . ص ٩٤–٩٦ .

39 - Charles, Haughes ; Custom - Made, Mc Nally College Pub.Co; U.S. A. 1976 . P. 230 .

٤٠ – فاروق احمد مصطفى : المقدمه والنظريه فى الأنثروبولوجيا . فهى بين النظرية ونماذج الدراسات الأنثروبولوجية ، دراسات علم الإنسان الكتاب الخامس غير مبين الناشر ، ١٩٩٥ . ص ٢٤٠ –٢٤٥ .

٤١ - احمد ابو زيد : البنائية والفكر الرمزى ، المجلة الإجتماعية القومية، منشورات المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية المجلد الثالث والثلاثون ، ١٩٩٣ . ص ٦٣ .
٤٢ -احمد ابو زيد : الرمز والرمزية ، المجلة الإجتماعية القومية ، مرجع سابق ، منشورات المركز القومي للبحوث ، ص١٤١ -١٥٤ .
٤٣ - احمد ابو زيد : الأصول اللغوية للبنائية ، المجلة الإجتماعية القومية ، مايو ١٩٩٢ . منشورات المركز القومي للبحوث ، ص٨٣-٨٦ .
٤٤ - محمد عباس ابراهيم : الثقافات الفرعية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ . مرجع سابق . ص ١١٩ .
٤٥ - احمد الخشاب : دراسات أنثروبولوجية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ . ص ١١٠ -١١٧ .
٤٦ - سير جيمس فريزر : الغصن الذهبي ، ترجمة احمد ابو زيد ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهره ،١٩٧١ . ص ٢٦ -٢٨ .
٤٧ - اليس اسكندر ، البناء الإجتماعي للدير القبطي ، رسالة ماجيستير ، ١٩٨٠ ص ٢- ٤ بالرجوع إلى جيمس فريزر: " الغصن الذهبي" ، ترجمة احمد ابو زيد ، الجزء الأول و رالف بيلز ، هارى هويجر : مقدمه فى الأنثروبولوجيا العامة ، ترجمة محمد الجوهرى وأخرين .
٤٨ -سامية مصطفى الخشاب : دراسات فى الإجتماع الديني ، مرجع سابق ص ٢٤ -٢٧.

49 - Encyclopedia Britannica ; Macropoedia ; Sociological Studies Of Religion Vol .15 .

+ نقلاً عن الباحثة " البنـاء الإجتماعي للدير القبطي " مرجع سابق ، ص ١٤ –١٥ .

50 - Chiford Geertz ; International Encyclopedia Of The Social Sciences , Vol . 13 -14 .

+ اليس اسكندر ، البناء الإجتماعي للدير القبطي ، مرجع سابق ، ص ١٥ – ١٧ .

٥١ – مرجع سابق ، ص ١٧ . البناء الإجتماعي للدير القبطي .

٥٢ – محمد محمود الجوهري : علم الفولكلور ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٢.

+ الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية جـ ٦ من دليل العمل الميداني ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٣ . ص ٥٠ .

53 - Galan F. I. ; Traditional Valus About Family Behavior,The Case Of The Chicano Client ; University Of The Huston , Huston , Tex 1986 . P.p. 11 - 12 .

٥٤ – شحاتة صيام : الدين الشعبي في مصر ، فقد العقل المتحايل ، رامتان للنشر والتوزيع سلسلة الفكر الإجتماعي، ١٩٩٥ . ص ٩ – ١٠ .

٥٥ – محمد محمود الجوهري : علم الفولكلور ، دراسة المعتقدات الشعبية جـ ٢ ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٠ . ص ٢١ .

٥٦ – عصام فوزي : أنماط التدين في مصر مدخل لفهم التفكير الشعبي حول الدين ، أشكاليات التكوين الإجتماعي ، والفكريات الشعبية في مصر . مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، دمشق ١٩٩٢ . ص ٢١٧ .

٥٧ – عصام فوزي : أنماط التدين في مصر ، مرجع سابق ، ص ٢١٦ – ٢٣٠ .

٥٨ – شحاته صيام : مرجع سابق ، ص ١٣ .

٥٩ – سامية مصطفى الخشاب : دراسات في الإجتماع الديني ، مرجع سابق، ص ٢٤ –٢٧ .

٦٠ – فاروق اسماعيل : الوثنية ، مفاهيم وممارسات ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠ . ص٢٣ .

٦١ – اليس اسكندر ، البناء الإجتماعي للدير القبطي ، الفصل الأول الأنثروبولوجيا الدينية ، مرجع سابق ، ص ٢٧ – ٢٨ .

٦٢ –سامية مصطفى الخشاب : مرجع سابق ،

٦٣ – احمد ابو زيد ، نبيلة ابراهيم وآخرين ، دراسات في الفولكلور ، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٢ . ص ١١٧ – ١١٩.

+ فوزى رضوان العربى : المأثورات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨ . ص ١٤ .

٦٤ – علياء شكرى : المدخل الى الفولكلور الفرنسي المعاصر ، دراسة لأراء وأعمال فان جنب ، في دراسات الفولكلور ، مرجع سابق ، ص ٢٦٤ .

٦٥ – ابراهيم مدكور : معجم العلوم الإجتماعية ، الهيئةالمصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥ . ص ٣٨١.

٦٦ – ايكه هولتكرانس ، قاموس ومصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور ، ترجمة محمد الجوهرى طبعة أولى ، دار المعارف ١٩٧٢ . ص ٢٤٦.

٦٧ –فوزى رضوان العربى : المأثورات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٦ . ص ٨ –٢٣ .

68 - Popple .R. R. ; Contemporary Folklore And Social Welfare ; Haley Center ; Arbur Univeristy 1994 .

٦٩ – فوزى العنتيل ، بين الفولكلور والثقافة الشعبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ . ص ٣٣ .
٧٠ – علياء شكرى : المدخل الى الفولكلور الفرنسى المعاصر ، فى كتاب دراسات الفولكلور ، لأحمد ابو زيد وآخرين ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٢ . ص ٢٠٢ ، ٢٥٩ –٢٦٤ .
٧١ – شوقى عبد الحكيم : مدخل الدراسة الفولكلورية والأساطير العربية، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٤ . ص ٧ – ١٠ .
٧٢ – فاروق اسماعيل : الوثنية ، مرجع سابق ، ص ٣٤ – ٣٦.
٧٣ - نبيلة ابراهيم : أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، مكتبة غريب بالفجالة، طبعة ثالثة ، ١٩٨١. ص ١٧ – ٥٨ .
٧٤ – رندل كلارك ، الرمز والأسطورة فى مصر القديمة ، ترجمة احمد صليحة ، الهيئةالمصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ . ص ٣–٨ .
٧٥ – احمد ابو زيد : الملاحم ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، ١٩٨٥ .
٧٦ – سلوين جيربى ، شامبيون ، أمثال الشعوب ، ترجمة احمد مرسى ، فى دراسات فى الفولكلور ، احمد ابو زيد وآخرين ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٢ . ص ٣٠٩ – ٣١٠ .
٧٧ – فردريش ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ترجمة نبيلة ابراهيم ، مراجعة عز الدين اسماعيل ، مكتبة غريب بالفجالة ، ١٩٨٧ ص٦ ، ص ٧٠ – ٩٣ .
٧٨ – نبيلة ابراهيم ، أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، مرجع سابق ص ١١٩.
٧٩ – فاروق احمد مصطفى ، الحكايات الشعبية ، دراسة أنثروبولوجية ، مجلة كلية الأداب ، مجلد ٣٨ ، ١٩٩٠ . ص ٦٣٧ .

٨٠ – محمد الجوهرى : حكايات الأطفال والبيت ، الأخوان جريم ودراسة الأدب الشعبى فى كتاب دراسات فى الفولكلور ، احمد ابو زيد وآخرين، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهره ١٩٧٢ .

٨١ – فاروق احمد مصطفى : الموالـد ، مرجع سابق.ص٦ –٦٣ ، ص٢٣١ –٢٣٢ .

٨٢ – فهمى جدعان : نظرية التراث ودراسات عربية واسلامية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٥ . ص ١١ – ١٨ .

83 - Badawi , M.M. (Ed.) Modern Arabic Literature ; The Cambridge History Of Arabic Literature ; 1993 Http : / Www .Cup .Org / Titles / 33 / 0521331/978 Html .

84 - Armbrust , Walter ; Mass Culture And Modernism In Egypt ; Cambridge Studies And culture Anthropology ; 102 1996 . http: / www .Cup .Org / Titles / 48/ 0521481473/ html .

85 - Peristiany , J. G. And Pitl - Rivers , Julian (Eds) ; Honour , And Grace In Anthropology ; Cambridge Studies In Social And Culture Anthropology ;1991. http: /www .Cup .Org / Titles / 39/ 052139055976 html .

٨٦ – عبد الغنى النبوى الشال : عروسة المولد ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧. ص ٢٥ –٤٠ .

٨٧ – فاروق احمد مصطفى : الموالد ، مرجع سابق ، ص ٧٧ – ٨٠ .

٨٨ – عرفه عبده على : موالد مصر المحروسة بين الماضى والحاضر ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

٨٩ – اليكس فاسيليف: مصر والمصريون، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت . لبنان، ١٩٩٤ . ص ٥٣.

٩٠ – فاروق احمد مصطفى : الموالد ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

91 - Nicoloas H. Biegman.; Op.Cit. 8-9.

92- J. W.Mcpherson , The Moulids Of Egypt; Op.Cit. p. 29

93 - Nicoloas H. Biegman.; Op.Cit .

٩٤ – محمد الجوهرى: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ، الجزء الثانى من دليل العمل الميدانى ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣. ص ١٧٩ .

٩٥ – محمد محمود الجوهرى : علم الفولكلور ، دراسة المعتقدات الشعبية، جـ ٢ ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٠ . ص٤٣ – ٤٥ .

٩٦ – فاروق احمد مصطفى : الموالد ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ – ٢٢٩.

٩٧ – فاروق احمد مصطفى : الموالد ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤.

98 - Nicoloas H. Biegman.; Op.Cit p.p. 8 - 13 .

٩٩ – انور فؤاد ابى خزام ، معجم المصطلحات الصوفية ، مراجعة جورج مترى عبد المسيح ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ١٩٩٣ . ص ٢٨–٢٩ .

١٠٠ – عرفه عبده على : موالد مصر المحروسه بين الماضى والحاضر ، مرجع سابق ، ص ٥٨ –٦٦ .

١٠١ – شحاته صيام : الدين الشعبى فى مصر ، مرجع سابق ص ٢٦ – ٣٠ .

١٠٢ – عرفه عبده : موالد مصر المحروسه بين الماضى والحاضر ، مرجع سابق ص ٦٧ .

١٠٣ – شحاته صيام : الدين الشعبى فى مصر ، مرجع سابق ص ٦٤ –٨٦ .
104 - Nicoloas H. Biegman.; Op.Cit p.p. 8 - 13 .
105 - Arthur J. Arbery; Op. Cit .
١٠٦ – عرفة عبدة على : موالد مصر المحروسة ، مرجع سابق ص ٦٩ .
١٠٧ – عبد البارى محمد داود ، الفناء عند صوفية المسلمين والعقائد الأخرى ، دراسة مقارنة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧ ص ١٨٥ .
١٠٨ – المرجع السابق ص ٢١٨ – ٢٢٧ .
١٠٩ – عرفة عبدة على : موالد مصر المحروسة ، مرجع سابق ص ٦٨.
110 - Bergin A. E.; Stinchbield. R. D. & Else; Religious Life Styles And Mental Health An Explorator Study; Journal Of Counseling Psycology; 1988 .
111- E.H. Palmer ; Oriental Mysticism ; A Treatise On Subistic And Unitarian Theosephy Of The Persians ; FrankCass & Co. Ltd 1969 . P.p. 18 - 21.
١١٢ –عرفة عبدة على : موالد مصر المحروسة ، مرجع سابق ص ٦.
113 - Nicoloas H. Biegman.; Op.Cit p.9.
١١٤ – محمد محمود الجوهرى : علم الفولكلور، جـ ٢ ، دار المعرفة الجامعية مرجع سابق ، ص ٢٨.
115 - Brown, Daniel , Rethinking Tradition In Modern Islamic Thought ; Cambridge , Middle East Studies ; 1996. http:/ www.cup.org/tittles/ 57/0521570778.html.
١١٦ – محمد محمود الجوهرى : علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية جـ ٢ ، ص ٤٣ – ٤٤.
117 - Nicoloas H. Biegman.; Op.Cit p.8.

١١٨ – فاروق احمد مصطفى : <u>الموالد</u>، مرجع سابق، ص ٣٦– ٩٣.

١١٩ – فاروق اسماعيل : الوثنية، مفاهيم وممارسات، مرجع سابق، ص ٣٧ .

١٢٠ – فاروق احمد مصطفى : <u>الموالد</u>، مرجع سابق، ص ١٠٥ – ١٠٧ .

١٢١ – عرفة عبدة علي : <u>موالد مصر المحروسة</u>، مرجع سابق، ص ٧٠ .

١٢٢ – احمد عمران : <u>الدراسة العلمية للموسيقى الشعبية</u>، دليل العمل الميداني ١٩٩٧ ، ص ٨٤ .

123 - Nicoloas H. Biegman.; Op.Cit p.13 .

١٢٤ – فاروق احمد مصطفى : <u>الموالد</u>، مرجع سابق، ص ١٣٠ –١٣١ .

125 - Nicoloas H. Biegman.; Op.Cit p. 7 .

126 - Ibid .

١٢٧ – شوقي عبد الحكيم : <u>موسوعة الفولكلور والأساطير العربية</u>، دار العودة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٩٢ – ٩٣ .

١٢٨ – فاروق احمد مصطفى : <u>الموالد</u>، مرجع سابق، ص ١٦٣ .

١٢٩– محمد محمد عبد الحافظ وأخرين : الغربية في عهد مبارك : تجارب رائدة – إنجازات في خمس سنوات من ١٩٩٢ – ١٩٩٦ –منشورات محافظةالغربية ص٢٢.

١٣٠– محمد فخرى أبو الغيط وأخرين، إنجازات مضيئة في عهد الرئيس محمد حسني مبارك – منشورات محافظة الغربية ص ٢٤.

١٣١ – محمد فخرى أبو الغيط وآخرين، أبرز المعالم الأثرية والسياحية بدائرة المحافظة، منشورات محافظة الغربية ص ٧ – ٢٣ ،

١٣٢ – محمد محمد عبد الحافظ وأخرين : الغربية في عهد مبارك : تجارب رائدة – إنجازات في خمس سنوات ، مرجع سابق ص ٢٥ –٢٨ ،

١٣٣ – فضيلة الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود ، السيد أحمد البدوى ، دار الشعب ١٩٦٩ ص ١–٢٥ .

١٣٤ – هذا النسب مدون على المقصورة التى تحيط بضريح سيد أحمد البدوى .

١٣٥ – محمد محمد عبد الحافظ وآخرين : الغربية فى عهد مبارك : تجارب رائدة وإنجازات مرجع سابق ص ٢٧.

١٣٦ – عبد الغنى النبوى الشال : عروسة المولد، مرجع سابق ، ص ٢٥ – ٤٠ .

١٣٧ – اليس إسكندر : دراسات إجتماعية وأنثروبولوجية فى المجال الطبى ، الفصل الثالث ، ١٩٩٧ .

١٣٨ – قداسة البابا شنودة الثالث ، محبة القديسين ، مجلة الكرازة ، العددان ٣٣، ٣٤ سبتمبر سنة ١٩٩٧ . ص ١٢ – ١٣ .

١٣٩ – نيافة الأنبا فيلبس : مارجرجس " امير الشهداء " وقديس كل العصور ، دار يوسف للطباعة ، القاهرة ١٩٨٦.

مركز الدلتا للطباعة
٢٤ شارع الدلتا - اسكندرية - سبورتنج
☎ وفاكس: ٥٩٥١٩٣٢ (٠٣)

رقم الإيداع : ١٤٩٣١/ ٩٩


Bibliotheca Alexandrina
09400076